أطياف من الذاكرة

قصص من إبداع طالبات طور موهبتك بقسم القراءة والكتابة

تدقيق:
زينب حسون- مروة شهاب الدين

فريق طوّر موهبتك

بإدارة مجد منصور

الكتاب بإشراف

زينب حسون

تدقيق: زينب حسون/ مروة شهاب الدين

"البيت الملعون يصرخ لا مفر من الظلال"

كان هناك فتاتان تعشقان الرعب والتشويق، وتحبان المغامرة، إحداهما تُدعى إيلا، والأخرى سارة، وفي يوم من الأيام، اقترحت إيلا على صديقتها أن يخوضا مغامرة جديدة، مغامرة لا تُنسى. قالت إيلا بحماس:

سارة، ما رأيكِ أن نذهب لاستكشاف البيت المهجور الذي بجانب الحارة؟

سارة ترددت قليلًا، ثم ابتسمت وقالت:

إذا كنتِ معي، أنا جاهزة.

لكن المشكلة كانت في الأهل، فلم يسمحوا لهما بالخروج ليلًا. فوضعتا خطة سرّية، واتفقا أن يتلاقيا في منتصف الليل، عند نقطة معينة قرب البيت.

وعند حلول منتصف الليل، خرجت كل واحدة من منزلها بهدوء، وسارتا حتى التقيا في النقطة المتفق عليها.

قالت إيلا وهي تهمس:

هيا بنا، قبل أن يكتشف أحد أمرنا.

كانت سارة متوترة، ترتجف قليلًا، لكنها أخفت ذلك عن صديقتها، وسارتا معًا نحو البيت المهجور، خطواتهما بطيئة، والظلام يزداد كثافة.

وصلتا إلى الباب، وكان مفتوحًا قليلًا، يصدر منه صوت غريب، كأن أحدًا يهمس من الداخل.

دفعت إيلا الباب، فصدر منه صرير مزعج، كأنه صرخة من الماضي.

دخلتا بهدوء، والهواء داخل البيت كان ثقيلاً، رائحة العفن والغبار تملأ المكان.

وفجأة، سمعتا صوتًا يقول:

يا إيلا... يا سارة... أنتما وقعتم... ولن تخرجا إلى الأبد.

توقفتا في مكانهما، ترتجفان من الخوف. وفجأة، اشتعلت شمعة في الزاوية، لتنير المكان بلون برتقالي باهت.

نظرتا حولهما، فرأتا عظامًا تأكلها الديدان، وقطرة دماء على الأرض، وسيفًا كبيرًا مغروسًا في جسد متآكل أكله الزمن، لم يبقَ منه شيء سوى العظم الذي بدأ بالتحلل.

وكان هناك مرآة على الجدار، فنظرتا إليها، وإذا بهما تريان ظلًا خلفهما.

التفتتا بسرعة، لكن لم يكن هناك أحد، فارتعبتا من الخوف، وقررتا الرجوع إلى البيت، لكن لم تستطيعا فتح الباب، وكأنه مغلق بحكمة.

وأصبحت سارة تبكي كثيرًا، وخافت بشدة، أما إيلا فكانت تحاول أن تجد حلًا، ولكن بلا جدوى.

وإذا بهما يسمعان صوتًا يقول:

أنتما دخلتما بأنفسكما، ولن تستطيعا الذهاب أبدًا.

وكلما حاولتا الهروب، كانت الأبواب تختفي، والنوافذ تُغلق، والبيت يزداد ظلمة، والهمسات تملأ المكان، والظلال تتحرك كأنها كائنات حية.

ثم سمعا خطوات ثقيلة قادمة من الطابق العلوي، كأن أحدًا ينزل السلم ببطء.

قالت سارة وهي تبكي:

إيلا، أنا لا أريد أن أموت هنا.

ردت إيلا وهي تحاول تهدئتها:

لا تخافي، سنجد طريقًا للخروج.

لكن الصوت عاد يهمس بقوة أكبر:

أنتما الآن جزء من هذا البيت، لن يترككما أبدًا.

وفجأة انطفأت الشمعة، وغرق المكان في ظلام دامس، وبدأت الجدران تصدر أصواتًا غريبة وكأنها تتنفس، والهواء صار أثقل، والبرد يزداد حتى شعرتا أن الدم يتجمد في عروقهما.

ثم ظهرت وجوه باهتة من بين الظلال، تقترب ببطء، وتهمس بأسمائهما.

وكلما حاولتا الصراخ كان الصوت يختفي في العدم.

ثم انفتح باب صغير في الجدار، خلفه ممر ضيق مظلم. ترددتا، لكن لم يكن أمامهما خيار، دخلتا.

وكل خطوة كانت تُغلق الباب خلفهما، حتى اختفى الضوء تمامًا، وبدأتا تسمعان أصواتًا جديدة، أصوات أطفال يضحكون، ثم يبكون، ثم يصرخون، ثم يصمتون.

وفي نهاية الممر، كان هناك باب خشبي قديم، عليه كتابة محفورة بالدم، تقول:

لن تخرجي من هنا أبدًا.

ومنذ تلك الليلة، لم يُرَ لإيلا وسارة أثر، وبقي المنزل يهمس كل ليلة، وكل من يمر قربه يسمع وقع خطواتهما في الظلام، ويرى ظلالًا تتحرك خلف النوافذ، ويشعر بأنفاسًا باردة تهمس له:

إيلا... سارة... هل ما زلتما هنا.

الكاتبة: إسراء فاخوري

"حينَ يزهرُ القلب"

كانت هناك فتاة تدعى إيلا، متفوقة في دراستها، يحبها الأساتذة والطلاب جميعًا بسبب تفوقها ورقتها في التعامل واحترامها للجميع، لم تكن تفكر يومًا في الحب، فقد كرّست حياتها للدراسة وحرصها على مستقبلها،

لكن في بداية العام الدراسي الجديد، دخل إلى صفهم شابٌ وسيمٌ اسمه أغيد، لحظة دخوله، التفتت إليه كل الأنظار، أما إيلا فقد شعرت بشيء غريب يخترق قلبها، كأنه سهم أصابها فجأة وجعلها تنزف من الحب،

بدأت أفكارها بالتشتت، لم تعد تركز في الحصص كما اعتادت، حتى لاحظ الأساتذة شرودها وسألوها عن السبب، لكنها كانت تكتفي بالقول: لا شيء... فقط شردت قليلاً،

وفي الاستراحة الأولى، كان الجميع ملتفًا حول أغيد للتعرف عليه، بينما كانت إيلا تحلم أن تكون بينهم أو بجانبه وحدها، اقتربت قليلًا، ورأته عن قرب، فاشتعل قلبها أكثر، وازدادت غيرتها من الفتيات اللواتي يحيطن به،

توالت الأيام، وإيلا على حالها، حبها يكبر ودراستها تتراجع، وفي إحدى الليالي، وهي على سريرها، دار حديث داخلي بين عقلها وقلبها:

عقلها: ما بكِ يا إيلا؟ لم تكوني هكذا من قبل، انظري إلى دراستك، كيف أصبحتِ شاردةً طوال الوقت، ركزي على حلمك، أرجوك،

قلبها: ألا ترين كيف شعور الحب جميل؟ لقد أعطيتني فرصة لأعيش وأنبض من جديد، لا تستمعي لعقلك، اتبعيني أنا،

وفي أحد الأيام، سُنحت الفرصة أخيرًا، إذ رأت إيلا أغيد جالسًا وحدهُ، اقتربت منه بخطوات مترددة، وتعمدت أن تسقط أرضًا كي يلاحظها، وبالفعل، رآها أغيد، فسارع لمساعدتها على الوقوف، ثم جلس بجانبها وسألها بلطف:

هل أنتِ بخير؟

ابتسمت إيلا وقالت بصوتٍ خافت: بخير... شكرًا لك يا أغيد، كان قلبها يرقص فرحًا، فقد ساعدها وكلمها، وهذه اللحظة كانت بالنسبة لها حلمًا تحقق، لكن قبل أن تتمكن من الاعتراف بمشاعرها، جاءت فتاة أخرى وقالت: يا أغيد، أريد أن أخبرك بشيء،

ارتبك قلب إيلا، شعرت وكأن شيئًا يخنقها، وخافت أن تسمع ما لا تطيق، ابتسم أغيد وقال للفتاة: "سأعود بعد قليل." ثم ابتعد معها، سمعت إيلا اعتراف تلك الفتاة بحبها له، فشعرت بوخزٍ مؤلم في قلبها. لكن رد أغيد كان واضحًا: أنا لا أريد الارتباط،

حينها لمح إيلا واقفة خلفهما، فسألها: ماذا تفعلين هنا؟

ارتبكت وقالت: لا شيء... آسفة، ثم غادرت وعلى وجهها نظرات الحزن، لكن كلمات أغيد الأخيرة جعلت قلبها يطمئن، لحق بها سريعًا وقال: "إيلا، هل تحبينني؟"

ارتبكت، احمر وجهها، وحاولت الإنكار: أنا... لا،

ابتسم وقال: لكن لماذا تبعتِني إذن؟ لقد فهمت الجواب،

اقترب منها أكثر وأضاف: وأنا أيضًا أحبك، حينها تراقص قلبها من الفرح، لم تتمالك نفسها، فضمته بقوة وقالت: "أنا أحبك بجنون."

تفاجأ أغيد من ردة فعلها، لكنه ابتسم وهو يبادلها الشعور، بينما إيلا كانت تشعر أن العالم كله يزهر حولها، وأن الحب أخيرًا وجد طريقه إلى قلبها، ومنذ تلك اللحظة، تغيّر كل شيء في حياة إيلا، لم تعد نظراتها شاردة في الحصص، بل صار أغيد هو الدافع الذي يجعلها تدرس أكثر، لتثبت لنفسها ولمن تحب أن الحب لا يعني التخلي عن الأحلام، بل أن يكون سندًا لها،

وفي نهاية العام، حين وقفت إيلا على منصة التكريم لتنال جائزة التفوق، كان أغيد أول من صفق لها بحرارة، وعيناه تقولان أكثر مما تستطيع الكلمات أن تعبر، ابتسمت له من بعيد، وعرفت أن قلبها اختار الطريق الصحيح: طريق الحب الذي لا يقتل الأحلام، بل يزهرُ معها.

الحب ليس أن نضيع في الطريق، بل أن نجد من يضيء لنا الدرب

الكاتبة: إسراء فاخوري

"صمت الأخ ضجة الفقد"

لعلنا من بعدِ بُعدٍ نلتقي

الحزن ليس دائماً عاصفة من الدموع، أو صراخاً عالياً، أحياناً يكون أشبه برودة تخترق الضلوع، مثل ثلج يتشكل في مكان الدفء الذي اعتدت وجوده فيه، وهذا بالضبط ما شعرتُ به حين رأيت أخي يزن يطوي قميصه المفضل. لم يكن الأمر متعلقاً بالسفر، بل كان يتعلق بفكرة أن هذا القميص، وتلك الضحكة، ورائحة عطره المفضلة، كلها ستبقى ذكرى. لم أستطع مد يدي لمساعدته، كنت خائفة أن أنهار. كنت طفلة في العاشرة من عمري، كنت أعتقد أن الأخ هو العالم، والعالم لا ينتهي.

في تلك اللحظة، لم أكن أفكر في المدة الزمنية للسفر، كان تفكيري كله يتركز في جملة واحدة تمتمت بها روحي الصغيرة وهي تراقب أصابعه وهو يغلق الحقيبة: "لعلنا من بعدِ بُعدٍ نلتقي". كنت أتمسك بهذا الرجاء الهش كما يتمسك الغريق بقشة، لأني كنت أعرف تماماً أن شيئاً ما في عالمي سينكسر إلى الأبد في اللحظة التي يخطو فيها يزن عتبة الباب.

بينما كنت أقف بجانب الباب وأنا أراقب يودع أهلي بأعين مليئة بالدموع، قال لي وهو يرسم ابتسامة خفيفة:

انظري إلي، لا تحزني، أنتِ أكبر من أن تحزني الآن. سنتحدث كل يوم، وسأرسل لكِ كل ما تطلبيه.

لم أكن أعلم ما سأقوله حينها، فقط كنت أريد أن يكون ذلك حلماً...

تذكرت حينها قبل يومين كيف كنا نلعب أنا وأختي معه في الممر كرة طائرة، كم كنا سعداء حينها، وأتتني لحظة إدراك أنَّها أصبحت ذكرى.

لم أكن أدرك أن الفراق لا يسرقه شخصٌ واحد فقط، بل يسرق معه جزءاً من قدرتنا على الفرح. أصبحت أشعر أن الأيام تمضي ببطء شديد، وكأنها تتعمد أن تجعلني أتذكر كل تفصيلة صغيرة تجمعني معه.

في مساء طويل أثقلته الذكريات، رأيته أخي يامن جالسًا في زاوية الغرفة، وقلت:

أتعلم؟ غيابه أثقل قلبي...

فكان يجيبني وهو ينظر إلى الباب الفارغ:

وأنا أيضاً، فهو لم يتركنا إلا ليصنع مستقبله.

نظرت إلى الغرفة، فرأيت الكرسي الفارغ الذي كان يجلس عليه، الباب الذي كان يفتحه بسرعة، كان كل شيء صامتاً، وكأنها حزينة على غيابهِ.

قلت له:

أخاف أن يعتاد يزن على الغربة.

فأجابني وهو ينظر إلي:

ومن ينسَ أهله؟ من يذهب بحثاً عن حلم... يعود بحثاً عن حضن؟

أتعلم؟ منذ أن سافر أشعر أن المنزل ناقص، حتى الأشياء الصغيرة تبدو ناقصة.

أعلم، كل زاوية تذكرني به، كأن الغياب ظل لا يختفي.

مرت ثلاثة أيام على سفر أخي، ثلاثة أيام كانت رائحة العطر تفقد قوتها في غرفته، تحل مكانها رائحة الفراغ. كنت أجلس على كرسيه وبيدي ساعته، كنت أتذكر كيف كان يرتديها، كانت الساعة تشير إلى العاشرة ليلاً.

كانت الغرفة تطل على حديقة منزلية صغيرة، بينما ينهمر المطر برفق على الزجاج، كانت ساعة الحائط تدق بصوت بطيء.

رن الهاتف وكان رنينه يكسر صمت الليل الثقيل، وصوت المطر لا يزال يعزف نغمة الحزن على النافذة.

نظرت إلى الهاتف وإذا برقم غريب.

أنا بصوت مرتجف حاولت جاهداً أن أجعلهُ ثابتاً:

أهلاً من يتحدث؟

صوت يزن واضحاً ونقياً:

ومن يكون غير بطل القصة، كيف حالكِ يا عزيزتي؟

أنا بابتسامة كبيرة وعيناي مليئتان بالدموع:

بخير، أشتقت إليكِ كثيراً، المنزل بدونكِ أصبح كئيباً.

أخي يزن بتنهيدة عميقة...

وأنا أيضاً اشتقت إليكم كثيراً، أعدكِ أنني سآتي يوماً ما، لكن الآن عليَّ التحمل من أجل مستقبل أفضل لي ولكم.

أنا بخنفة في صوتي والدموع مليئة في عيني:

لا تنسي أن قلوبنا معك، وسنبقى ننتظرك حتى وإن طال غيابك.

يزن بصوت دافئ يختلط بالشوق:

وجودكم معي حتى ولو بصوتكم يكفيني، وجودكم في قلبي هو الشيء الوحيد الذي يبقيني ثابتاً هنا، والله ما غبتم عني لحظة.

تحدث معي طويلاً، ثم انتقل ليحدث أهلي واحداً تلو الآخر. تحدث مع أمي التي بدأت تتحدث معه بصوتها الدافئ، وكانت نبرتها منخفضة لدرجة الهمس، كانت تتكلم بلهفة تخنقها الدموع وتردد اسمه، كأنها كانت تحاول أن تلمسه من خلال الهاتف.

كانت تحاول أن تكون عملية، تسأله عن طعامه، نومه، وعن تفاصيل غرفته، كان يجيبها على كل أسئلتها باستمتاع، وكان صوته يعيد الدفء إلى البيت، ثم تحدث مع أبي، وكانت محادثته قصيرة وجادة، كانت كلها توصيات بالاعتناء بنفسه وبالاجتهاد، صوته كان فخوراً به لكنه أيضاً مليء بالحزن.

كان يسأل عن كل تفصيلة كأنه كان يخشى أن يفوته شيء، كان صوته يرتجف أحياناً، ويضعف أحياناً أخرى، كأن الغربة تأكل من روحه شيئاً.

ثم قال آخر كلماته بنبرة منكسرة:

عليَّ الآن الذهاب إلى العمل، لا أستطيع البقاء أكثر...

أمي بنبرة دافئة ومليئة بالحنان، مزيج بالحزن:

أسأل الله أن يرضى عنك.

يزن يتحدث معي وكانت نبرته أشبه بحزينة:

اعتني بنفسك يا عزيزتي، أحبكِ.

أنا ودموعي تنهمر مني:

إلى اللقاء، وأنا أيضاً أحبكِ.

ثم جاء ذلك الصوت "طق"، صوتٌ عادي لكنه كان قاسي، تذكرت حينها صوت الباب وهو يغلقه، ذلك الصوت الذي كان بداية لحظة الفراق.

لم أتمالك نفسي حينها فانهمرت بالدموع، وغرقت في بحر من الحزن، واحتضن قلبي برودة الوحدة والحرقة التي لا تنتهي.

أعلم أنه لن يعود الآن، لكن قلبي مازال يفتح الباب كلما سمع خطوة تشبه خطواته.

أصبحت أستيقظ كل صباح على غيابه، وأحاول أن أرتب يومي وكأن شيئاً لم ينكسر...

لكن الحقيقة أن كل شيء تغير...

أجلس أحياناً في المكان الذي كان يفضله، أراقب الفراغ الذي تركه وراءه، وأتساءل:

هل يشعر بفراغي كما أشعر بغيابه؟

ومع أن المسافة بيننا بعيدة، بقيت تفاصيله عالقة في ذهني، ضحكته، طريقة نطقه لاسمي، حتى الجمل التي كان يكررها بقيت في ذهني...

في تلك الليلة، جلست وحدي أمام النافذة، أدركت شيئاً وحيداً...

هو أن أخي يزن لم يأخذ معه سوى نفسه، روحه بقيت هنا، تملأ المنزل، ترافقني أينما ذهبت.

مضت ست سنوات.....

ست سنوات، منذ ذلك اليوم الذي أغلق فيه الباب خلفه وترك قلبي معلقاً بين الذكرى والانتظار.

كبرت كثيراً ليس فقط بالعمر، بل أيضاً بالصبر وبالقدرة على أن الحياة تكمل طريقها حتى ولو توقف أحدهم عن السير بجانبك.

اليوم أنا أرتب خططي المستقبلية، وضعتُ أهدافاً بدقة، الجامعة التي سأدخلها، المكان الذي أحلم به، حتى السفر... أصبحت فكرة تراودني دائماً، ربما لأفهم القليل مما شعر به في الغربة.

رغم كل هذه السنوات، إلا أن تفاصيله مازالت تسكنني، لم أعد أعيش لأجل الذكرى...

بل من أجل ابتسامة تقول لي:

"كبرتِ يا أختي وأصبحتِ أقوى"

ورغم كل الفراق...

أن قلبي مازالَ يؤمن بأن اللقاء قريبٌ بإذن الله.

لعل بعد هذا الغياب الطويل يجمعنا الله بلقاء لم نخطط له،لعل المسافات هذه، تضيق فجأة بقدرٍ رحيم، فتجدني أمامك، وأجدك أمامي، وكان الفراق لم يمر بنا...

أنا لا أملك إلا الأمل...

أمل بأن يحمل لنا الغد ما حرمتنا منه السنوات...

وأن يكون اللقاء القادم، أدفأ من كل البكاء الذي تركه رحيلك...

الكاتبة: يمانة محب الدين

"صدى الغياب"

لم يكن الفجر يومًا قادرًا على تهدئة الأرض حين تستيقظ مذعورة من ليلٍ أثقل صدرها. ففي ذلك الصباح وُلد الصمت كوحشٍ خفي، يمسح بأقدامه آثار الأمس، ويترك الأشياء معلّقة بين زمنين؛ زمنٍ لم يكتمل، وزمنٍ لا يريد أن يبدأ.

كان المكان واسعًا، لكن الاتساع نفسه بدا محاصرًا بنبضٍ غريب. كأن الهواء يتذكّر شيئًا فقده، ويصرّ على البقاء مشدودًا إلى حافةٍ لا تُرى. لا أحد هنا سوى الظلال التي تعبر أحيانًا كأثرٍ لشيء لم يعد موجودًا، وكأن الماضي يحاول أن يتسلّل تحت باب لم يعد مفتوحًا.

ومع أول خطوة في هذا الامتداد، بدأت الأرض ترتجف ببطء، ارتجافًا لا يسمعه أحد، لكنه يُشعر الداخل إليه أن كل حبة تراب تخفي حكاية لم يُطق أحد سماعها.

في ذلك الفضاء، كانت الريح تتكلّم.

ليس بالكلمات التي يعرفها البشر، بل بالهمس الذي يوقظ وجعًا نائمًا في العمق.

تمرّ الريح فوق الصخور، بين الأشجار اليابسة، على السطوح المقفرة... تحمل شيئًا يشبه النواح، لا يُدرى أهو نحيب الأرض أم نحيب ما دفنته الأرض.

كل خطوة تُسمع وكأنها تُطرَق على صدر الزمن ذاته.

الطريق الذي يبدو مستقيمًا يُخفي انحناءات لا تُرى، وكل منعطف يفتح بابًا إلى ظلام أعمق، ظلامٍ يشبه ذاكرة اتّسعت حتى اختنقت بما حفظت.

ومع التقدّم، يفقد الضوء قدرته على أن يكون ضوءًا.

يتحوّل إلى خيط باهت، يهتزّ كما لو كان خائفًا، ثم ينطفئ فجأة كما تُطفأ رغبة في الكلام حين تستيقظ الحقيقة.

كان المكان يمتدّ إلى ما لا يحصى، وكأنه لا يخضع لأي قياس.

الأرض هنا ليست أرضًا بالمعنى المألوف، بل طبقات من الألم المتراكم، مغطاة بقشرةٍ رقيقة من الصبر.

أحيانًا، تتشقّق تلك القشرة، فتنفجر من تحتها رائحة تشبه الرماد المبتلّ، رائحة ليست نتنة ولا طاهرة، بل عالقة في منتصف الطريق بين الحياة والموت.

في البعيد، يرتفع صوتٌ لا يشبه صراخًا ولا موسيقى.

صوتٌ لا يمكن نسبته إلى مخلوق أو حجر.

يبدأ خافتًا، كأن الأرض تتنهّد، ثم يتصاعد تدريجيًا حتى يغدو أقرب إلى بكاءٍ طويل، بكاء بلا دموع، بلا شهود، بلا عزاء.

ذلك الصوت لا يطلب شيئًا…

ولا يعد بشيء…

إنه فقط يذكّر السائر بأن كل ما تقدّم إليه، وكل ما تراجع عنه، قد سُجّل في مكانٍ ما، مكانٍ لا يخطئ ولا يغفر.

على أطراف هذا الامتداد، تنتصب هياكل غامضة، ليست بيوتًا ولا أطلالًا.

أعمدة مائلة، حجارة متآكلة، جدران فقدت شكلها حتى صارت أشبه بخيالات الإجهاد.

لا يُعرف هل كانت يومًا مأوى، أم شاهدًا على حدثٍ لم يحتمله المكان فمزّق نفسه.

عند الاقتراب منها، ينبض الهواء حولها.

نبضة واحدة فقط، لكنها تكفي لزرع خوفٍ كثيف، خوفٍ لا يأتي من الخارج بل ينبت من الداخل كالعفن.

كأن هذه الهياكل تحفظ ما لم يعد أحد يجرؤ على تذكّره.

وبين الحجارة، تنمو أعشاب ذابلة، تتحرّك دون ريح، وتصدر أصواتًا تشبه حفيف أقدامٍ تتجوّل بلا جسد.

كلما ازداد الاقتراب منها، تلاشت الأعشاب… ليس هربًا، بل كأنها تُسحب إلى باطن الأرض بقوة خفية.

في هذا المكان، لا يوجد زمن.

الكلمات التي يقولها اللسان لا تُسمع، والوقت لا يمرّ، بل يتكوّر حول نفسه كحلزون عجوز.

لحظة واحدة يمكن أن تتسع لعمرٍ كامل، وساعة كاملة يمكن أن تعبر دون أن يشعر بها أحد.

ووسط هذا اللازمن، يظهر الطريق.

طريق طويل، أضيق من أن يكون ممرًا، وأوسع من أن يكون خُطى.

يمتدّ إلى الأمام، لكنه يلتهم الخلف بلا رحمة.

فمن يخطو فيه، يفقد القدرة على معرفة كيف بدأ، ولا يعرف إن كان سيتمكن من إدراك النهاية.

الطريق لا يعد بشيء.

ولا يهدّد بشيء.

إنه فقط ينتظر.

وحين يصل السائر إلى المنتصف، تحدث المفاجأة التي لا تُعلن نفسها، بل تتسلّل كما تتسلل اللحظة الأخيرة في حياةٍ مُنهكة:

يتوقّف كل شيء.

الهواء.

الأرض.

الصوت.

الصدى.

وتبدأ الأرض بإصدار نبضٍ ثقيل، نبض يجعل كل شيء حولك – حتى الأشياء التي لا حياة فيها – تهتزّ كقلب خائف.

ثم تنهار السماء فجأة.

لا تمطر، ولا ترعد، ولا تبرق…

بل تفتح نفسها من المنتصف، كجرحٍ قديم أُجبر على الانشقاق.

ومن ذلك الانشقاق، ينفجر ضوء لا يشبه أي ضوء، ضوء قاسٍ، يفضح الأشياء كما لو يعري أسرارًا كانت الأرض تخفيها منذ قرون.

ليس نورًا هادئًا، بل نور يصفع النظر ويصعق الروح.

عند تلك اللحظة، لا يعود الطريق طريقًا…

ولا يعود المكان مكانًا…

بل يتحول كل شيء إلى سؤال واحد:

لماذا كان الغياب أثقل من الحضور؟

وتستمر الرحلة…

لا نحو وجهة، ولا نحو خلاص…

بل نحو إدراكٍ مُفزع:

أن ما يخيف الإنسان حقًا ليس الظلام…

ولا الوحدة...

ولا الصدى...

بل الحقيقة التي كشفتها الأرض حين انشقت:

أن شيئًا ما كان ينتظر عودته منذ زمن طويل...

وأن الطريق، بكل قسوته، مجرد جسرٍ يقود إلى الغياب الأعظم، الغياب الذي لا يزال حيًّا، يتنفّس، ويهيّئ نفسه لاستقبال من يعبر إليه.

لم يكن العبور نهاية الطريق، بل بداية لانكشافٍ أعظم.

فبعد أن انشقت السماء وابتلع الضوء صمت الأرض، عاد كل شيء إلى سديمٍ رماديّ، كأن الكون كله قد أغمض عينيه للحظة لا يريد أن يرى فيها أحدًا.

وللمرة الأولى، بدا الطريق نفسه وكأنه يتراجع، كأن الأرض تريد استعادة ما سمحت له بأن يتقدّم.

في ذلك السديم، لم تعد الخطى تُسمع.

صار السير أشبه بانزلاقٍ داخل حلمٍ ثقيل، حلمٍ لا تنتمي إليه الروح ولا يعرف الجسد كيف يخرج منه.

والأغرب أنّ الهواء هنا فقد كل صفاته؛ لم يعد ساخنًا، ولا باردًا، ولا يحمل رائحة.

كأنه هو الآخر يُمحَّى تدريجيًا، يُفرَّغ من معنى الوجود.

وفي هذا الفراغ، ظهر الصدى.

لم يكن صدى صوت...

ولا صدى حركة...

بل صدى شيء مفقود.

شيء كان يجب أن يكون هنا، لكنه غاب منذ زمن، غيابًا ترك خلفه فراغًا يئنّ.

كل موجة من الصدى تمرّ فوق الجلد كأنها تفتّش عنه، تبحث في العظم، في الذاكرة، في المساحات المعتمة التي لم يطأها أحد.

ومع كل نبضة من ذلك الصدى، يرتجف المكان.

كل ارتجافة تكشف ما تحت سطح الظلام:

شقوقًا خفيفة كأن الأرض تنفّست بقوة،

خطوطًا رفيعة كأن الزمن نفسه قد تصدّع،

وومضات باهتة تظهر للحظة ثم تنطفئ، تحمل في داخلها صورًا غير مكتملة، صورًا لانكسارات لم يعُد أحد قادرًا على احتمال رؤيتها.

ثم جاء الظلّ.

لم يكن ظلًّا كظلّ الأجسام، بل ظلّ معنى.

امتدّ على الأرض كستارةٍ تتماوج، كأن العالم كله يخاف مما يقف خلفه.

وبمجرد ظهوره، بدأ الضوء يتراجع أكثر، لا هربًا منه، بل اعترافًا بأن هذا الظل ليس شيئًا يمكن مقاومته.

ذلك الظلّ كان يتقدّم ببطء…

ليس ككائنٍ يسير، بل كحقيقةٍ تتكشّف.

كلما اقترب، تحرّكت الأرض تحته بخفوت، كأنها تستقبل عودة طال انتظارها.

ومن داخله، بدأ صوت جديد يخرج.

صوت لا يمكن تحديد مصدره، لكنه ليس صوت الأرض ولا صوت الريح:

صوت يشبه الذاكرة حين تنفجر.

ذاكرة لم يُكتب لها أن تُروى من قبل.

وفي لحظة، انفتح الظلّ كفمٍ عظيم.

لم يكشف عن ظلام… بل عن شيء أخطر:

عن ضوءٍ مختنق، ضوءٍ كان محبوسًا منذ زمن بعيد، لا يعرف إن كان ما زال نورًا أم أصبح جزءًا من العتمة.

في هذه اللحظة، يعود السؤال الذي حاول الطريق إخفاءه:

هل كان الظلام ظلامًا حقًّا؟

أم كان مجرد غطاءٍ لحقيقة لم تجرؤ الأرض على السماح لها بالظهور؟

فالضوء المختنق الذي انكشف بدا وكأنه يحمل صورًا متكسّرة:

أطياف أماكن سقطت من الذاكرة،

أزمنة انزلقت من يد الزمن،

وأثر لشيء كان حيًّا ثم تجزّأ إلى شظايا من صمت.

وكلما تلاشى ذلك الضوء، عاد الصدى أقوى،

أقرب إلى أن يكون بكاءً،

لكن ليس بكاء فقد…

بل بكاء عودة.

كأن الأرض تقول:

ما غاب يعود.

وما عاد يُغيّر كل شيء.

ثم حدث ما لم يتوقّعه الطريق نفسه.

الأرض، التي كانت صلبة، بدأت ترتخي.

تحوّلت إلى شيء بين الرمل والهواء، شيء يمكن أن يغرق فيه القدم دون أن يسقط.

والسماء، التي انشقّت، بدأت تُغلق جرحها ببطء، كأنها تخيط نفسها بخيوطٍ من ظلام.

وفي اللحظة التي بدا فيها كل شيء على وشك الانطفاء،

انبعث من الأعماق صوت واحد،

صوت لا يشبه شيئًا سُمع من قبل:

"عاد ما كان غيابًا… فهل يعود من كان حضورًا؟"

كان السؤال موجهًا للعالم كله،

للطريق،

للظل،

للصدى،

للأرض التي تحتفظ بالسر،

وللخطوات التي وصلت أبعد مما يسمح به العقل.

وما إن انتهى الصوت،

حتى عمّ سكون لا يشبه أي سكون عاشه المكان من قبل.

سكون لا يعني نهاية...

بل انتظارًا لشيء أكبر،

أعمق،

أطول...

شيء يبدأ حيث انتهى هذا الجزء.

كأن الطريق يقول:

لم يبدأ الحكاية بعد

الكاتبة: سُميّة طالب

"الغابة التي تبتلع الأصوات"

كان هناك أربعة أصدقاء يقطنون مدرسةً داخلية بعيدة عن المدينة. كانوا يعيشون في غرفة واحدة، يتشاركون ذكرياتهم وأحلامهم وآلامهم، ويتسامرون طوال الوقت. أسماؤهم: نور، وآدم، وليا، وسامي.

في أحد الأيام، أخبرهم الأستاذ عن غابةٍ مخيفةٍ قريبة، يُقال إنها تسلب أصواتَ الداخلين إليها، ولم يجرؤ أحدٌ على دخولها منذ عشرات السنين. دبّت روح المغامرة في قلوبهم، وتغامزوا بنظراتٍ خفيّة، ثم عادوا بعد انتهاء الدوام إلى غرفتهم، حيث تبادلوا الأحاديث والضحكات. وبينما كان آدم يخطّط في عقله لرحلةٍ سرّية إلى تلك الغابة، بدا كأن الجميع قد سمع صدى أفكاره، فانطلقوا يتحدثون عنها في آنٍ واحد.

قال سامي بفضولٍ لا يُكبح:

«سنتحدّى الصعاب ونذهب إلى تلك الغابة، فضولي يكاد يقتلني».

فاعترضت نور بحدّة:

«يا لكم من أغبياء! الجميع يحذّركم من تلك الغابة، وأنتم تخطّطون لدخول ظلامها!».

أمّا ليا، فقد كتبت في دفترها الصغير: «نحن في هذه المدرسة لسنا مجرد طلاب، بل عائلة صغيرة تبحث عن أسرارها». ثم أغلقت الدفتر وقالت بحماس:

«يا لها من فكرة عظيمة! أكاد أشتعل من الحماس... هيا لنتّفق».

وفي صباح يومٍ غائم، جلسوا يتثاءبون وقد بدا الملل على وجوههم. لكن سرعان ما تبدّد الملل حين كشف آدم عن خطته:

«المشرفون لن يسمحوا لنا بالخروج، لكن بعد منتصف الليل سيكون الوقت مناسبًا. سنتسلّل من النافذة الخلفية، ونعود قبل أن يلاحظ أحد».

وافق سامي بحماس:

«أنا مستعد... سأجهّز الحاجيات».

وردّت نور وليا بصوتٍ واحد:

«هيا بنا!».

وعند منتصف الليل، تسلّلوا من نافذة صغيرة في نهاية الممر الخلفي، يحملون مصباحًا ودفترًا لتسجيل ما سيحدث. دخلوا الغابة بخطواتٍ مترددّة، يضحكون بخفوتٍ على مغامرتهم الخطيرة. بدا كل شيء طبيعيًا في البداية، لكن سرعان ما بدأ الصمت يطغى، شيئًا فشيئًا، حتى ابتلع أصواتهم. ذابت الضحكات، وصارت الكلمات تخرج بلا صدى. تبادلوا النظرات المذعورة، ولم يبقَ للتواصل بينهم سوى العيون.

بدأت قلوبهم تخفق بشدّة، والخوف يقرع طبول صدورهم حتى ارتجفت أرواحهم. توغّلوا أكثر فأكثر، حتى وجدوا جذع شجرة منقوشًا عليه كلماتٌ غامضة. اقتربت ليا ولمست النقش، فإذا بأصواتٍ غريبة تتناهى إلى مسامعهم: همسات رجال، وصراخ أطفال، ودندنات نساء... وكأن الغابة تحتفظ بالأصوات كذكرى أبدية.

ارتجفوا رعبًا، وبدأت الشكوك تسيطر عليهم. وفجأة، اختفت نور من أمامهم؛ لم تصرخ، ولم تلوّح، بل تلاشت بين الأشجار وكأن الغابة ابتلعتها. بحثوا عنها بلا جدوى، وكأن الأرض أطبقت على سرّها.

أدركوا أنهم إن لم يهربوا سريعًا فسوف يلقون المصير نفسه. لكنهم شعروا بنعاسٍ غريب، كأن أحدًا دسّ لهم منوّمًا. ارتخت جفونهم، واستسلموا للنوم تحت الأشجار، والصمت يخيم كستارٍ غامض.

وبعد برهة، أشرقت الشمس على وجوههم المرهقة. فتحوا أعينهم بدهشة، ليجدوا أنفسهم خارج حدود الغابة، وكأنها لفظتهم بعد أن احتجزتهم في أحشائها. عاد إليهم صوتهم المفقود، لكن بقي في قلوبهم أثرٌ لا يُمحى: صديقتهم نور التي لم تخرج معهم، وسرّ الغابة الذي ظل مكتومًا.

عادوا إلى المدرسة مطأطئين رؤوسهم، مثقلين بالحزن والندم. اكتشف المشرفون غيابهم، فعاقبوهم بشدّة، ثم أعادوهم إلى أهاليهم. ومنذ ذلك اليوم، ظلّ صدى غياب نور يلاحقهم إلى الأبد، كجرحٍ لا يندمل، وسرٍّ لا يبوحون به.

الكاتبة: هيام فرواتي

"في سجن الوجود"

سيرة الطبيبة المعجزة على مذبح العالم المتوحش

لا تبدأ الحكاية من بداية، فهي شرطٌ وجوديّ سابق على الذات، وُلدتُ فيه كما يُلقى بالمرء في عالمٍ لم يختره. وجدتُ نفسي مُلقاةً في زمن الاغتراب، حيث لا تطابق بين نداء الداخل الإنساني المشبَع بالخير والسلام، وصراخ العالم الخارجي المتوحش. لم تكن البراءة مجرد سمة في ملامحي، بل كانت كينونةً جوهرية اصطدمت بعالمٍ جعل من حياتها مأساة متجسدة، ومن أوجاعها مصيرًا محتومًا.

كان إدراك الذات صاعقةً وجودية: أنا هي تلك المقيّدة. فالكائن الذي يكتب هو ذاته الموضوع الذي يُكتَب عنه؛ تُسكب حروفه من نار المعاناة، بأصابع تائهة عن اتجاهها الحقيقي في فضاء العبث. وفي ظلمة الليالي، لم يكن القرار سوى استسلامٍ مأساويّ لقدر الحزن، ومحاولة يائسة للتطبّع مع عالم الوحوش. لكن كيف للكينونة التي تتوق إلى السلام الأنطولوجي أن تتقبّل العيش في صراعٍ دائم؟ كان السؤال الميتافيزيقي الأليم: ما الذي يمكن تغييره في واقعٍ مفروض سوى قبوله بدمعٍ لا ينضب، دمعٍ بركانيّ يعبر عن ألمٍ لا يهدأ؟

انهمرت الثواني فالدقائق فالشهور، كسلسلةٍ من الآلام المتعاقبة، بينما كان العالم يزداد توحشًا. هذا العالم المتوحش يتعالى على الوصف؛ تعجز اللغة العربية بمصطلحاتها، وتعجز الدموع المحروقة عن الإمساك بجوهره. إنه كالشيطان اللامتحقق، شبحٌ ملاصق للوجود.

ومن رحم هذه العبثية، وُلدت الإرادة إلى الحياة عبر الإرادة إلى الشفاء. لم يكن هدفي الشهرة، بل تحويل المعاناة الذاتية إلى تعاطفٍ كوني. أصبحتُ طبيبةً لأعالج الناكرين (المنفيين) مثلي، أولئك الذين تألموا من العالم المتوحش ولم يجدوا يد العون. أردتُ أن أترك أثرًا قبل الرحيل إلى مقبرة الموت الراقصة، تلك الرقصة السوداوية للعدم. كان هدفي الأنطولوجي بذر بذور السلام والمحبة في تربة العالم القاسية. لكن العالم لا يحتمل أمثالي؛ فهو محكومٌ بـ صراع الإرادات الأبدي، حيث الخير في مواجهة دائمة مع الشر، وأنا في قلب هذه المعمعة أحاول المقاومة.

بدت المقاومة نفسها عبثية أمام هذا الوحش الجمعي. لكن من خلال التفكير الطويل، قررتُ الانتفاض. لم تكن انتفاضة جسدية فحسب، بل كانت انتفاضة الوعي التي ترفض الهزيمة، وتنهض من كل سقوط، محاولةً تحويل الألم إلى فعلٍ مبدع. حاولتُ الهرب من هذا العالم الذي يخنق الكينونة من كل اتجاه، ويحاصر العقل والقلب معًا. حتى الأقارب تحولوا إلى حراسٍ للعار، ينتظرون الزلة لتبدأ مسرحية الإدانة التي لا تنتهي.

أصبحت ساحة المعركة داخلية: حربٌ ضد الأفكار والأوهام، وعقلٌ لا يكفّ عن التشوش. وفي العتمة الوجودية، وجدتُ نفسي وحيدة، تهاجمني أطياف الخيال، ويغمرني الحنين إلى الديار رغم أنني في الديار! إنه اغترابٌ عن الذات والوطن معًا.

ولربما تُشفى الجراح، وإنما يبقى لها بعد الشقاء ندوب. الجرح الأنطولوجي يترك ندوبًا على الروح. وإذا لم تكن عالمًا ناطقًا، فكن مستمعًا واعيًا. حتى الأحلام، ذلك الملجأ الأخير، أصبحت توقظ الجراح. حاولتُ الهرب عبر

وهم اسمه الأمل، لكنني أخفقت. ازدادت القسوة، حتى في هذه الكلمات. أدركتُ كم آذيت نفسي، وكم كانت استحالة تغيير النهايات الجاهزة. من أين آتي بـ الطمأنينة الوجودية لأعبر إلى الضفة الأخرى؟ التعب ليس في الأيام، بل متأصلٌ في الكينونة.

قررتُ أن أنهي حربي مع الوهم والقلق ونظرة الآخر القاسية. وقلتُ للباحثين عن عيوبي: وما البدرُ في نقصانه إلا هلال. فالكمال لله وحده، والنقص سمة الوجود الإنساني.

وبعد هذا الإصرار، أصبحتُ طبيبةً ماهرة. لكن مهارتي لم تكن تقنية فحسب، بل كانت فلسفة علاجية: كنتُ أدخل إلى القلوب قبل الأجساد. العلاج يبدأ من الداخل؛ كانت هذه قاعدتي الجوهرية. لقد حولتُ جسدي وكياني إلى أداةٍ للشفاء.

تحقق الحلم، لكن الفراغ الأنطولوجي بقي قائمًا في جوفي. حاولتُ ملء هذا الفراغ بزرع السعادة في قلوب المرضى، ومنحهم الأمل والطاقة. لكن حتى هذا العطاء لم يمنحني السعادة المطلقة أو الطمأنينة التي كنت أتوق إليها. كأنني في معركة غير مرئية، أشعر بالغربة في كل مكان، كائنٌ لا ينتمي إلى مكان أو زمان.

يظنّونني غريبة الأطوار، أو مجنونة. أتمنى لو أستطيع مشاركة ما في خلدي، لكنني أعلم أن اللغة تعجز، وأن الوحدة الوجودية قدرٌ محتوم. سأظلّ وحيدة في معركتي، حاملةً همّ الوجود بداخلي، مليئةً بالانهيارات الصامتة، في انتظار يومٍ أفهم فيه نفسي، أو أجد الآخر الحقيقي الذي يفهمني بلا كلمات.

وفي نهاية المطاف، تزوجتُ الحزن. لقد قبلتُ سجني الأبدي. وهكذا، أقتل نفسي ببطء؛ ليس قتلًا جسديًا، بل استسلامًا بطيئًا للكينونة أمام عبء الوجود. إنها موتة روحية يومية، هي الثمن الذي ندفعه لأن نكون... ولا نكون، في عالمٍ لا يرحم.

الكاتبة: إسلام طه الشريف

"توليبٌ بَيْنَ الرُّكَام"

{۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ¤ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا}

صدح صوتُ المنبه أرجاء الغرفةِ بتلك الآية، مشيرًا للسَّاعةِ الرابعة فجراً، نهضتُ أطفأتُه واتجهتُ لأتوضأ استعدادًا للصلاة. أكثرُ صلاة أرتاحُ فيها هي صلاة الفجر؛ السَّكينة التي تتملَّكُني حينها لا أشعر بها في أيِّ وقتٍ آخر. صلَّيتُ فرضي، وتلوتُ وردي القرآنيّ، وقرأتُ أذكاري. أصبحت الساعةُ السابعة والنّصف، أقفُ أمامَ مرآتي أضع آخرَ مشبكٍ في حجابي للمغادرةِ لعملي الذي أحب!

شردتُ في ملامح وجهي، الهالات اختفت تقريبًا، قلَّ عدد البثورِ والحبوب، ما زالت بشرتي تحاول إعادة انتعاشها وصفائها، تعمَّقْتُ في عينيّ، عادَ بريقُهما ولمعتهما المميزة. لا بأس، تقدّمٌ جيّد، على الأقل أبدو أنني فتاةٌ ذات ثلاثٍ وعشرينَ ربيعًا، لا عجوزًا في عمر الثمانين كمظهري سابقًا. تنهدُّتُ تنهيدةً طويلة، ثمَّ ابتسمتُ ابتسامةَ قائدٍ محارِب خرجَ من المعركةِ منتصرًا، وغادرت.

قبل خمس سنواتٍ من الآن:

تك تاك تك تاك...

صمتٌ مهيب، وليلٌ ثقيل، لا شيء سوى صوتُ ساعة الحائطِ المزعجة، تخترقُ مسامعي من الخارج. لكن العواصفُ والضجيجُ هنا ينبعُون في أعماقي فحسب. وحيدةٌ رغم وجودِ الجميع، لا أشعر بوجودهم، بل لا أريد أن أشعر...

نظراتُهم، وجودهم، كلماتهم الملغومة، حديثهم المسموم المغلَّف بالطيبةِ المزعومة، سكاكين تمزِّق قلبي ببطءٍ شديد. أجلسُ في زاويةِ غرفتي حيثُ عزلتي، وأجرُّ خيبتي ورائي، أضمُّ ركبتيّ إليّ، تارةً أبكي وتارةً أحدِّق في اللاشيء. كل ذلك بدأ منذ انهارَ كلَّ شيء، لا بل من قبل، قبل اثني عشرَ عامًا حينَ بدأتُ أحلم ورسمتُ آمالًا وردية وبنيتُ أحلامي حلمًا حلمًا، وفي كل مسعى كنتُ أقدِّم شيئًا مني، من روحي، من راحتي، ومن عمري...

حتى أتى يومٌ إن رأيتُها تتحطّم أمامَ عينيّ، مرَّ شريطُ حياتي قُبَالَتِي، مرَّ سهري الطويل، مرضي، وحدتي، انهياراتي، بكائي المستمر، تعبي، ومعاناتي، قوتي بعد ضعف، تفاؤلي بعد استسلام، صبري بعد يأس، قربي واستعانتي بالله بعد بعد، دعواتي التي لم تنقطع يومًا، وأكثر من ذلك بكثير لأصل لأحلامي وأثبتُ نفسي. بكيتُ حينها كما لم أبكِ يومًا، لم أبكِ وحدي، بل انفطر قلبي بكاءً، تمزَّقت روحي أشلاءً، انكسرت كما لم أذق طعم الانكسار قبلاً، انهرتُ، اعتزلتُ نفسي والعالم، اكتأبت، يئست، تحطمت وتهشّمت، أبقى حيثُ لا أحد، ليلٌ دامس، وقمرٌ يراقب صمتي، ينتظر حديثي اليوميّ إليه المفقود الآن.

نهضتُ وأنا أرتعش، صرختُ بكلِّ ما أوتيتُ من فتاتِ قوّةٍ باقية، بكيتُ بحرقة، رثيتُ نفسي، علا صوتُ شهقاتي، وازداد نحيبي. قمتُ بتكسير كل ما في الغرفة، ثمَّ لحظةُ صمتٍ قاتلة. لست أنا، أجهلني، لا أعرفني، أفتشُ في نفسي عن بقايا تشير إليّ، إلى وجودي. لا شيء، لا أرى سوى تشوُّهٍ غريب. أركض بين جدران بيتي أبحث عن أثر لمرآة ما، وجدت قطعة زجاج من النافذة التي كسرتها، لا بأس بها ستفي بالغرض رغم جرحها لي وسيلان الدماء بغزارة من يدي، لا بأس أيضًا لأجد نفسي وحسب. لم أجد... لمن هذا الجسد إذاً؟ والروح؟ والقلب والعقل وكل ما هو موجود؟ لا التفكير تفكيري، ولا العقل عقلي، ولا التركيز تركيزي، لا شيء مما هو باقٍ يمتُّ لي بصلة!

أنظر للمرآة نظرةً أخرى، أرمق هذا الوجه الغريب عني. عينان منطفئتان كانطفاءِ سائر الجسد. لستُ أنا، فلم أنطفئ هكذا يومًا، دوماً ما كنت كفراشةٍ خفيفة تخرجُ للتوّ من شرنقتها، دوماً ما كنت كزهرةِ توليب، رغم الانغلاق مبتهجة. أُلقي نظرة على باقي الجسد لعلّي أجد شيئًا لي: أكتاف منحنية، يدان مرتجفتان بشدة، ساقان لا تقويان على الوقوف، دموعٌ متحجّرة، ظلامٌ دامس شديد تحت العيون. أرى التعب والإرهاق الشديدين، من هذا الشخص؟ أمعني النظر يا فتاة لعلك تعرفينه، غريب جدًا، يبدو شبح شخص عاد من الموت للتو! لا يشير إلى أنه

حي سوى تلك الدماء التي ما برحت تسيلُ منه! أمعني النظر إلى ما وراء هذا الجسد، لا يوجد دماغ، نصف قلبٍ مشوّه ينبض بترنيمةٍ خاصةٍ غريبة، ماذا أيضًا؟ لا شيء آخر، لا شيء أبدًا!

هذا المنزل مسكون، خذي قطعة الزجاج تلك واذهبي إلى مكان آخر بعيد ناءٍ عن هذه المنطقة، لكنّي لا أستطيع الوقوف ولا حتى الحراك، أشعر أنَّني شُلِلت. لا بل تستطيعين، ازحفي زحفًا، خيار لا بأس به، أجل المنزل مسكون. وماذا الآن وقد ابتعدت؟ أأعيد النظر رغم علمي بما سأرى؟ أخشى النظر، فالشعور ذاته! لكن نظرة واحدة فقط لن تؤذي، لازال حال المنظر نفسه: العينين، اليدين، القدمين، الساقين، القلب، الدماغ، الجسد، كل شيء على حاله. خدعتُ نفسي بنفسي، بل شخص آخر، وصوت خارجي. مع من أتحدث؟! لا يوجد دماغ لأفكر به! بالتأكيد، هذا ليس تفكيري! اخرج من رأسي، اخرج! أتوسل إليك، لم أعد أحتمل أكثر، ارحمني واخرج! بدأت أتخبّط بين جدران قلبي أبحث عن شيء ما بين الركام، لا أعلم عما أبحث بالضبط، لكن هناك كثيرٌ من الحروب يبدو أنها قامت على هذه الأرض.

كيف هذا الجسد ما زال على قيد الحياة؟ لقد أخطأت حين ظننت أنَّ النظرة الواحدة لن تؤذي! بل آذت وجرحت و... قتلت! ما زالت يداي تنزفان! لماذا لا أشعر بالألم؟ ثم... كل هذه الدماء في جسدي؟ لماذا أشعر بالدوار طوال الوقت إذاً؟ لقد علمت من البداية أن الجسد ليس لي، لكن الآن الدوار يزداد، رأسي يؤلمني، لا أرى سوى صورة تزداد ضبابية، لم أعد أستطيع الحراك حقًا. هذه المرة ثم... ثم هناك شخص قادم، شبح، ابتسامة غريبة على شفتيه، من؟ أعرفك، صدّقني أعرفك! لا تساعدني، أرجوك! لماذا لا أستطيع الكلام؟ أريد الصراخ، لا يخرج صوتي، لا يخرج، لكن هذا أفضل على أي حال، قد أرتاح الآن. الشخص يقترب، آآآه عرفتك معذّبي، عرفتك! لم تستطع إحيائي، اقترب، ادفِنّي ووارني التراب على الأقل... قاتلي!

حاولتُ بعدها فتح عينيّ وأنا أشتم رائحةً أكرهها: منظفات؟ لا، لا، معقّمات! وجدت نفسي مستلقيةً على سرير غرفة مجهولة، حدقت في السقف الأبيض مليًّا، ثم نقلت بصري ببطء شديد في الأنحاء... المستشفى! صداع رهيب لا يمكنني تحمله يتملكني، جسدي لا أقوى على حركته، فُتِح باب الغرفة ودنا رجل يرتدي المريول الأبيض، وعلى وجهه ابتسامة بشوشة، يحدّثني وهو يفحصني ويلقي نظرة على المحلول المعلّق جانبي:

كيف حالك الآن؟

لقد أحضرك والداك إلى هنا البارحة وأنت فاقدة الوعي، لديك انهيار عصبي حاد، ابتعدي عن كل ما يزعجك ويقلقك، تركت والداك خارجًا لحاجتك للراحة التامة، اليوم سيتم إخراجك لتعودي للمنزل. إذا احتجتِ لمساعدتي في شيء مستقبلاً، تعالي إلى هنا.

خرج وأغلق الباب خلفه، وما زلتُ لا أستطيع التوقف عن التفكير.

مرَّ يوم... أسبوع... شهر... شهران... ثم ماذا؟ أأبقى هكذا؟

لقد مللت! أجل، أشعر بالملل من كل شيء، من الأيام الرتيبة، من الروتين السخيف، من الألم الجسدي والنفسي الذي لا يفارقني، أتقطّع إربًا إربًا لوحدي في قوقعتي، انهار كل ما عملتُ على بنائه لأعوام، قد غيّرتني السنين حقًا. أنظر في المرآة باحثة عن تفاصيل شكلي القديم، فأتوه في تفاصيل شكل غريب عني، أجهل نسبه، تجاعيد روحه ظاهرة، سواد كثيف حول عينيه، أكتاف منحنية، قلب محطم، وعقل...؟؟ لا أعرف ما حدث له، يبدو وكأنه قد كان في... لا أعلم، لا أستطيع أن أصف لك مدى قبح ما رأيت، يبدو وكأنه قد ذاب، لا لم يكن ذائبًا بالكامل، بل جزء منه، والجزء الآخر أشلاء وبقايا من صور قديمة وأحلام مهترئة وذكريات محترقة ومشاهد أدت به إلى الجنون. أسأل نفسي: هل هذا حقًا أنا؟ لا، لست أنا، إنه شخص آخر، لكن من؟ لا يوجد غيري أمام المرآة، أعاود البحث مرة أخرى فيها علّني أراني، فلا أفعل، أصعق! إنني أنا، متى أصبحت هكذا؟ ومتى تغيّر شكلي؟ أنظر إليّ للمرّة التي لا أعلم رقمها، أتساءل: هل أشبهني؟ أبحث في تفاصيل وجهي، أركّز فيما تبقّى من روحي، وألقي نظرة على أشلاء قلبي، وأتفقد حطام عقلي، لا أكاد أعرفني.

حين وقفت أمام مرآتي التي اعتادت وقوفي الطويل أمامها، سمعتها تسألني: "من أنت؟ من أنا؟" لم تتعرف عليّ حتى! لذا ألقيت مرايا المنزل خارجًا وأعطيتها للبائسين أمثالي، علّهم يكتشفوا في أنفسهم ما اكتشفته في نفسي،

شيء يدفعني لأن أحضر مكنسة وأنظف من عقلي وقلبي وروحي وجسدي ما ألقيته في مهملات الماضي وما وضعته في صندوق الأرشيف للعودة إليه لاحقًا. وما عدت، لكن تقطعت أوصالي وعروقي، وما عُدت قادرة على تنظيف ما أهملته في قائمة الأولويات السابقة الزائفة. أتراني أبتسم؟ فقد رسمت ابتسامة على وجهي في وقت ما ونسيت تفقدها مرة أخرى، لكنني أوصيتها أن تبقى، فلم يعد إظهار البؤس والشقاء للناس أمرًا مجديًا. أنا لست هنا، إنني في مكان آخر، بعيدًا جدًا عن هذا المكان الغريب الذي لم يعد يلائم روحي، لكن هذا لم يعد مهمًا، لا شيء مهم.

متى آخر مرة نمت فيها جيدًا يا ترى؟ لا أتذكر. إنني أتألم، لا تستخف بي ولا تضحك على عشوائية حديثي الممل البائس مثلي، أو لا بأس اضحك، لم يعد هذا مهماً على أي حال، فالكثير استهزأ بي سابقًا وأمامِي، ولم أحرّك ساكنًا. أألومك وأنت أنا؟ أنا؟ أحدّث شخصي! لا بأس، أمرٌ عادي، قد تستطيع نفسي مساعدتي. اسمعي، أتسدي إليّ معروفًا؟ أخبريني أولًا: هل أنا على قيد الحياة يا ترى؟ ثم إن كنت كذلك فسأعطيك ما تبقى مني هدية، احتفظي به في أحد الصناديق المنسية، أو ارمني على قارعة الطريق! لا بأس. أتتذكرين حلمي؟ لقد اختفى سرابه منذ زمن بعيد...

انقضت السنة الأولى من جامعتي وأنا على حالي، ألقي اللوم على نفسي في كل ما حصل. باءت كل محاولات من حولي لإخراجي مما أنا فيه بالفشل: "لا تقلقي"، "كل شيء على ما يرام"، "اهدئي"، "اطمئني"، "لا بأس"، "اضحكي تضحك لك الدنيا"، "هوّني عليك"، "انسي"، "تناسي"، "ستعود الأيام الجميلة"، "ستكونين أقوى"، "الصعاب والعثرات تقوّي المرء"، "غدًا كل شيء يهون"، "ستعيشين بسعادة يومًا"، "سيأتي شيء يعوّضك ويمحو لك كل ذكرى سيئة"، "غدًا ستنسين كل مُر"، "أنت فراشة، والفراشة لا تتوقف عن التحليق أبدًا"... وجميعهم على أوتار الكذب يعزفون، كخياطة الجرح دون تطهيره.

دائمًا في قوقعتي، أختبئ فيها من كل شيء، أهرب إليها كلما شعرت بالحاجة للبقاء وحدي: لحظات خوفي، فشلي، ضعفي، قلة حيلتي، ألمي، أنيني، جميعها شهد عليها جدارها، هو فقط من كان يعلم بكل ذلك بعد الله سبحانه وتعالى. حالي كحال من وقع بين نارين، لا مجال لي للعودة إلى الخلف، ولا قدرة ولا طاقة للخطو إلى الأمام. الحيرة والضياع والتشتت ينهشون لحمي ويأكلونني من الداخل، أفقد نفسي كل يوم أكثر. أشعر بنفسي كالغريق الذي لم يجد القشة بعد ليتعلق بها على أمل النجاة في لحظة ما، روحي تذبل يومًا بعد يوم، وقلبي يموت يومًا تلو الآخر. لم أعد أهتم لشيء، ولم يبق معي في وحدتي سوى تفكيري الذي سيقذفني إلى نهايتي. تتساقط أوراق عمري ورقةً ورقة، وأنا ما زلت مكاني، بتُّ كفراشة خرجت من شرنقتها حديثًا، فلم يلائمها ضجيج العالم الخارجي، فعادت إلى هدوء الشرنقة. أقف أتأمّل قطار الحياة الذي فاتني وسط زحمة الأمنيات المعلّقة على لوحة المشاهدة لاحقًا، حتى دموعي تأبى السقوط خوفًا من المصير المجهول. أنظر قائمة خياراتي الرزينة فأراها فارغة، أين اختفت؟ بل السؤال الحقيقي: هل كانت موجودة حقًا؟ متى خُيّرت واخترت بحكمة؟ وما عدد المرات التي احترت فيها طويلاً وأنا أختار؟ وما عدد المرات التي أُختير لي؟ أجد الأخيرة فاقت التوقعات، أما الثانية محدودة، أستطيع إحصاؤها وتذكّرها واحدة واحدة لقلتها. أراني على قارعة الطريق أتسوّل إرضاء الناس ومحبتهم واهتمامهم، لكن الآن أجدني أعلن راية لا يهمني، وعقدت لساني حتى نسيت كيف كان صوتي!

لا بأس، إن تعبت، إن مرضت، إن خسرت، إن فشلت، إن تألمت، لا بأس، كل ذلك سيمر. إن تأثرت أو لا... سيمر، فليمر بسلام إذاً دون معاناة مني. وماذا بعد؟ ينتهي الطريق في مكان ما فتفارق الروح الجسد ويرقد بسلام، لكنني تعبت والطريق طال! أعيش صمًا بكًا، لا سمع، لا حديث، لا محاولة للرضا والتقبّل، لا اكتراث في شيء. كيف نجحت وتخطّيت السنة الأولى رغم صعوبتها؟ لا أعلم، وكأنها إشارة لأصحو... لأنهض. صوت يومي يدعوني لأستفيق من غفلتي وأنا لا أبالي.

أصابتني حالة من الجنون، البرود الزائد عن الحد الطبيعي، لدرجة أنني فكرت في الذهاب لطبيب نفسي لأتعالج حتى لا يزداد الأمر سوءًا، وأنا لا أدري ماذا قد يكون هناك أسوأ من حالتي. لم أنم يومًا في السنة التي مضت إلا ودموعي تغرق وسادتي، وذكريات تأبى تركي وشأني تداهمني، روحي مزّقت وما بقي منها سوى قطعة قماش قديمة وآثار خياطة رثّاء. عدد المرات التي أُغمي فيها عليّ، زياراتي المتكررة للمشافي والأطباء، صحتي التي ما عادت موجودة، جسدي الذي أصبح كمصفاة كثرة الحقن.

بدأت السنة الجامعية الثانية، كنت أتجهّز صباحًا بخطوات مثقلة كعجوز أنهكها التعب، كمظلوم يُجر لتنفيذ حكم الإعدام يمشي حاملاً كَفنه على راحتيه باتجاه منصة التنفيذ. تركت أمطار دموعي المنهمرة ليلاً، ورسمت ابتسامة صفراء باهتة لم تخرج منذ زمن، ولا أعلم سبب إصراري على رسمها اليوم، ثم نشدتها، لا تختفي، وخرجت!

عدت للمنزل بعد يوم منهك، أعيد ترتيب مكتبي ومكتبتي، يقع في يدي دفتر مذكّراتي وخطط المستقبليّة الذي لم أفتحه منذ وقت بعيد، أفتتح مذكّرة عشوائية لتقع بين يدي تلك الرسالة التي كتبتها يومًا مني لنفسي، في وقت كانت الأحلام البرّاقة ما زالت تحلّق في فضائي. سرت قشعريرة خفيفة في جسدي وأنا أقرؤها:

كيف حالك؟

شارف الدرب على الانتهاء، إنه الدرب ذاته الذي بدأ بظنك أنه لن ينتهي أبدًا!

أرأيتِ، تبيّن أنه يوجد نهاية لكل شيء!

قد عبرتيه كاملاً بمفردك، وتجاوزتي صعابه، أمسكتي يد نفسك وأعنتيها على القيام بعد كل سقوط، كنت خير حافز لنفسك وخير معين بعد الله سبحانه وتعالى. دموعك، ضحكاتك، بكاؤك، انهيارك، سقوطك، ونهوضك أيضًا، ألمك، كل ذلك وأكثر مرّ وانتهى، حتى وإن بقي الأثر، لكنه مرّ. هل صدّقت الآن مقولة "كل مر سيمر"؟

حبيبتي، بقيت الدرجات الأخيرة من السلم الطويل، إياك والنظر للأسفل! ولا تهدري الوقت قد يسبقك أحدهم فيذهب تعبك كله سدى، وإياك ثم إياك أن تنزلق قدمك فتسقطين، وللسقوط عواقب وخيمة!

يا جميلة العينين، لا تذوقي مرارة الفقد اللاذع: فقد الحلم، فقد الجهد، فقد المثابرة، فقد نفسك!

كوني لنفسك الصديقة والعكاز الذي يعين صاحبَه على الاستمرار!

ما أجملك قلبًا وروحًا، وما أجمل أن يكتمل هذا الجمال بنجاح باهر يستحقه!

تعلمين جيدًا أنك تستحقين الأفضل، فالأفضل في كل شيء، فهل ندع شائبة تخل بأفضليّة استحقاقك؟!

يا رقيقة كالفراشة، هادئة كتوليب، دعي الهدوء والرقة داخلاً وأظهري القوة، فالدرب يحتاج للأبطال ولا مكان للضعيف على الطريق!

أنت لنفسك، ونفسك لك!

بعد ذلك اليوم بأربع سنوات، أقف أمام نفسي بكل فخر بما وصلت إليه من إنجازات وما أعمل عليه من طموحات لا تنتهي!

تخرجت من جامعتي منذ سنة واحدة بالمرتبة الأولى ككل السنوات التي انقضت، أحضّر لافتتاح الفرع الثاني من مكان عملي الخاص، وقّعت العقد الرابع مع الشركة الرابعة للعمل معها، أستعد لنشر كتابي الثالث، وروايتي الثانية تم نشرها الشهر الفائت. أمّا عدد الشهادات التي حصلت عليها في دورات مختلفة لا أذكره، فحرصت دوماً على حضور كل دورة تناسب اهتماماتي وأكون على علم بها، أحاول أن أكون على معرفة بقطرة من بحر علم هذا الكون الشاسع وأستقي منه ما استطعت، كل ذلك بمساعدة نفسي بعد الله جل وعلا.

أخذ الأمر مني سنة لتجاوزه، وأربع سنوات لتحقيق ما حققت، في كل مرة أقف أمام المرآة أرى نظرات الفخر والامتنان بعيون نفسي، أرى إلى أي قمة وصلت، أرى أنني امرأة لا تُهزَم، وكيان لا حدود لتميّزه ونجاحه!

والسؤال المستمر: من أنا؟

أنا من تنحني الأزهار خجلاً مني، أنا تلك الفراشة الرقيقة التي تحتمي خلف جدار من القوة والصلابة فتُحط على الأزهار التي تشبهها برقّتها ونعومتها، أنا الصامتة الهادئة خارجًا والحروب داخلي، أنا التي لن يستطع أحد تفسيرها، فأنا عجزت عن تفسير نفسي، أنا التي أسير في الأرض باحثة عن الخير والسلام، كل ما في قلبي هو

أن أكون داعية للخير وطريق الحق إن شاء الله، وأصل لكل ما أطمح له، وأدعو الله دوماً أن يباعد بيني وبين الخطايا كما باعد بين المشرق والمغرب.

الكاتبة: تيماء غزّة

"صرخات مكتومة"

||فلسطين||

جريحة الروح، كسيرة الفؤاد، أرض العزة والشهامة، موطن إحدى القبلتين، الجارية مجرى دماءنا، المتوطنة حشاشة قلوبنا، الصورة المشوهة، اعتادت الظلم مذ وُجدت، أهلها طيبون، يستحقون الفرح الذي ما ذاقوا طعمه الحقيقي قط، كان دوماً ممزوجاً برائحة الخوف، ومنكهاً بمناظر الدماء، تمشي في أراضيها باحثاً عما حدثك التاريخ عنه، الزيتون الشامخ ما زال مصراً على الصمود أكثر، أشجار البرتقال ما برحت تقف بعزة تأبى الرضوخ رغم فراق أولادها حبّات البرتقال الطازجة التي استسلمت وفارقت منزلها حبة تلو الأخرى، الطبيعة والحقول الخضراء التي تزرع في قلبك الأمل بغد أخضر، تصل شوارعها النظيفة تنتظر سيارة الإسعاف .. قد أضلت الطريق وطال ضلالها، الركام حولك في كل مكان، أين ما خطت قدمك تعثرت بأشلاء جثة خطفت حياتها، فلسطين اليتيمة، خذلها من يدعون أشقاءها، نادت حتى تقطعت حبالها الصوتية .. ولم يسمعها أحد! سال نهر دمائها بين المشرق والمغرب، أجساد رجال كالصخر .. تقع أرضاً وتفارقها الروح من تجويع المضطهد لها، قدم طفل هنا، ورأس آخر هناك، نساء يجوبون الشوارع بحثاً عن جثث أطفالهن وعائلاتهن، فرض المحتل سيطرته عليها بكل ما يستطيع، أدمى قلبها، قتل أطفالها، شرّد نساءها، وجوّع رجالها، رغم ذلك هم أشجع وأفصح شعب عرفه التاريخ، رأوا من القهر ما لم يره أحد، احتسبوا، صبروا وتمسّكوا بدينهم كما لم يتمسّك أحد، نادوا العالم أجمع .. فأصم آذانه، هم يأكلون الرمال ونحن نحتار ماذا نطبخ غداً .. بل وثلاثة أرباع طعامنا نرميه في حاويات القمامة!! عاشوا على الوعد الكاذب من مغتصب وضيع، تُوقَف الحرب فجأة ليُصعقوا بتكثيف القذائف والقتل والأسر وإطلاق النار مرة أخرى دون سابق إنذار، استُعْمِلت عليهم كل أنواع الأسلحة المحرمة عالمياً، لكن ما يعرفه العالم أجمع حتى ذاك المجرم وإن أنكر أن النصر بالنهاية لفلسطين وأهلها مهما كان بعيداً، يُضرب المثل بصمودها وشجاعتها وفخرها وأهلها، مهما حاول اللص أن يضلل الإعلام ويظهر أنه المجني عليه، لا يمكن للشمس أن تخفي نورها الساطع وإن لم يره أحد فسيشعر بلهيبها الحارق، هي فلسطين في قلوبنا وإن حاول الحقير محوها، هي تستحق الحياة والحياة تستحقها، تستحق العيش بكرامة وعزة، تستحق أن يملأ صوت ضحكها أركان الكون، تستحق الحرية التي كبلها الاحتلال بوثاقه الغليظ!

تدفعنا رغبة للوقوف في صفوف المقاتلين، أن ننزع حناجر أولئك المستوطنين، ليس بإيدينا سوى ذرف الدموع .. المقاطعة .. نشر أخبارهم والدعاء.

كل من نقل صوت الحق من بين الركام بثبات وعزة .. من كنا نعلم بسماع اللهاث المنهكة وهو ينقل الحدث أنّ فلسطين ما زالت حيّة .. تلتقط أنفاسها وتنبض مروءة وتخلّف الشجعان .. قتلوا صوته!

سنوات من القتل، التدمير، التجويع ورائحة الدماء، سنوات أقل ما يقال عنها "إبادة جماعية" لكن من يرى؟

مجرد مقاطعة لمنتجات صهيوني وأتباعه ما عرفنا الالتزام بها! سيكون بإمكاننا السماع لصوت الحق والنضال لأجله؟؟!

الجبن .. الخيانة .. الوضاعة .. الحقد .. الإجرام .. الخذلان، كل ذلك كشفته محنة فلسطين التي أسقطت الأقنعة المزيفة وما أخفي خلفها!

هي فترة و ستمر .. نعلم ذلك يقيناً!

لكن انظر نفسك في أي الفريقين كنت .. فستسأل!

أحلام .. أحلاااام!

أحلام: نعم يا أمي؟

السيّدة نورهان والدتها: أين كنتِ شاردة! ناديتك مراراً ولم تجيبي.

أحلام: أتتذكرين الندوة الأخيرة التي أقيمت من أجل فلسطين؟

نورهان: نعم، ما خطبها؟

أحلام: بقي خطاب تلك السيدة الثلاثينية عالقاً في ذاكرتي، الذي حاول وصف جزء بسيط مما يحدث هنا ولكنّه لم يصل لقطرة في بحر ما يجري!

صدح صوت صراخ الاثنتان لوقوع انفجار قريب من خيمتهما!

أنا أحلام، فتاة فلسطينية-غزاوية بالتحديد، أعيش في غزة، عمري ثمانية وعشرون عاماً، هذا ما تخبرني به السجلات المدنية، لكن لا أقتنع بذلك، لأن داخلي طفلة متعبة تحتضن جسدها الصغير، تبحث عن مكان ترتاح فيه ولا يعثر عليه أحد، يتيمة الأب، وفقدت أخوي وأختي أمام عيني! كنا وقتها تحت الأنقاض حين هُدم بيتنا فوقنا، مات أخوتي الشباب في لحظتهم بينما بقيت أختي تقاوم رغم فقدها لقدميها حينها حتى آخر نفس، وما نجا سواي وأمي التي أصبح الكرسي رفيق دربها الدائم!

يقال أن لكل اسم نصيب، أما أنا استحوذت على اسمي بالكامل، أعيش على أحلام دائمة متجددة تنهار أمام ناظري باستمرار، هنا حيث أعيش نتنفس الكيمائي، تمطر صواريخ، تتطاير أشلاء الجثث حولك،

شيء طبيعي أن ترى جزء من جسد أحدهم على قارعة الطريق، نتعثر بأقدام وأيدٍ ورؤوس وجثث، نستمع لأصوات صرخات مرتجفة بحناجر مرتعبة، نستمع لصوت الطائرات تزخ قذائفها، نستمع لصيحات الوغى حيث المجزرة، نركض إلى اللاشيء هرباً من كل شيء، هذا حالنا منذ سنتين وثلاثة وثلاثين يوماً أي سبعمئة وواحد وستين يوماً، منذ بداية الحرب في 7 أكتوبر 2023، لم يمر ذلك سريعاً إطلاقاً، شنت حركة حماس هجوماً مفاجئاً على إسرائيل، حيث أطلقت آلاف الصواريخ من غزة نحو المدن الإسرائيلية، كما نفذ مسلحون من حماس هجوماً برياً عبر الحدود باستخدام المركبات، مما أسفر عن مقتل العشرات من المدنيين الإسرائيليين، بالتأكيد لن يسكت الصهاينة، ولن يعملوا بمبدأ العين بالعين، بل العين بغزة بالكامل، ولو أردنا تطبيق الحق لَتكاتفنا كيد واحدة وطردناها من تلك الأرض الشريفة كجرذان نجسة، ردت إسرائيل على الفور بشن غارات جوية مكثفة على قطاع غزة، وهل هذا يكفيها يا ترى؟

في تشرين الأول 2023، القوات الإسرائيلية بدأت حملة قصف عنيفة على غزة، استهدفت مواقع لحركة حماس والبنية التحتية، ومع مرور الأيام ارتفعت أعداد الضحايا في القطاع، ثم أطلقت إسرائيل عملية عسكرية أسمتها "الدرع الحديدي" (Operation Iron Swords) بهدف القضاء على قدرات حماس العسكرية، هذه العمليات شملت ضربات جوية ودبابات على الأرض.

نشأت ردود فعل دولية من جميع أنحاء العالم، بعض الدول من ذيول إسرائيل دعمتها حقها في الدفاع عن نفسها، في حين دعا آخرون إلى وقف إطلاق النار وإنهاء العنف.

لكن الحرب استمرت شهور، من كانون الأول 2023 إلى شباط 2024، والمجزرة مستمرة في غزة، تواصل القصف الإسرائيلي عليها طوال الأسابيع الأولى، مع تدمير العديد من المباني، المستشفيات، والأنفاق التي تستخدمها حماس، ومنشآت مدنية، وفي تلك الفترة فقدت منزلي، والدي، أخوتي، وقدرة أمي على المشي!

تزايدت أعداد الضحايا الفلسطينيين في غزة، مئات القتلى وآلاف الجرحى، إضافة إلى ملايين اللاجئين الذين فروا من ميدان الملحمة.

الوضع الإنساني في غزة أصبح كارثياً، والعالم ما زال يصم أذنيه عن أصواتنا، تدهورت الإمدادات الطبية والغذائية، قررت حينها أن أشارك في التغطية الإعلامية دعماً ومساندة للإعلاميين الآخرين، لم أخش الاستشهاد وكنت طالبة، ولم أخش ذلك الصهيوني الجبان القابع في جحره يرمي ما عنده من وسائل لتدميرنا عن بعد، الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية دعوا لتقديم مساعدات طارئة، ثم ضغوط دولية ومحاولات لوقف إطلاق النار من شهر آذار إلى حزيران 2024، خلال هذه الفترة تمّت محاولات لفرض هدنة أو وقف لإطلاق النار برعاية دولية، لكنها فشلت بشكل متكرر بسبب جور ونفاق المحتل الذي لا يعرف شيئاً يدعى الرحمة!

الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي بالإضافة إلى دول مثل مصر وقطر حاولوا التوسط بين الظالم والمظلوم من أجل التوصل إلى هدنة، وكان السعي يتركز على وقف إطلاق النار الشامل، ورفع الحصار عن غزة، والإفراج عن الأسرى الفلسطينيين.

في آذار 2024، بادر النظام المصري إلى جولة جديدة من الوساطة بين حماس وإسرائيل، كانت الهدنة المقترحة تهدف إلى تبادل الأسرى ووقف الهجمات الجوية والصاروخية، ورغم موافقة الأطراف على النقاط الأولية، توقفت محادثات السلام بعد استئناف الهجمات مجدداً من قبل حماس رداً على القصف الإسرائيلي.

مع تزايد الضغوط الدولية على إسرائيل، خاصة من الدول الأوروبية، دعت الأمم المتحدة إلى وقف شامل لإطلاق النار وفتح ممرات إنسانية لتوفير المساعدات لقطاع غزة، لكن إسرائيل استمرت في رفض المطالب قبل ضمان القضاء على "التهديدات الأمنية" الناتجة عن الفصائل الفلسطينية المسلحة، ومع استمرار القتال، ازدادت المواجهات الدبلوماسية بين القوى الكبرى، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية من أبرز الداعمين لإسرائيل، بينما أظهرت بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا رغبة في التوصل إلى تسوية سلمية أو وقف مؤقت للقتال، وفي الوقت نفسه، بذلت بعض الدول العربية مثل مصر والأردن جهوداً مكثفة من أجل التوصل إلى هدنة دائمة، لكن حماس وفصائل أخرى في غزة رفضت وقف إطلاق النار ما لم يتم رفع الحصار عن القطاع بشكل كامل.

في تموز 2024، بدأ الجيش الإسرائيلي مرحلة جديدة من العمليات العسكرية الواسعة داخل غزة، مستهدفاً أنفاق حماس، مخازن الأسلحة، وبعض القيادات البارزة في الحركة. هذه العمليات شملت استخدام الطائرات الحربية والقصف المدفعي الكثيف.

حماس والفصائل الفلسطينية الأخرى كثفت من الهجمات على المدن الإسرائيلية، حيث أطلقت صواريخ طويلة المدى استهدفت تل أبيب وأشدود، بالإضافة إلى عمليات تسلل عبر الحدود مع إسرائيل.

التحقت في ذلك الوقت بصفوف المقاتلين الميدانيين بعد التدريب خلال الشهرين الماضيين، كنت أفعل كل ما بوسعي لأقدم شيئاً للوطن الذي احتواني ثمان وعشرين سنة، كنت أبذل قصارى جهدي حتى إذا سُئلت عما فعلت يكون لدي الجواب دون خجل أنني كنت أستطيع الدفاع عن أرضي وقد دافعت!

أما أمي فترعاها صديقتي وتعتني بها وتبرر غيابي، بكل تأكيد لن أشغل بالها وأخبرها ما أفعل، لم يبق لها أحد غيري يخاف عليّ من نسمة الهواء!

جزء كبير من الصراع كان يتضمن معركة للسيطرة على شبكة الأنفاق التي تستخدمها حماس، وفي هذا الإطار صرح الجيش الإسرائيلي أن إحدى أولوياته العسكرية هي تدمير هذه الأنفاق التي تشكل تهديداً كبيراً للجنود الإسرائيليين.

مع استمرار العمليات العسكرية، ارتفعت أعداد القتلى والجرحى من كلا الجانبين في غزة، وكانت الغارات الجوية المتزايدة بوتيرة غير مسبوقة مستهدفة مناطق مكتظة بالسكان تسفر عن مئات الضحايا، تجاوزت أعدادهم عشرات الآلاف، أغلبهم من النساء والأطفال.

ضربت الغارات مباني سكنية ومدارس تأوي نازحين، وحتى بعض المستشفيات مثل مستشفى الشفاء والمستشفى الإندونيسي، هذه الهجمات أثارت موجة غضب عالمية واسعة.

ثم توقفت المستشفيات عن العمل إلا بشكل جزئي بسبب نقص الوقود والدواء والمعدات، كثير من العمليات كانت تُجرى دون تخدير كامل، والمصابون كانوا يتلقون العلاج في الشوارع.

بسبب كثرة القتلى وصعوبة الوصول إلى المقابر الرسمية، بدأت تظهر مقابر جماعية داخل الأحياء المدمرة.

حماس وفصائل أخرى استمرت في إطلاق الصواريخ بكثافة، بعضها وصل إلى تل أبيب وحيفا، ومع توغل القوات الإسرائيلية في غزة، واجهت مقاومة شرسة، خاصة في المناطق الشمالية (جباليا، بيت لاهيا) والجنوبيّة (خانيونس)، قُتل مئات الجنود الإسرائيليين، ما أحدث صدمة في الداخل الإسرائيلي.

عائلات الجنود والأسرى بدأت تنظم احتجاجات في تل أبيب والقدس للمطالبة بوقف الحرب وإعادة الأسرى.

منذ أواخر 2024، أصبحت غزة ديجوراً، محطات الكهرباء خرجت عن الخدمة، والمياه المالحة فقط هي المتاحة للشرب.

بدأت سنة 2025 وبدأت معها الأزمة الإنسانية الكارثية، وتحولت غزة إلى منطقة منكوبة!

أكثر من 80% من سكان القطاع نزحوا داخلياً، من الشمال إلى الجنوب، ثم حتى داخل رفح وخانيونس التي امتلأت بالمخيمات.

بسبب تلوث المياه وغياب الصرف الصحي، تفشّت أمراض مثل الكوليرا والتيفوئيد، الأمم المتحدة أعلنت أن غزة "لم تعد صالحة للحياة البشرية".

مع استمرار الحصار وإغلاق المعابر، أصبح الحصول على الغذاء شبه مستحيل، الأهالي كانوا يطهون الأعشاب أو الدقيق الفاسد للبقاء أحياء.

في الأمم المتحدة، تزايدت الإدانات لإسرائيل بسبب "الاستخدام المفرط للقوة"، بعض الدول مثل جنوب أفريقيا وتركيا تقدمت بدعاوى ضد إسرائيل في محكمة العدل الدولية.

رغم الدعم العسكري والسياسي الكبير لإسرائيل من واشنطن، بدأ بعض المسؤولين الأمريكيين يطالبون بوقف مؤقت للقتال للسماح بدخول المساعدات، مصر فتحت معبر رفح بشكل متقطع لإدخال المساعدات الإنسانية، لكنها كانت ضئيلة جداً مقارنة بحجم الطامة.

دخلت الحرب في عامها الثاني، وبدأ شهر تشرين الأول لعام 2025، تحوّل الصراع من حرب مباشرة إلى حرب استنزاف طويلة الأمد.

الجيش الإسرائيلي تمكّن من السيطرة على بعض المناطق شمال غزة، لكنه فشل في القضاء على حماس. المقاومة عادت للظهور في مناطق "مؤمّنة" سابقاً عبر كمائن وأنفاق.

طوّرت حماس والجهاد الإسلامي تكتيكاتها، فاعتمدت على حرب الأنفاق والطائرات المسيّرة المفخّخة، ونفّذت هجمات نوعية ضد مواقع إسرائيلية داخل القطاع.

مع مرور الوقت، بدأت الحرب تتسبّب في استنزاف معنويات الشعب الإسرائيلي، مما أدى إلى تصاعد الانتقادات الداخلية لحكومة نتنياهو ولإستراتيجية الحرب.

في بداية عام 2025، بدأت تظهر مظاهرات حاشدة في مدن إسرائيلية مثل تل أبيب والقدس، تطالب بوقف القتال والبحث عن حلول دبلوماسية.

شاركت فيها حتى عائلات الجنود الذين فقدوا أبناءهم في الحرب، إضافة إلى نشطاء حقوق الإنسان.

بعض الحركات السياسية داخل إسرائيل، بما في ذلك أعضاء في المعارضة، بدأوا يطالبون الحكومة بالتفاوض مع حماس أو على الأقل بالسعي لوقف القتال مؤقتاً لفتح المجال للمساعدات الإنسانية.

كان هذا النداء يزداد قوة مع تزايد عدد القتلى العسكريين من الجيش الإسرائيلي، الذي شهد أكبر خسائره منذ حروب سابقة.

بدأ رأي عام معارض يشكّل تحدياً حقيقياً لسياسات الحكومة الإسرائيلية، حيث تم اتهامها بالفشل في تحقيق أهدافها العسكرية، بل إن الحرب أصبحت تمثل عبئاً سياسياً داخلياً.

حتى في أوساط الطبقات الوسطى، بدأ الوعي يتزايد حول الأثر المدمّر للحرب على المجتمع الإسرائيلي ككل، وفي وقت لاحق من عام 2025، بدأ بعض السياسيين الإسرائيليين في تقديم مقترحات للتفاوض مع حماس أو البحث عن "اتفاق تهدئة" بوساطة دولية.

بينما استمرّت الدعومات العسكرية الأمريكية لإسرائيل، بدأت الضغوط من بعض أعضاء الكونغرس الأمريكي على الحكومة لتغيير سياستها في ما يتعلق بالصراع.

بدأت بعض الأصوات الأمريكية تتعالى، خاصة من بعض الحركات اليهودية في الولايات المتحدة، التي طالبت بتقليص الدعم العسكري لإسرائيل طالما استمر القصف على المدنيين في غزة.

دعت الأمم المتحدة مراراً إلى وقف إطلاق النار وفتح ممرات إنسانية آمنة، حيث كانت المنظمات الإنسانية في غزة تشكو صعوبة الوصول إلى الضحايا بسبب الحصار.

في منتصف 2025، أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً يدعو إلى إجراء محادثات مباشرة بين الطرفين (إسرائيل وحماس)، لكن هذا القرار لم يجد أي استجابة فعلية من الأطراف المعنية.

إسرائيل طالبت بأن تتوقف حماس عن استخدام الأنفاق وإطلاق الصواريخ قبل أي مفاوضات، بينما رفضت حماس أي اتفاق قبل رفع الحصار عن غزة.

في العالم العربي، رغم الدعم التاريخي لإسرائيل من بعض الدول، كان هناك تزايد في الانتقادات لهذه السياسات، حيث بدأت بعض الحكومات العربية (مثل مصر وقطر) بممارسة ضغط أكبر على إسرائيل للبحث عن حل سياسي دبلوماسي بدلاً من الحلول العسكرية.

كذلك دعمت بعض الدول العربية محاولات الوساطة التي قادتها مصر وقطر في محاولة لتهدئة الوضع.

في بداية عام 2025، أصبح التركيز الإسرائيلي منصباً بشكل أكبر على تدمير أنفاق حماس، التي كانت تمثل عنصراً استراتيجياً هاماً بالنسبة للحركة، إذ تستخدمها لنقل الأسلحة، بالإضافة إلى إخفاء مقاتليها.

الجيش الإسرائيلي استخدم الأسلحة الثقيلة والطائرات المقاتلة لضرب شبكة الأنفاق، لكن المقاومة الفلسطينية تطورت تكتيكياً، حيث استخدمت طائرات مسيّرة صغيرة الحجم لتنفيذ عمليات هجومية ضد أهداف إسرائيلية داخل الأراضي المحتلة.

مع محاولات إسرائيل للسيطرة على خانيونس ورفح، واجهت القوات البرية مقاومة شرسة، مع اندلاع اشتباكات عنيفة في العديد من المناطق المحيطة بالحدود.

على الرغم من التفوق التكنولوجي الإسرائيلي في الدفاع الصاروخي عبر القبة الحديدية، إلا أن حماس كانت تطلق صواريخ ذات مدى أكبر، مستهدفة المدن الكبرى مثل تل أبيب والقدس، مما أدى إلى ارتفاع عدد الضحايا المدنيين داخل إسرائيل.

في منتصف 2025، تكثفت الجهود الإقليمية بقيادة مصر وقطر للتوصل إلى هدنة دائمة بين الطرفين.

عرضت مصر وساطة بين حماس وإسرائيل وطرحت خطة تهدئة مؤقتة، كان من المفترض أن تشمل وقف إطلاق النار في مقابل السماح بدخول مساعدات إنسانية إلى غزة.

بعد مرور أكثر من عامين على الحرب، بدأت بعض الأطراف الدولية والدول العربية في التحضير لخطط إعادة إعمار غزة، إلا أن هذه المبادرات كانت تواجه مقاومة من إسرائيل بسبب عدم ضمان عدم استخدام المواد لإعادة تسليح حماس.

في رام الله، بدأت السلطة الفلسطينية التي تترأسها حركة فتح تعيش مرحلة من التوتر بسبب انقسام المواقف بين حماس وفتح، مما أثّر على الاستقرار السياسي في الضفة الغربية.

حماس تمسكت بموقفها الرافض لوجود أي وساطة إقليمية إلا إذا تم رفع الحصار بشكل كامل عن القطاع، مع التأكيد على تمسكها بخيار المقاومة المسلحة ضد إسرائيل.

الحرب لا تزال مستمرة الآن في تشرين الثاني لعام 2025 بشكل غير متوازن، حيث تبقى مناطق في غزة محاصرة ومتأثرة بالقتال الدائر.

العمليات العسكرية تتم بشكل غير منتظم، لكن لا توجد هدنة دائمة.

داخل إسرائيل، هناك ضغط متزايد على الحكومة من أجل بدء مفاوضات جدية مع حماس أو على الأقل التوصل إلى اتفاق للتهدئة.

مع اقتراب الذكرى المشؤومة الثانية للحرب، بدأت تظهر أصوات تدعو إلى التسوية السياسية.

الوضع الإنساني في غزة لا يزال في أسوأ حالاته، مع صعوبة وصول المساعدات الإنسانية بسبب استمرار إغلاق المعابر.

أردت أن أكون صوتاً لشعبي الذي تربيت وعشت بينه، شعبي المناضل الذي تحمل ما لم يتحمله أحد، قد ذكرت أثناء حديثي عبارة (مدن إسرائيلية)، لا أعترف بل لا يوجد دولة تسمى إسرائيل، وما ذكرته لإيصال لكم ما تدعيه إسرائيل ويصدقه العالم، ستبقى تلك المدن فلسطينية وإن كذّبني الكون كله!

نحن نعيش في مجاعة لم تعترف بها أي دولة! أكلنا الرمل، والأطفال تموت أمام أعيننا يومياً بسبب الجوع، نرى مناظر حولنا لأجساد رجال كالصخر كانت إذا مالت على حائط أوقعته، تترنح الآن بين الحياة والموت بسبب الجوع! كيف هي مناظر أجساد الأطفال إذاً؟

لم أتحدث بعد عن شدّة حر الصيف وبرد الشتاء، قد أكون وأمي نحتمي بخيمة تأوينا وإن كانت قطعة قماش رثاء مهترئة، لكن الكثيرون غيري يعيشون بين الركام وعلى أرصفة الشوارع وبين الأزقة، عانينا من العطش وشربنا مياه ملوثة!

غزة تنزف دماً وتئن ألماً ووجعاً أكثر منا، صرخت ومازالت تصرخ بأعلى صوتها بصوت متحشرج باكٍ علّكم تستفيقوا وتسمعوا، تحتضننا بين ذراعيها ولن نتركها ونخذلها كما فعل أشقاؤها، والنصر حليفها يقيناً!

من يسأل أين الله من كل هذا؟ هل قرأت قرآناً؟ هل سمعت حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم؟ لا أظن أبداً أنكم فعلتم، الله يعلم ويرى، وفي الوقت المناسب سيجعل العالم أجمع يرى النصر وأمل الفرج بأم عينه.

نحن لم ندع هذه الحرب تنسينا أنفسنا، مازلنا مؤمنين بالله تعالى ومازال هو ملجأنا الوحيد، ونهرب إليه في ظل البعثرة حولنا ليُرتبنا ويطمئننا.

قد لا أكون موجودة غداً، لكن يوجد جيل شجاع ينمو، وإن حاولت تلك الأرانب القضاء عليه، وأنا أعتذر للأرانب لتشبيه ذلك الذي لا اسم له سوى أنه حثالة بها.

الجيل القادم رأى أمامه كل ما عانيناه، وذاق معنا علقم هذه الحرب، سيضحّي بكل ما يملك ليكون النصر على يديه بعون الله تعالى، كلّي أمل بهم وفخر، وأنا متيقنة من النظرة التي تشع قوة وشجاعة أراها بأعينهم.

أنا فخورة جداً أنّني من تراب هذه الأرض، لن أقول أنّني لم أبك يوماً ولم أتعب، بلى، ضممت ركبتي لليال طويلة إلى صدري، وأسندت رأسي عليهما، وأصوات بكائي وصلت عنان السماء، أناجي الله بقلبي الشهيد!

لكن لم أضعف ولن أضعف يوماً إطلاقاً!

لطالما جلست أراقب هذه الأرض وما حل بها من نوازل، أتذكر كيف كانت، هذا البناء هنا وذاك البيت هناك، هنا لعبت وفي تلك الزاوية اختبأت يوماً، أبكي رفاق الطفولة، ما عدت أعرف عنهم شيئاً، الأراضي التي شاب أخضرها رماد لا تعرف أصله، ربّما شجرة استمرت بالمقاومة للنهاية، أو بقايا جثة فلاّح كد وشقي لتكون تلك الأرض مصدر رزق له.

وسط ذلك التفكير يخطر ببالي لوهلة أنه الآن إن نظر غريب لهذا المنظر لن يصدق أنها كانت تنبض بالحياة يوماً، أشجار، ثمار، أعشاب، عصافير، حيوانات أليفة، عائلة واحدة متكاملة. أرفع نظري لسماء غزة بلونها الأسود مذ حلّت تلك الغمامة علينا، كما قلت غمامة أي بعض الوقت، وسترحل، لا كما أتت، سترحل خائبة الرجاء، تقلّب كفيها، هذا إن عادت وفيها نفس يجري طبعاً!

دموعي على خدي تهطل بغزارة من شريط الأفكار الذي يداهمني، ثم ترتسم ابتسامة على شفتي حين أتذكر أنني قد أنال الشهادة يوماً في سبيل تحرير هذه الحورية ليعيش الجيل القادم حياة أفضل، ويعيدوا بناءها لتكون أجمل من السابق.

كان ومازال ذاك الوغد يستهدف الإعلاميين، الذين لا يحملون من سلاح سوى الكاميرا الخاصة بهم وصوتهم، لا يريد لأحد أن ينقل حقيقة زيفه، أو يكشف جرائمه، لا يريد أن يعرف العالم ما الذي يختفي وراء قناع مصطنع، ذلك الإعلامي الذي يضع روحه على راحة كفه دون خوف ينقل للعالم صورة حيّة عما يحدث وراء الأسوار التي بناها العدو فاصلاً بين فلسطين والعالم.

لكل من أغمض عينيه وحاول أن يُحيدها عن تلك البقعة الطاهرة، لكل من أغلق أذنيه عن أصوات الشرفاء يستنجدون ويطلبون الإغاثة، ستبقى أصواتهم تلاحقكم ما حيينا!

في الليل... في حضن الأب، أين سنكون؟

يا ليتني أذهب إلى أبي أيضًا!

يوسف، سبع سنوات، شعره مجعَّد، أبيض، جميل.

ثمّ قام أخي يصرخ عليّ: يا كمال، يا كمال... كان حيًّا، والله!

زوجي استُشهِد يا جماعة، وأنا أعمل... زوجي استُشهِد! استُشهِد أبوكِ، مات أبوكِ!

لا تبكِ يا رجل، أنت رجل... كلّنا شهداء، كلّنا مشاريع شهداء!

أربعون سنة وأنا أعمل لأبني هذا البيت... فَقَدْتُه! فداءً لها... فداءً لفلسطين!

شكرًا لكم يا طواقم الإسعاف، شكرًا... نحبّكم كثيرًا!

حبيبي يا أمّي... انهض لترضع، انهض!

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

لا تخف يا أبي... يا أبي، لا تخف!

ليته كان حلمًا... ليتَه حلم!

ينتقمون منّا في الأطفال... ينتقمون منّا في الأطفال!

لا بأس!

والله ليست حياة ولا عيشة!

خالتي... كيف أخبر أمّي أنّ أخي مات؟

عمّي... عمّي خالد، هل تسمع؟!

إلى أين تذهب يا أبي؟!

ضاع بيتنا... أين سنسكن؟!

لم يَبْقَ لهم شيء!

آه... آه!

يا الله... يا الله!

اللهم اجعلهم يزولون!

يا ربّ، اشفِ ابنتي!

يا أبي!

اللهم إنّا مغلوبون فانصرنا!

من بقي في غزّة؟ لم يبقَ أحد!

يكفي يا عالم!

أين الأطفال؟ الأطفال ماتوا دون أن يأكلوا!

ضعيها على صدري... أمانة الله!

يا عمّو... طمئنوني عن عمّتي، طمئنوني!

سيّارة الإسعاف لديهم ضُرِبت!

أنت شهيد يا أبي... أنت شهيد!

ها هو أبي معي... وحده في السيارة، أخذته وحدي... رحمك الله يا أبي!

أين العرب؟!

فداءً للمقاومة!

نحن شعب مرفوع الرأس!

ولن نرحل من هنا... سأبيت في بيتي المهدّم!

والله لن ننهزم!

عمّي!

لم يتركوا لي شيئًا يا أبي!

أنت عريس!

لم أحتضنه... ورحل!

أخواتي!

فداءً للأقصى يا أمّي!

أدركينا يا جنين! أدركينا يا نابلس! أدركونا يا أهل الضفّة!

أبو رزق... بالله عليك انهض!

يا أمّاه!

وعمّ جهاد رحل أيضًا!

الشهداء أحباب الله!

لا أحد يحمينا!

ولم يكتفوا... قتلوا جدّتي وجدّي!

كيف سنعيش؟!

كانت ثانية واحدة فقط... أفلتت يدها! ثانية واحدة فقط! يا ليتني متُّ معك!

كلّ من في البيت استُشهِدوا!

نحن لا نحبّ الليل!

قالوا للناس: اهربوا... ثم قصفوا الهاربين!

*

فلسطين تلفظ أنفاسها الأخيرة.

لو أنّ للأوراق التي بين أيديكم ألسنةً لصرخت بهذه الكلمات، ولأسمعتكم صرخات تلك الحناجر، تلك الأصوات التي سيخلّدها التاريخ، وستظلّ خالدة في قلوبنا وأسماعنا.

ولو أنّ الطيور الهاربة من هناك تملك القدرة على الكلام، لروت لكم قصصًا عمّا يحدث في تلك الأرض، ولأغمي عليكم من هول ما تسمعون.

نحن ضائعون، تائهون، مكسورون، مخذولون، مُرهقون، مُتعَبون...

لا كمن كان في سباق طويل، ولا كمن لم يذق طعم النوم لأشهر، ولا كمن كان في حلبة صراع وحده ضد مئة، ولا كمن سقط من الهاوية ثم أُمِر أن ينهض راكضًا إلى اللانهاية، ولا كمن طارده أسد وفهد لأسابيع، ولا كمن سقط بعد الفناء في طريق صعوده نحو هدفه...

بل كمن يعيش حربًا، ومجاعة، واضطهادًا، وظلمًا، وحصارًا، وقتلًا، وتفجيرًا... تُصوَّب نحوه كلّ الأسلحة المحرّمة دوليًّا.

كمن خُذِل من الأقربين، وطُعن في ظهره منهم، وكمن تُرك وحيدًا ينازع اللحظات الأخيرة قبل الموت وهو يرى دمه يُصفّى قطرةً قطرة.

ولكن... سجدةٌ لله تصلح كلّ شيء.

أن تكون فلسطينيًّا يعني أن تكون جبّارًا، قويًّا، شجاعًا... تصنع من خيط الشمعة أملًا يبقيك حيًّا، صابرًا، محتسبًا، راضيًا، متمسّكًا بالهويّة.

أن تكون فلسطينيًّا يعني أن تكون عزّةً وفخرًا.

فلسطين جميلة... بل جميلة جدًّا.

لن يصدّق هذا إلا من ترعرع في كنفها، وذاق خيراتها، ورأى روعتها.

وستعود كما كانت يومًا... تشعرك أنّها فتاة عشرينيّة فائقة الجمال، عذبة، تستمع إليك وتستمع إليها، تشعر بك، تطمئن قلبك عند حزنك، وتفرح معك في أوقات فرحك، وتفخر بإنجازاتك.

كانت تستحقّ حياة أجمل من تلك التي عاشتها، ولكن لا رادّ لقضاء الله.

هي راضية، وشعبها حكيم يرضى بما قسمه الله له، ولذلك فإنّ الله يخبّئ له الأجمل، وما يستحقّه حقًّا.

فلسطين حرّة... وإن اجتمع الكون على غير ذلك.

الكاتبة: تيماء غرّة.

"عزيزي الأمير ديمتري"

لم يكن ضوء الصباح الهادئ هو من نبّهني من وجدي، بل كان توقيع عصافيرنا الصغيرة على أنغام الشمس الذهبية بأجنحتها. تداخلت أصابعي مع خصل شعري القصير وأنا أستمع إلى دقّات قلب منزلنا: وقع أقدام أخي والتر الخفيفة وهو يعدو في الأروقة.

انغمست في معطفي الصوفي كشرنقةٍ أتحصّن بها من عتمة الشتاء، ثم انجذبتُ كفراشةٍ تبحث عن النور إلى حيث تقبع ساحرتنا الحبيبة، أمي إلينور، تُنْعِمُ على قدورها بأنفاسها السحرية، فتتنهّد الأرزّ والبهارات، حاملةً إليّ عبقَ الجِنان.

وبعد أن تشاركنا لقمةَ الحبّ العائلية، انزوت قدماي إلى حضنِ ضريحي الدافئ: الموقد العتيق الذي لا يكلّ عن حكي أساطير الأجداد. هناك، بين أحضان النار الهادئة، فتحت كتابي «عزيزي المحارب والتنين». لم تكن هذه الرواية مجرّد حبر على ورق، بل كانت البوابة السرّية إلى عالمي الموازي، حيث يتحوّل ديمتري — ذلك الوجه الذي ينير ظلام وحدتي — إلى بطلٍ أسطوري. منحتُ البطل اسمه، وجعلتُ البطلة التي طالما تاهت بلا هوية تحمل اسمي أنا: ڤيكتوريا. وكأنني أنسج من خيوط الحلم مصيرًا نُسِجَ خصيصًا لنا.

وبينما كنت أغطس في أعماق الصفحات، لم أعد أدري... هل أنا من يقرأ العالم، أم أن العالم هو من يقرؤني؟ فجأة، وجدتني أقف هناك، خلف ديمتري، في قلب الساحة الملتهبة. سمعت زئير تنينه العظيم «إجنيس» وهو يخرق صمت السماء القاتمة بأجنحته النارية.

كان ديمتري شامخًا على صهوة جواده الأسود «ميدنايت»، كتمثالٍ نحته الآلهة للحرب. درعه الفضي يحمل ندبةً على كتفه، لكن عينيه — عينا الصقر التي أعرفها — كانتا ثابتتين على جحافل الظلام المتدحرجة. كانوا يريدونني أنا، الأميرة ڤيكتوريا، لأن في عروقي — كما يزعمون — سرَّ إيقاظ شيطانهم المظلم «موريس».

رفع ديمتري سيفه نحو السماء المتوحّشة، وصوته يقطع ضجيج المعركة كالسيف:

لن تبلغوا ڤيكتوريا إلا بعد أن تعبروا جثتي!

وشاهدتُ من خلفه كيف انطلقت كرة نارية من فم إجنيس، كشمسٍ صغيرة، مُحدِثةً فناءً في صفوف الأعداء. كنت أعرف أن كل ومضة سيف، وكل زفرة تنين، هي نبضة من أجل قلبي أنا، التي كانت تقف في البرج البعيد، ممسكةً بقضبان النافذة التي تشبه قضبان قفص، وقلبي يخفق كعصفورٍ ارتطم بحاجز الأمل.

همستُ باسمه بصوتٍ بالكاد أسمعه أنا اثبت يا ديمتري... فأنت حصني الأخير

كان إجنيس ينسج لوحة الدمار في السماء، والنيران تتساقط من فمه كدموع غضب. وكان ديمتري يتحرّك كاللعنة، سيفه برقٌ يخطف الأبصار، بينما كان عدونا «لوري» يضحك ضحكةً نتنة:

أنت مجرد صبي يحمل سيف رجال! سأقدّمها قربانًا، وسيعمّ الظلام الأبدي!

وفي اللحظة التي همّ بها ديمتري بضربته المصيرية، بدأت الأرض تدور بي. أحسستُ كأن خيطًا خفيًا همست ديمتري، يشدّني من عالمي. حاولت التمسّك بقضبان النافذة، لكن يديّ كانتا كالزجاج المكسور وكأن الهمسة كانت وداعًا

وفي عالمي الحقيقي، بدأت الكلمات على الصفحة تذوب كالثلج تحت لهيب، تتحوّل إلى بحرٍ من الحبر السائل. سمعت صوت أمي ينادي:

ڤيكتوريا

لكن الصوت أتى كأنه من عالمٍ آخر، غارقًا تحت الماء.

ڤي... كتو... ري... ا...

حاولت أن أتشبّث بالكتاب، كمن يتشبّث بحافة قارب في محيطٍ هائج، لكن قواي خانتني. رأيت المشهد الأخير يتشكّل خلف جفنيّ: ديمتري يوجّه سيفه نحو لوري... لكن الصورة كلّها بدأت تتباعد، تذوب كالحلم عند حافة كان آخر ما أحسست به هو سقوطي الناعم الثقيل على السجادة الوبراء، ووهج النار في الموقد يلمع اليقظة. بجانبي كنجمٍ وديع، يرشد روحي في رحلتها إلى المجهول.

ڤيكتوريا! —

كان صوت والتر كالإبرة يخترق الضباب الذي كنت أغرق فيه، لكنني لم أعد أملك إلا الصمت رفيقًا. كان الظلام يدعوني بلطف، تاركًا ورائي عالمين معلّقين: عالم المعركة الذي لم أعرف نهايته، وعالم الدفء الذي سقطت منه فجأة.

وفي تلك اللحظة التي استسلمت فيها للسبات، كان آخر ما التقطته شِباك روحي نظرة ديمتري وهو يلتفت نحوي فجأة، وكأن قلبه قد أخبره أنني أذوب من بين يديه

الكاتبة: شهد نور الدين اللحام كركي

"حبُّ القلب لا تنساه الأعين"

«لن أنساكِ حتى آخر أنفاسي»، هكذا قال محمد.

في يومٍ من الأيام، كان محمد ذاهبًا إلى حفلة عيد ميلاد صديقه، فقد أتمّ عشر سنوات، وكان محمد في العمر نفسه تقريبًا. وعندما انتهت الحفلة، وفي طريقه إلى المنزل، رأى حوريةً سحرت قلبه وأشردت عقله، تنزل من عينيها الجميلتين دموع، لكنه رآها كبحرٍ من الألماس.

عندما رآها تبكي بهذه الطريقة، حدّق بها لوهلة، وكأنه يقول لها في نفسه:

– لا تبكي، فبكاؤك يؤلم قلبي حقًا.

لكنه احتفظ بكلماته في قلبه، ولم يفعل شيئًا سوى أن لفّ ذراعيه حولها وهمس لها بحب:

– مهما كان سبب حزنك، اطمئني، أنا بجانبك.

كل هذا الكلام وهو لا يعرف اسمها حتى، وقبل أن تذهب أعطته ربطة شعرها، وتركت شعرها ينسدل على كتفيها، وهو يلمع من شدّة النعومة.

ومنذ ذلك الوقت، عرفت رند أنها في المدرسة نفسها مع محمد، وأصبحوا يلتقون ويتحادثون في المدرسة. وعرف أن سبب بكائها في ذلك اليوم هو أن والدتها توفّيت بمرضٍ مزمن كانت تتعالج منه قبل وفاتها بفترة، إلا أن المرض تمكّن من جسدها.

وعندما سألها عن السبب، أجابت:

إنه فقر الدم الحاد الذي سبّب لها نقصًا في الدم في جسدها، وفي آخر فترة انخفض مخزون الدم، ولم يعد قلبها قادرًا على ضخّ المزيد من الدم، حتى أدّى ذلك إلى وفاتها.

وبعد فترة من الزمن، أصبحوا يلتقون كل يوم، وقد أصابه ما يُسمّى «عشق الطفولة»، وهو ما زال في سن الثانية عشرة تقريبًا. فهم أطفال، إلا أن حبّهم كان صادقًا ونقيًا.

وبعد وفاة والدتها بسنتين، قرّر والد رند العودة إلى مدينته، وهي مسقط رأسه، وذلك بسبب الحرب التي كانت تجري في المدينة التي كانوا يسكنونها آنذاك.

انقطع خبر محمد عن رند لفترة، ولذلك لم تستطع أن تخبره بأنها ستسافر وتتركه وحده. ولأن عائلة محمد كانت أيضًا تعاني من خسارة كبيرة بسبب الحروب الحاصلة في مدينتهم، مضت أيامٌ عدّة ولم تسمع عنه أيّ أخبار، ومهما حاولت الوصول إليه لم تستطع.

حزنت رند كثيرًا، وظنّت أنه نسيها، وكلّ مرة تفكّر فيها أنه نسيها، كانت توهّم نفسها وتقول: لن أنساه.

أمّا هو، فقد كان يشتاق إليها كثيرًا، وعندما عاد إلى المدرسة بعد انتهاء ظروفه العائلية، لم يجدها هناك. سأل عنها كثيرًا، ولكن عبثًا، حتى أخبرته المديرة أنها اضطرت للسفر مع والدها إلى مدينة أخرى. فحزن عليها كثيرًا، وظنّ هو أيضًا أنها لم تكن تحبه، لذلك لم تخبره برحيلها أو ودّعته.

فحلف أنه مهما حصل معه، لن يرتبط مع أخرى بعد الآن، وكلما اشتاق إليها، نظر إلى ربطة شعرها التي لم تفارق يده.

كان دائمًا يتذكّرها، ويحاول عدم النظر إلى أي فتاة غيرها. كانت هناك فتاة تحاول دائمًا لفت انتباهه، لكنه لم يكن يُلقي لها بالًا، لأن في قلبه ملكةً واحدة تحكمه. كان يربط كل شيء جميل يحدث معه بوجودها في حياته، وكل شيء سيئ قد يحصل معه بغيابها عنه.

وهي أيضًا لم تنسَه أبدًا، وظلّت تفكّر به دائمًا. كان لديها لعبة سمّتها باسمه، وكانت تحادث لعبتها دائمًا على أنها حبيبها محمد.

وبعد سنة كاملة، كانا يقدّمان امتحان البكالوريا سويًا، لكن هو في مدينته، وهي في مدينتها.

في منتصف السنة، توفّي والد محمد، فكانت صدمة كبيرة بالنسبة له. فقد وقع على عاتقه حملٌ كبير قد لا يقوى على تحمّله؛ فعليه العمل والدراسة، والإنفاق على عائلته، وتحمل مسؤولية أمّه وأخته التي لم تبلغ العاشرة من عمرها، ومع كل ذلك أكمل دراسته.

كان في كثير من الأوقات يحاول إخفاء حزنه وتعبه عن والدته، ويتجنّب إظهار ضعفه أمامهم.

وها هو اليوم الذي ينتظر فيه النتائج على أحرّ من الجمر، ورند أيضًا تنتظر نتيجتها. وقد حان وقت إعلان النتائج، ونجح كلاهما، وبدأ كلٌّ منهما بدراسة الفرع الذي يريده.

وبعد أربع سنوات، نرى أن محمد قد أوشك على التخرّج من كلية الحقوق، ويعمل أيضًا على تأسيس شركته الخاصة، وقد أسماها «M.R للمحاماة»، فحرف الـ M يرمز له، وحرف الـ R يرمز لها، وحتى وهو يؤسس شركته الأولى لم ينساها.

وعندما تخرّجت رند، اضطرت إلى العودة إلى المدينة التي كانت تسكنها سابقًا، وهي نفس المدينة التي كان يسكن فيها محمد وعائلته، بعد أن تزوّج والدها وتركها. وبعد موت جدّتها، قرّرت العودة إلى تلك المدينة، علّها تراه هناك أو تجد عملًا.

وعندما وصلت إلى تلك المدينة، وكلّها أمل في إيجاد عمل أو بيت تسكنه، استيقظت الذكريات من سباتها وهي تمرّ أمام الحيّ الذي كانت تسكن فيه سابقًا، وبدأت الذكريات تمرّ أمامها مع محمد واحدةً تلو الأخرى، كأنها أوراق تتطاير في مهبّ الرياح.

وبعد تفكيرٍ مليّ، قرّرت أن تسكن في منزلهم القديم الذي كان يجاور منزل عائلة محمد. أمّا محمد، فلم يكن يسكن مع عائلته، إذ كان يقضي معظم أوقاته في شركته الصغيرة.

ورغم عمله الشاق، لم ينسَ رند، فكلما ضاقت به الحياة أو اشتاق إليها، نظر إلى ربطة شعرها التي لم تفارق يده، وكأنها مأواه الخاص والوحيد من هذه الحياة.

يقودنا الزمن إلى رند، وهي ترتّب أغراضها في منزلها الجديد، ومع كل زاوية من ذلك البيت كانت لها ذكرى خاصة مع والدتها. وبعد أن أوشكت على الانتهاء، بدأت تتفحّص الصحيفة علّها تجد عملًا.

وبالفعل، وجدت شركات عدّة وكبيرة ذات اسم وسمعة في المنطقة، فاتصلت بها واحدةً تلو الأخرى. وأثناء بحثها، وجدت شركة محمد، ولم تكن تعلم أنها شركته. ولأنها كانت في بداية مسيرتها وليس لها شهرة كبيرة، وضعتها في آخر خياراتها.

في المقابلة الأولى مع إحدى الشركات الكبيرة، كان من أوّل طلباتهم أن تكون ذات خبرة، فقالت:

– لن أيأس، سأحاول، ولن أحزن إن لم أُقبل، فهناك العديد من الخيارات الأخرى.

لكن تلك الشركة لم تقبل بها، لأنها تطلب خبرة في المجال. وهكذا مرّت الأيام مع جميع الشركات الكبيرة، ولم يبقَ أمامها سوى شركة محمد. في البداية تردّدت كثيرًا، لكنها لم تجد حلًّا آخر.

قدّمت سيرتها المهنية كأي موظف عادي، ودعوها إلى المقابلة الثانية بعد يومين. كانت رند أحيانًا تفكّر بأنها لن تُقبل، وأحيانًا أخرى تحاول التمسّك بالأمل. أصبح داخلها خليطًا من المشاعر الإيجابية والسلبية، ومع ذلك، لم يتغيّر مكان محمد في قلبها، بل ازداد يومًا بعد يوم حتى أصبح جزءًا من حياتها.

وقد حان موعد المقابلة الثانية، وكانت مستعدّة لأي صدمة قد تتلقّاها. وعندما وصلت إلى الشركة، نظرت إلى ساعتها، فوجدت أنها وصلت باكرًا، فقرّرت الجلوس في المطعم المجاور للشركة. وضعت لعبتها «محمد» على الطاولة، وراحت تحدّثه كأنه شخص حقيقي، تخبره بأنها لا تتوقّع القبول، وأنها مستعدّة لكل الصدمات.

وبعد مرور بعض الوقت، قرّرت الذهاب إلى الحمّام لتعدّل نقابها، وتركت لعبتها على الطاولة. وبعد انتهائها، وجدت نفسها متّجهة نحو باب الشركة، وقد نسيت محمد على طاولة المطعم.

في المقابلة، وجدت مجموعة من الناس، ولم يكن محمد بينهم لانشغاله باجتماع آخر. تركت ملفها وغادرت. وبعد انتهاء اجتماع محمد، أحضرت له مساعدته ملفات المرشّحين ليختار أحدهم، وعندما بدأ بالاطلاع عليها ووصل إلى ملف رند، اتصلت به والدته، فلم يستطع الاطلاع عليه.

- السلام عليكم... ماما، هل تسمعينني؟
- نعم يا بني، وعليك السلام، أسمعك يا أمي، كيف حالك؟
- أنا بخير، لكن عندما أراك سأكون أفضل.
- إن شاء الله، سأزورك قريبًا بإذن الله.

كان محمد لا يريد الذهاب إلى تلك الحارة، ظنًّا منه أن ذلك الحي سيعيد له الذكريات، وكان يحاول نسيان رند، إذ كان يظنّ أنها نسيته.

في الوقت نفسه، كانت رند تبحث عن لعبتها في منزلها الجديد، فلم تجدها. بحثت عنها في حقيبتها، لكن دون جدوى. تطايرت الأحداث في ذاكرتها، حتى تذكّرت أنها تركتها في المطعم المجاور للشركة. راحت تبكي بكاءً شديدًا، وكأنها فقدت أحد أفراد عائلتها، وتلوم نفسها قائلة:

- أنا دائمًا هكذا، سأظل عديمة المسؤولية، هذا آخر شيء بقي لي.

وبعد بكاء طويل، قرّرت العودة إلى المطعم والسؤال عنها، علّ أحدًا يعرف شيئًا. وبعد ساعات قليلة، سألَت صاحب المطعم، والدموع تنهمر من تحت نقابها:

- هل رأيت محمد؟
- أتقصدين تلك الدمية؟
- لا تقل دمية، اسمه محمد، أخبرني هل رأيته؟

استغرب صاحب المطعم من تصرّفها، وقال لها:

- يا أختي، هدّئي من روعك، وإن كنتِ تقصدين تلك الدمية، فبإمكانكِ السؤال عنها في مكتب الاستعلامات بالخارج.

ذهبت رند إلى مكتب الاستعلامات، وكلّها أمل، وعندما رأته، ركضت نحوه واحتضنته، وهمست:

- أين ذهبت يا حبيبي؟ أعدك أنني لن أتركك مرة أخرى، سامحني.

وعادت إلى المنزل لتجد أن شركة محمد قد اتصلت بها مرارًا، لكنها لم تنتبه لهاتفها لانشغالها بالبحث عن لعبتها. فأعادت الاتصال قائلة:

- آسفة جدًا، لم أسمع هاتفي.
- لا عليكِ، اتصلنا بكِ لنأخذ بعض المعلومات، ونخبركِ بأنه تم قبولك، وعليكِ البدء غدًا في تمام الساعة التاسعة صباحًا.

ظنّت رند أنها لم تسمع جيّدًا من شدّة فرحتها، ودوّنت ذلك اليوم في دفترها كيومٍ مميّز؛ ففيه أضاعت محمد ووجدته، وقُبلت في العمل، وأصبح لديها مستقبل جديد.

داخل شركة "أم آر"

كان محمد واقعًا في حالةٍ من الزكام، فلم يأتِ إلى الشركة، بينما استيقظت رند صباحًا وهي مفعمة بالحيوية والنشاط، وذهبت إلى الشركة.

استقبلها مساعد محمد، وكان يُدعى فراس، وهو صديقه الودود. رحّب فراس برند بكل احترامٍ ومودة، وبدأ يعرّفها على أقسام الشركة. كان مكتبها في الطابق السفلي، بينما يقع مكتب محمد في الطابق العلوي.

وعندما اقتربوا من مكتب محمد، شعرت رند بإحساسٍ غريبٍ جدًا، وكأن شيئًا ما يشدّها إلى الداخل، لكنها لم تُعِر هذا الشعور اهتمامًا طويلًا حتى تلاشى.

انتهى يومها في الشركة، وعادت منهكةً ومتعبةً إلى منزلها. وفي اليوم ذاته، قرر محمد زيارة والدته في منزلها المجاور لمنزل رند. وما إن وصل إلى تلك الحارة حتى لاحظ أن الأضواء في منزل رند مشتعلة، فاستغرب كثيرًا، إذ كان يعتقد أن رند ووالدها قد سافرا منذ زمن.

وما إن دخل إلى منزل والدته حتى سألها بسرعة:

رأيتُ الضوء في المنزل المجاور مشتعلًا، هل يسكنه أحد؟

لا أدري يا بني، فأنا لا أخرج كثيرًا.

نعم، فهمت.

ولماذا تسأل؟

لا، لا شيء، لا تهتمي.

ذات يوم في الشركة، أرادت رند الصعود إلى الطابق العلوي لأخذ بعض الملفات من زميلاتها، فاستقلت المصعد، وفي اللحظة نفسها صعد محمد.

في البداية لم ينتبه لوجودها في المصعد ذاته، لكن بعد دقائق قليلة، وبينما كانت تتفقد الملفات، أخذ محمد يحدّق بها، وكأنه يعرف تلك العينين البنيتين، لكنه لا يتذكر أين رآهما. ظلّ يحدّق بها حتى توقّف المصعد بهما فجأة، وبدا وكأنه قد تعطل.

نظرت رند إليه، وشعرت وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد، لكنها لم تتذكر ملامحه جيدًا، فقد كبر، وأصبحت ملامحه أكثر حدّة، كأنها خرجت من لوحةٍ قاسيةٍ وصلبة.

نظر إليها قائلًا:

ما اسمك؟

وماذا تريد من اسمي؟ هل أنت المدير؟ المدير فقط من يحقّ له أن يسألني عن اسمي.

لم تكن رند تعلم أنه المدير، إذ قابلت فراس سابقًا على أنه المدير.

فتمتم محمد بسخريةٍ خافتة:

وماذا أريد باسمك؟ بل أريده لأنك محور الكون.

ورفض أن يخبرها بأنه مدير الشركة، وأن فراس مجرد مساعده.

ذات يوم، قررت الشركة إقامة رحلةٍ إلى إحدى الحدائق المجاورة للمدينة. لم يكن محمد يحب هذه الأجواء كثيرًا، لكن بعد إلحاح صديقه فراس، قرر الذهاب.

وخلال الرحلة كان الجميع مستمتعًا بوقته، ولعبوا لعبة الأسئلة، وحان دور محمد، فسألوه:

هل أحببتَ من قبل؟

نعم، لكنها تركتني وذهبت بلا سبب، ولا عذر، ولا حتى كلمة وداع.

قال ذلك وهو لا يعلم أنها تسمعه، وهي أيضًا لم تدرك أن الكلام موجّه إليها.

وعندما جاء دورها، كانت إجابتها:

أحببتُ شخصًا كان حبيبًا وقت الرخاء، وصديقًا وقت الشدة، وأبًا في النصيحة، وأخًا في الغيرة والخوف عليّ.

انتهى اليوم، وفي صباح اليوم التالي عاد الجميع إلى منازلهم. عاد محمد إلى بيت والدته، وتفاجأ برند تدخل منزلها، فهو يعلم أن هذا المنزل كان لرند، لا لتلك الموظفة.

استشاط غضبًا، وتوجّه إليها ليصرخ عليها لأنها تسكن في منزل حبيبته.

من الطارق؟

أنا محمد.

سقط اسمه على قلبها كصاعقةٍ ناريةٍ اخترقت صدرها، فسارعت إلى فتح الباب.

من أنت؟ ولماذا تسكنين منزل حبيبتي رند؟

عفوًا، أنا رند، وهذا منزلي. لكن... من أنت؟

تفاجأ محمد بما سمع، وشعر وكأنه سيسقط أرضًا من شدّة الذهول. حاول التهرب من الإجابة، لا يعلم لماذا، لكن إحساسًا غريبًا اجتاحه؛ قلبه يقول له ابقَ، وعقله يقول له اذهب، فدينهما لا يسمح بالحديث بينهما.

وبعد لحظات من الصمت، قالت رند باستغراب:

أتيتَ إلى منزلي في هذا الوقت، ولا تريد أن تخبرني من أنت؟ ولا لماذا جئت؟

بلى، سأخبرك. أنا محمد، حبيب طفولتك الذي تركتِه وذهبتِ دون أن تسألي عنه.

ألهذا الحد كنتُ رخيصًا عندك؟

لم يترك لها فرصة لتبرر، ورحل دون أن يسمح لها بنطق حرفٍ واحد تدافع به عن نفسها.

عاد محمد إلى منزل والدته في حالةٍ يُرثى لها. دخل غرفته القديمة، ووضع أمامه ربطة شعرها، وبدأ يحدّثها كأنها إنسانة تسمع وتفهم:

لماذا ذهبتِ؟

هل كنتُ غبيًا إلى هذا الحد، فلم أرَ أنكِ كنتِ تتسلّين بي؟

ثم عاد يلوم نفسه طوال الليل.

وفي الوقت نفسه، كانت رند تحاول فهم ما حدث؛ فظهور محمد المفاجئ قلب حياتها رأسًا على عقب.

مرّ الليل طويلًا، ومع شروق الشمس دخل الضوء من نافذة رند معلنًا الصباح.

استيقظت وهي تحاول إقناع نفسها أن ما حدث مجرد كابوس، لكنه كان حقيقة.

أما محمد فاستيقظ بملامح كآبةٍ واضحة، يتمتم:

لماذا فعلتُ كل هذا؟

لماذا تعلقتُ بها إلى هذا الحد؟

حاول رسم ابتسامةٍ على وجهه، لكن الحزن كان أوضح. خرج إلى والدته وهو يكاد يحبس دموعه. نظرت إليه ولم تسأله، فهي تعرف أنه لن يجيب.

أما رند، فكانت تنتظر وقت الدوام بحرقةٍ لتراه وتبرر له ما حدث. وعندما وصلت إلى مكتبها، لاحظت صديقتها تغيّر حالتها، لكنها لم تحصل منها على إجابة.

طلبت منها صديقتها إيصال بعض الملفات إلى المدير.

ذهبت رند، وهي مثقلة بالإحباط، حتى صادفت فراس، فظنته المدير، وضعت الملفات على الطاولة وهمّت بالانصراف، لكن فراس أوقفها قائلًا:

إن كنتِ تقصدين المدير، فهو في المكتب المجاور.

حملت الملفات، وتوجهت إلى المكتب، طرقت الباب، وسمعت صوتًا مألوفًا يأذن لها بالدخول.

قالت:

هذه بعض الملفات، أرسلتها صديقتي لك.

رفع رأسه، فالتقت عيناه بعينيها...

وحين حاول الخروج، تعطل الباب، وبقيا وحدهما في المكتب.

كانت تلك فرصةً لرند لتبرّر لمحمد ما حدث معها آنذاك، ولم يكن يملك سوى أن يستمع إليها حتى تُكمل حديثها. في البداية لم يكن يُصغي إليها أبدًا، وكان يحاول تجاهلها، بينما كانت تتحدث ودموعها تنهمر بغزارة، وكأن فصل الشتاء قد عاد من جديد.

وعندما بدأت بالكلام، لم يكن يسمعها حقًا، لكن ما إن قالت له: أحبك، حتى شعر برعشةٍ غريبة تسري في جسده، وكأن شيئًا ما قد تبدّل في داخله. في تلك اللحظة، كانت معركةٌ تدور في أعماق محمد؛ فقلبه متعلّقٌ برند، وعقله يُكابر ويرفض، لأنها هي من تركته دون أعذار. لكن في النهاية، سيطر قلبه على عقله، وجلس يستمع إليها بإصغاءٍ وتمعّن، وعرف حينها أنه هو من كان مختفيًا.

حاول الاعتذار من رند، لكنها غادرت إلى منزلها لتستريح بعد كل ما مرّت به في ذلك اليوم. وما إن وصلت حتى ألقت بجسدها المنهك على السرير، مثقلةً بالتعب والألم. كانت بحاجةٍ إلى شخصٍ تفضفض له ما في قلبها، لكن لم يكن هناك أحدٌ سوى مرآتها، فجلست أمامها، وأخذت تحدّثها وكأنها إنسانة قادرة على سماعها. وبعد حديثٍ طويل، غلبها النوم، فقد كانت في الليلة السابقة لم تنم سوى ساعاتٍ قليلة.

وعندما أدرك محمد أنه ظلمها كثيرًا، وأنها عادت إلى منزلها، ذهب إلى أمام بيتها، وأحضر مكبّر صوت، وبدأ ينادي:

«حبيبتي ورفيقتي رند، والله إني أحبك. سامحيني يا حبيبتي، ربما ظلمتك قليلًا، لكنني لم أكن أعلم».

ومع ذلك، لم تكلّف رند نفسها حتى أن تنظر من نافذتها. وعندما شعر محمد أنها تسمعه ولا تردّ عمدًا، وجّه كلامه إلى الناس قائلًا:

«يا ناس، هل من أحد يسمعني؟ لقد أحببتها منذ خمسة عشر عامًا، ولم ينقص حبّي لها يومًا، بل كان يزداد يومًا بعد يوم. أخبروها أنني سأبقى هنا، ولو اضطررت أن أنام أمام بيتها قرنًا كاملًا فسأنام».

سمعت رند تلك الكلمات، وتمنّت لو استطاعت أن تخرج أمام الناس وتقول له:

«وأنا أيضًا أحببتك بشدّة، تعلّقت بك إلى حدّ أن يومي لم يكن يمرّ دون أن أذكرك فيه، كنتَ ظلي وظليلي».

لكنها احتفظت بكل ذلك في قلبها، لأن دينها لا يسمح لها بما أرادت.

وبعد محاولاتٍ عديدة، لم يستسلم محمد، وعزم على إخبار والدته لتذهب وتطلب رند له. وعندما أخبر والدته، لم تتردّد في الرفض، لأن رند لا تمتلك عائلةً يتقدّمون إليها. لكن محمد، كعادته، لم يستسلم؛ فقد كان لرند عمّة، إلا أن علاقتهن لم تكن قوية بسبب مشكلاتٍ قديمة. ظلّ محمد يبحث ويسأل حتى عرف مكانها، ولم يتردّد في الذهاب إليها.

غاب عن المدينة مدةً قصيرة، وافتقدته رند كثيرًا، فقد كان لا يترك يومًا يمرّ دون أن يُزعجها برسائل الحب أو بهدايا يرسلها مع أطفالٍ غرباء. كان عقلها يحاول إقناعها بأن غيابه أفضل، وأنه لم يعد هناك من يُزعجها، لكنها في الحقيقة كانت تحاول إقناع نفسها بأنها لا تفتقد إزعاجاته، بينما قلبها كان يقول عكس ذلك تمامًا.

لم يطل غياب محمد، فعاد إلى المدينة برفقة عمّة رند، بعد أن سدّد دينًا كبيرًا كان على زوجها قبل وفاته. طرقت العمّة باب بيت رند، ورغم دهشتها، سارعت لفتح الباب، وانصدمت برؤية عمّتها. احتضنتها وقد اختلطت مشاعرها بين الدهشة والحزن والشوق، فقد مضى وقتٌ طويل وهي تعيش بمفردها. أقامت العمّة معها، ووضعت أغراضها في غرفةٍ مجاورة، وبدأت الأيام تمرّ، واعتادت رند وجودها، وكان الأمر جميلًا بالنسبة لها.

انتظر محمد يومين، ولم تغب رند عن باله لحظة. كان يتخيّلها في كل ثانية بفستانٍ أبيض جميل. وبعد محاولاتٍ متكرّرة مع والدته، وافقت أخيرًا. اتصلت والدة محمد بعمّة رند لتحديد موعدٍ يتقدّمون فيه لخطبة رند.

في البداية، اعترضت رند، فهي لم تكن تفكّر بالزواج، إذ كانت ترى أن الزواج مسؤولية كبيرة لا تقوى على حملها، لكنها وافقت في النهاية إرضاءً لعمّتها، وقررت أن ترفض بعد انتهاء الرؤية الشرعية. كان هذا قرارها، إلى أن علمت أن من تقدّم لخطبتها هو حبيب العمر ورفيق الطفولة.

عندما دخلت لتقديم القهوة، شعرت برعشةٍ غريبة تسري في جسدها، وقدّمتها وقلبها يرتجف فرحًا وتوترًا. أما محمد، فكان ينظر إليها وكأنه يراها للمرة الأولى. انتهت الرؤية الشرعية، وترك لها باقة ورد وعلبة شوكولا، فغمرتها فرحةٌ كبيرة، إذ إن ذلك عند العرب علامة على قبول الشاب بالفتاة وحبّه لها.

تردّدت رند في البداية؛ فهو الشخص الذي قال لها كلامًا جرحها، وهو ذاته الذي أحبّته منذ الطفولة. لبثت يومين، ثم أخبرت عمّتها بموافقتها، لتخبر والدة محمد بأنهم موافقون. وعندما وصل خبر الموافقة إلى والدة محمد، لم تكن ترغب في سماعه، لأنها لم تكن تحب رند كثيرًا.

وصل الخبر إلى محمد، فشعر وكأنه يطير فرحًا. اشترى بضع علبٍ من الحلوى، وذهب إلى الميتم ليوزّعها على الأطفال، وبعد مدة حدّدوا موعد الخطبة.

في يوم الخطبة، تجهّزت رند بكل حب وسعادة. وما إن حان الموعد، بدأ الناس بالتوافد إلى منزل رند، لأن الخطبة كانت فيه. تجهّز محمد أيضًا، وقلبه مفعم بالحب لتلك اللحظة. دخلت رند إلى مكان الخطوبة وهي ترتدي فستانًا ورديّ اللون، مع لفة شعر بسيطة تركته ينسدل على كتفها بحرية ولمعان. ومن جهة أخرى، كان الجميع متأنقين بأبهى صورة، وكان محمد يرتدي طقمًا أسود جميلًا زاده هيبة ووقارًا، وبدت ملامحه وكأنها مرسومة بدقة لشدة جماله.

عندما دخلت رند، تفاجأ الجميع بجمالها وأدبها، فهي ذات طلة بهية ومشية متوازنة، وكأنها رسمت خطواتها بمسطرة. جلست في مكانها، والناس من حولها يهنئونها ويهنئون والدة محمد بحسن اختيارها. دخل محمد، وقد أذهله جمال رند، فكان يراها لأول مرة دون خمار بعد سنوات الطفولة.

«تبدين كحوريةٍ هاربةٍ من الجنة إليّ.»

هكذا قال محمد لرند بعد أن تغلّب على خجله. احمرّت وجنتاها خجلًا، وبادرته بابتسامة لطيفة خفيفة عبّرت عن الخجل والحب في آنٍ واحد.

انتهت فترة الحفل، وعاد كلٌّ منهما إلى منزله، وهو يتمنى ألا تنتهي الخطبة أبدًا. كان قلباهما يرقصان فرحًا. أصبحت لقاءاتهما كثيرة ومنتظمة، كل يوم جمعة برفقة العائلة، وأصبحا يذهبان إلى الميتم بعد جمع التبرعات للتبرع بها للأطفال.

ومع مرور الوقت، تحسّنت علاقة رند بوالدة محمد، وبدأت والدة محمد تتعلّق بها وتحبّها كثيرًا. مضت فترة الخطوبة وهما سعيدان جدًا، حامدين الله على ما أنعم به عليهما، حتى لم يبقَ على الزفاف سوى أقل من أسبوع. كانت رند تذهب برفقة عمّتها ووالدة محمد لشراء كل ما تحتاجه لحفلة الزفاف. اشتاقت لأمها كثيرًا، وهو أمر طبيعي، لكنها كانت تحاول أن تجاهد نفسها كي لا يشعر الآخرون بذلك.

في يوم الزفاف، كان الجميع بانتظار دخول رند ومحمد، إلا أن رند تأخرت. همّ محمد بالدخول إلى غرفتها، فتفاجأ عندما وجدها على السرير تبكي ومتوتّرة. كانت حزينة لأنها لا تستطيع رؤية والدتها وهي ترتدي الفستان الأبيض، ومتوتّرة لأن لا أحد بجانبها بعد وفاة والديها.

نظر محمد في عينيها وقال مطمئنًا:

«لا تحزني ولا تخافي، أعدك أن أكون لك السند وقت الشدة.

أعدك أن أبقى بجانبك دائمًا.

أعدك أن أعوّضك عن كل ما مضى.

أعدك أنني لن أتركك أبدًا.

لن يفرّقنا سوى الموت، يا أميرتي.

فقط ثقي بي.»

وبادر إلى مسح دموعها. بعد سماعها كلماته، شعرت رند براحةٍ عميقة، مما سمح لها بالخروج إلى الضيوف مفعمة بالبهجة والأمل بأن المستقبل مع محمد سيكون أجمل.

دخل رند ومحمد إلى الحفل وأبهرا الجميع، فقد كانا ثنائيًا جميلًا، وبدت بينهما ملامح الانسجام واضحة، وكأنهما خُلِقا لبعضهما. لم يكن الزفاف عاديًا؛ فلم يكن مجرد صالة وأغانٍ وموسيقى، بل كان في صالة تتعالى فيها أناشيد الفرح بأصوات نسوة ينشدن بعذوبة، أما حفل الرجال فكان في جامع قريب من الصالة.

دخل محمد للحظات ليتأكد من دخول رند، ثم قدّم لها هدية الزفاف، وكانت عبارة عن خاتم جميل، وباقة ورد خمريّة اللون تتوسطها وردة بيضاء، وعلبة مغلقة. ظلّت رند تنظر إلى العلبة بفضول، وتتساءل في نفسها: لماذا لم يفتحها؟ ولماذا أبقاها مغلقة؟ هل بداخلها سر؟

لم يطل تفكيرها، إذ انشغلت بحفل زفافها، وكانت تخفي حزنها ووحدتها عن الجميع حتى يبقوا سعداء. انتهت الحفلة على خير، وجاء محمد ليأخذها إلى منزله. وعندما وصلا، رحّب بها قائلًا:

«أهلًا بكِ يا أميرتي، قلعتي قد لا تليق بحُسنك، لكن إن دخلتِها سنغيّرها كما نريد.»

ضحكت رند بخجل، وأثنت على كلماته الجميلة. وبعد أن بدّلت ثيابها، صلّت مع محمد ركعتين شكرًا لله. في الصباح، استيقظت رند بنشاط، وأعدّت الفطور لهما، وأيقظت محمد. وعندما استيقظ، لم يصدّق ما يراه؛ رند إلى جانبه، أصبحت حلاله، وتنتظره على الفطور. كان كل ذلك أشبه بحلمٍ جميل.

بعد فترة قصيرة، بشّر محمد بأن رند حامل بتوأم. كان محمد يحب البنات كثيرًا، على عكس رند التي كانت تميل للصبيان، لكن ذلك لم يكن سببًا للخلاف، بل كان موضوعًا لنقاشاتٍ لطيفة تنتهي بالضحك. كانت فترة الحمل جميلة، ازداد فيها حبّ كلٍّ منهما للآخر وتعلّقه به.

وحان موعد الولادة، وكانت والدة محمد دائمًا إلى جانب رند، كما لم تتركهم عمّتها أبدًا. وبينما كان الجميع ينتظر خروج الطبيبة ليطمئنهم، خرجت وهي تحمل طفلين كأنهما قطعة من القمر لشدة جمالهما.

خرجت الطبيبة وهي تحدّق بكل فردٍ من العائلة، وكأنها تقول لهم إنهم دخلوا ثلاثة وخرجوا اثنان، لكنها لم تنطق بذلك. كان محمد مترددًا؛ هل يسأل عن رند أم أنها ستخرج بعد قليل؟ حتى وجد كلماته تخرج متجاوزة حاجز الصمت قائلًا:

— ورند؟ أين هي؟

أجابت الطبيبة بأسى:

— للأسف، كما تعلمون، كانت مصابة بمرض فقر الدم الحاد والمزمن، ولذلك لم تستطع تحمّل ضغط العملية، وخسرناها.

انذهل الجميع لسماع هذا الخبر. ما ذنب هذين الطفلين؟ لم يريا أمّهما حتى، لم تضمّهما إلى صدرها ولو لمرة واحدة. ما ذنبهما في كل هذا؟

نظر محمد إلى الطبيبة وكأنه يتوسلها أن تقول إنها مخطئة، لكن تلك كانت الحقيقة المؤلمة. نظرت عمّة رند بحرقة إلى محمد وإلى الطفلين. ما كل هذا؟ أهو اختبار من الله؟ أم اختبار لمعرفة مدى صبرهم وصبر محمد؟

نظر محمد إلى والدته، وكلّه ألم وحزن. أصبح كطيرٍ كُسر أحد جناحيه فلم يعد يقوى على الطيران، وكأن حلول الأرض قد انتهت، وفعلاً انتهت تلك الحلول. فقد نذر حياته لرند عندما رآها أول مرة، وجاهد كثيرًا حتى تقبله زوجًا لها، واليوم تتركه وتمضي، وتترك خلفها طفلين رضيعين لا يعرفان حتى كيف ينطقان اسميهما.

ما هذه الحياة القاسية؟ تعطيك شيئًا لتعتاد عليه، وما إن تعتاد عليه حتى تسلبه منك دون رحمة. في تلك الليلة لم ينم محمد، كان يبكي فقط ويحاول أن يجد حلًا، حتى أتى الفجر. احتضن ولديه، وقبّل يدي أمه، وكأن الليل لم يذهب سُدى، وهمس في أذنيهما بحنان:

— لن أترككما حتى الموت.

كانت والدة محمد حزينة جدًا لما حصل مع ابنها، ومحتارة أيضًا في ما تستطيع فعله من أجله. كانت تحاول دائمًا أن تزوجه أو تعرّفه على بنات أخريات، ظنًّا منها أن ذلك قد يخفف عنه، لكنه لم يكن يشعر بشيء. كان يرسل أولاده صباحًا إلى أخته لترضعهما، لأنها كانت تملك فتاة من العمر نفسه تقريبًا، وتُبقيهما عندها حتى يعود من عمله ويتفرغ لهما.

مضت الأيام، وكان دائم الاشتياق لرند، وقد أتعبته الحياة من دونها. ذهبت وتركت خلفها ذكرى جميلة ومحزنة في آنٍ واحد، وتركت مسؤوليات كبيرة. ومع كل ذلك، أمضى حياته لا يفكر بسواها، ولم ينظر لغيرها رغم جميع محاولات والدته، إلا أن وقته مع أولاده وعمله لم يسمح له بغير ذلك.

وبعد مضي سنواتٍ عديدة، نرى رهف تتشاجر مع عبد الحليم لأنه يعبث بأغراضها، ونرى محمد وقد تقدّم به العمر، لكنه ما زال جميلًا كما كان في شبابه، ولم يزده الشيب إلا هيبة ووقارًا.

ظلّ على حبّه لرند ولم ينظر لغيرها، وملأ وقته كاملًا بعمله وأولاده، حتى كبرت شركته وأصبحت من أهم شركات المحاماة في البلد، وأصبح ابنه عبد الحليم محاميًا فيها، يستعد لاستلام الإدارة بعد والده.

أما رهف، فدرست الطب وأصبحت طبيبة مشهورة جدًا، وتحب عملها.

في ذلك اليوم، كان كلٌّ من رهف وعبد الحليم في عملهما، وتركوا محمد وحده في المنزل بناءً على طلبه. وعندما عادوا إلى المنزل، نادوا على والدهم، لكنه لم يرد عليهم. دخلت رهف إلى غرفة والدها، فوجدته مستلقيًا على سريره. أسرعت لإيقاظه وإخباره بقدومها، ولكن دون جدوى.

نعم، لقد مات على حب رند، وعاش من أجلها.

ترك ورقة كُتب فيها:

«ولداي العزيزان، لا تحزنا. مهمتي معكما قد انتهت، فأنا عشت من أجل حب أمكما، ومتّ على حبها

الكاتبة: راوية حسون

"أنا والطفلة التي تسكنني"

في داخلي طفلةٌ ما زالت تراقب العالم بدهشة،

تختبئ خلف كتفي كلما علت الأصوات،

تبتسم بصمت حين ترى شيئًا جميلًا لا يلاحظه أحد،

وترفض أن تكبر في عالمٍ يسرع نحو الغضب والنسيان.

كبر جسدي، لكن عينيها ظلّتا هناك،

في زاويةٍ من الذاكرة، تلوّحان لأيامٍ مضت ولم تعد،

تسألاني أحيانًا:

"لماذا توقّفنا عن الضحك؟

لماذا صار الحلم ثقيلاً كالحجر؟"

أحتضنها بصمت،

وأخبرها أننا صرنا نعرف أكثر ممّا يجب،

ولهذا نتعب أكثر مما نحتمل.

لكنها تبتسم، وكأنها تعرف سرًا لا أعلمه بعد.

أتذكّر أول مرةٍ شعرتُ فيها بأن العالم ليس كما كنتُ أحلم...

كنت أجلس على الأرض في الحديقة، أصنع قلعةً من الرمال،

أغنّي بصوتٍ خافت لأغنيةٍ اخترعتها بنفسي،

وكان كل شيء يبدو خفيفًا، بسيطًا، بلا معنى معقّد.

ثم جاء ذلك اليوم...

اليوم الذي رأت فيه الطفلة وجوه الكبار المتجهّمة،

وصوت أحدهم يقول:

"يجب أن تصبحي قوية، ليس هناك وقتٌ للبكاء."

لم أفهم حينها معنى القوة،

ولم أفهم لماذا صار البكاء شيئًا ممنوعًا،

لكن شيئًا في داخلي انكسر،

شيءٌ بدأ يتعلّم كيف يُخفي نفسه.

الطفلة شعرت بالخوف،

لم تفهم كيف صار العالم بهذا الحجم الكبير،

وكيف صار الناس عاجزين عن سماع أصواتنا،

عن فهم فرحنا البسيط.

حاولت أن أحتفظ بابتسامتها،

لكن كل كلمةٍ قاسية، وكل نظرةٍ لا تبشّر بالحب،

كانت تزيل جزءًا من النور الذي كان يملأها.

ومع مرور الأيام، بدأت تراقب العالم بعينٍ مختلفة.

تعلّمت كيف تُخفي مشاعرها خلف وجوهٍ هادئة،

كيف تبتسم حين يريد الآخرون الابتسامة،

وكيف تبكي سرًا حين لا يراها أحد.

كل ذكرى صعبة، كل وجعٍ صغير، كل خيبة أمل،

كانت تضيف طبقةً جديدة حول قلبها الصغير،

تجعله أقوى، لكنها أيضًا تحجب عنه جزءًا من الضوء الذي كان يملؤها.

ومع ذلك، كانت هناك لحظاتٌ صغيرة، لحظاتٌ سحرية،

حين أشعر بأن الطفلة تخرج من الظل،

تمسك بيدي وتقول لي:

"لا تنسي، هناك أماكن لا يستطيع أحد أن يأخذها منك،

هناك أشياء تظل لك وحدك."

ثم جاءت الأيام التي جرّبتُ فيها الحب،

لم يكن الحب الذي تراه في القصص،

بل كان حقيقيًا، معقّدًا، مؤلمًا أحيانًا.

الطفلة وجدت نفسها في خذلانٍ صغير،

في كلماتٍ لم تُقصد،

وفي أملٍ لم يتحقّق بالسرعة التي تمنّتها.

تعلّمت أن القلب يمكن أن يُجرح،

لكنه أيضًا يمكن أن يتعلّم كيف يُحبّ من دون خوف،

وكيف يبني الجسور الصغيرة التي تنقذه من الوحدة.

وفي أيام الوحدة، كانت الطفلة تمسك بيدي،

تخبرني عن أحلامها الصغيرة:

عن نجمةٍ بعيدة، عن زهرةٍ في نافذة،

عن ضحكاتٍ صامتة، وعن أملٍ يتسلّل من بين الأشياء المكسورة.

كنت أستمع لها وأتعلّم الصبر،

وأتعلّم كيف أرى النور رغم الظلال.

وفي الليل، عندما يسكن العالم،

تخرج الطفلة من الظل، تمشي معي في صمت،

تتحدث بصوتٍ خافت:

"تذكّري... لم يرحل كل شيء بعد.

هناك أشياء لا يفهمها أحدٌ سوانا."

أجلس معها على حافة الذاكرة،

أحكي لها عن كل شيء:

خيباتي، أحلامي المكسورة، خوفي من الوحدة.

وهي تُصغي، تقرأ قلبي بلا كلمات، وتبتسم:

"سننجو... كما فعلنا سابقًا."

وفي بعض الأيام، كنت أراها تضحك وحدها،

تخترع ألعابًا صغيرة، تُعيد ترتيب الأشياء في عالمي الداخلي،

تجعلني أرى الحياة من زاويةٍ أوسع،

أوسع بكثير مما تخيّلت.

تعلّمت منها أن البكاء ليس ضعفًا،

وأن الفرح ليس هباءً،

وأن الحب الحقيقي لا يُقاس بما يأخذه منك العالم،

بل بما يبقى لك بعد أن يغادر الجميع.

الطفلة التي لم تكبر هي أنا،

هي كلّ ما بقي صافيًا في داخلي بعد سنواتٍ من الألم،

هي ضوءٌ صغير في الظلام،

هي صوتٌ يهمس: "استمري... حتى لو بدا الطريق بلا نهاية."

وكل يومٍ أستيقظ،

أراها هناك، تراقب، تحلم، تُحبّ، وتعلّمني كيف أستمرّ،

حتى لو صار العالم ثقيلًا،

وحتى لو صمتت الأصوات المحيطة،

ستظل ضحكتها الصغيرة تلوّح لي بين الظلال،

تُذكّرني بأن الحياة، رغم كل شيء، تستحق أن تُحيا.

لأن في داخلي طفلةً ما زالت تؤمن بأن الحياة، مهما قسَت،

قادرةٌ على احتضاننا برفق... إن صدّقناها قليلًا.

الكاتبة: مرام الحواري

"التعمق بي متعب جداً"

التعمق بي متعب جداً، فأنا لا أجيد التّصنع ولا أجيد الالتفات أو التّمسك بأيدي الرّاحلين. قلبي ممتلئ بالغموض والوحدة، ولا تلفتني الأشياء العابرة.

بارعون حين يكذبون، ولكنّي أكثر براعة حين أمثّل بأنّني صدقتهم. كم تمنيت مرور الأيام، ونسيت أنّ عمري ابتسامة مزيفة. أحياناً أفضل من شرح لماذا أنت حزين: إنه لأمر رهيب أن تلتزم الصّمت بينما لديك الكثير لتقوله.

وأراقب طيفًا في الهوى ليس بملكي.

أيا قمر الليل، لمن أشكي؟

ليس لديّ من السماء إلا نجمة تكفيني من الأجرام الفلكية.

لطالما حلمت به ولم يكن لي، ولطالما صدقته ولم يكن صادقًا. حتى هواه وطيفه أصبحا يعبران بسرعة الرياح. لا يوجد لقلبي سواه، ومكانه في قلبي لا يمكن لأحد احتلاله غيره.

ليس كل شيء سيبقى بخير، لكنها أيام ستعبر أو أنها ساعاتٌ ودقائقٌ ليس إلا. فالآلام لا تدوم، فقط علينا الرجوع إلى الله عندما نشعر بالخذلان. كل ألم سينتهي حتماً، حتى لو طال به الزمن قليلاً.

أيام، وفي لحظات معينة، في موقفٍ تشعر أنّها نهاية الطّريق، وتعبُر بعدها رغم شتات الطرقات حولك. ترى نفسك في مكان جديد وأفضل. هذه منعطفات الحياة التي سنتجاوزها يوماً.

كان شابًا في العشرينيات من عمره، يعيش وسط عائلة جميلة في نفس المكان بالقرب من منزلنا. أخوه الأكبر ينال ولا يوجد لديه أخوات فتيات. كان شابًا محترمًا وسط عائلة تكنّ كلّ مبادئ الاحترام والأخلاق العالية. شابٌ من أرض مسعدة يعمل بشركة توصيلات خاصة.

وقعنا في حب بعضنا وبدأت القصة من هنا. بعد حب أيام وشهور عبرت، كنت أكنّ له كلّ التقدير. أحببته من قلبي. لم تسمح لي الظروف بلقاءات عدة، لكن الحب ليس باللقاءات، بل بالقلب.

مرت عدة شهور وكان التواصل خاصًا فقط، لم نستطع أن نكمل بطريقة جيدة، والتضحيات بيننا كانت كثيرة والمواقف التي بيننا كانت جميلة للغاية.

بعد خسارة شخص، تشعر وكأنّ كل الذكريات السيئة أصبحت جميلة. تشتاق للتشاجر معه، وتذكُر كل كلمة عبرت، تترك لك أثر جرح في قلبك الصغير.

كنت أودّ لو أنّ الظروف كانت أفضل من هذا، لكن ليس على الإنسان سوى الصبر بابتلائه.

مرّ الحب عن بعد ومسافة لمدة أربع سنوات، لم أكن أعلم أنّ حتى وجود المسافة لا تصنع حاجزًا للكره. حتى المسافة بيننا لم تجعل لنا طريقًا للاستسلام والتخلي، بل قوّت رابط العلاقة بيننا وجعلت لكلّ شخص فينا أثره الرائع في حياة الآخر.

في صباح يوم جميل مشرق ومزهر تغيّر كل شيء، لأشعر أنه ليس بالشخص الذي أحببته.

كان خائنًا، وحتى في عينيّ أصبح أراه كاذبًا. حتى مراجعة المواقف القديمة تجعلني أشعر بالخذلان. الثقة العمياء التي لم أمنحها لأحد من قبل منحته إياها وكأنّه أخذ بها للهاوية.

أخبرني بكلّ مصداقية وصراحة أنه أحب فتاة تُدعى رشا.

للوهلة الأولى ذهلت! نظرت بدهشة للموضوع باستغراب، أنّه مقلب! لا، أنا أعرفه جيدًا، لن يخون أبداً.

حاولت الاتصال به العديد من المرات، لتجيب على اتصالاتي فتاة. استغربت حقًا.

في البداية قلت لها إنني لن أتخلى عنه وعن حبنا، وهو لن يفعل ولن يحبها إطلاقًا.

اتصلت بي وقالت:

رشا: "أنا أحبه، وهو من اختارني. ستبتعدين عنه، وسيكون لي."

فرددت: "سيكون لك؟" وضحكت باستهزاء ولم أسمح بذلك. ومن ثم جلست أتخيل الموقف كم كان صادماً لي، فالظروف التي لم تسمح لي لم تكن بإرادتي. ليتني أستطيع تغييرها، لكنني أخاف إيذاءه أكثر من نفسي.

رشا: "ابتعدي عنه، وهو لي. وهو من أعطاني هاتفه لأنّه اختارني حبيبةً وصديقةً وأختًا ومسندًا بدلاً عنك، ولا يريدك."

سقطت أرضًا من شدة الصدمة. أغمضت عيناي المتعبة وكان منظر وجهي متعبًا مصفرًا ويداي ترتعشان. وأخذوا بي إلى المشفى. كان ما أصابني سببه دهشة ما سمعت، لكني حتى الآن لم أصدق.

جلست مساء ذلك اليوم أفكر لأرى أنه لا أحد يستطيع إجبار الآخرين على محبته، وأرسلت لها: "أهديتك إياه كهدية بسيطة، فحافظي عليه جيدًا. كان أغلى من عيناي. وأقسم لو أنّي أستطيع القتل لقتلتك وشربت من دمائك دون تردد، لكن الله سميع بصير وأخشاه من قتلك."

هو من اختار، وأنا من كسرت، ولكن الظروف لم تكن بيدي. لم أستطع تغييرها خشية إيذائه. وكم من الصّعب أن تجاهد كثيرًا لأجل شخص لم يقدر ما معنى تعبك وألمك ودموعك من أجله، ويذهب لغيرك. من المؤسف حقًا ما حدث.

كان كاذبًا في مشاعره، وأنا أتخطى حبّه الآن. أحاول حقًا. يا ربّ، أدِم لِحيَاتنا الناس الصادقة والبسيطة، الذين يمتلكون حسن الظن بنا ويتفهموننا من غير كلام. أولئك الناس الذين تجدهم عند الحاجة.

الاختيارات الخاطئة ليست دائمًا تأثيرها سلبيًا. كنت كلما سمعت هذا الكلام تعجبت، لكنّها الحقيقة فعلاً. شعورك بالخذلان من شخص ما يجعلك تحاول البدء من جديد بشكل أقوى، وتحقق نجاحات عالية في التركيز على أهدافك فقط. أن تشعر بالوحدة ليس بهذا السوء. جميعنا نمرّ بأوقاتٍ صعبة، لكنها لا تدوم. ومن بعد كل ألم، نبدأ من جديد بأفضل حال.

أحببته بكل ما أمتلك وكل ما أشعر. أعترف بأنّه أمرٌ خاطئ لأنّها علاقات محرمة، ولكن ماذا عن القلب إن أراد شخصًا؟ هنا تكمن كل الكوارث. كنت على علم تام أنّني مخطئة، لكن أحببت. وليس لقلبي بالبعد. شعرت حينها أنّ البقاء مؤذٍ، والابتعاد مؤلم. ولم أعد أفرق بين الصائب والخاطئ.

وقعت بين نار القلب والعقل.

شخصًا بكامل الأخلاق والروح الجميلة أحبني بطريقة مختلفة. كان رائعًا جدًا، شخصًا له شعبية كبيرة، وشعره البني الجذاب، وعيناه الملفتتان، ولمعة عيناه الرائعة، وطوله الرشيق.

وجمال القلب الأهمية الكبرى.

كنت أراه مختلفًا حقًا. عبرت الأيام والشهور والسنين بظروف سيئة وظروف جيدة، وأوقات قد انهرت فيها انهيارًا تامًا، ووصلت لقمة التعب والقلق، لكني حاولت بكل ما أملك أن أكمل رغم كل الظروف المعيقة للطريق.

في الثانوية العامة كنت أدرس، وأكملت الطريق رغم كل متاعبي ورغم كل انشغالي بدراستي وتعليمي. كنت أرغب في دخول الكلية التي أريدها وحلمت بها.

كنت أكمل دراستي وعقلي مليء بالتشتت، وظروف سيئة جدًا. كنت شخصية كتومة لا أعبر عمّا بداخلي. أتكلم مع الجميع براحة وكأنّ شيئًا لم يكن. ولقلبي كلام آخر.

في شهور استعدادي لبدء الدراسة والتقديم على الامتحانات العامة في الثانوية، جلست أدرس وأفكر في آن واحد. كنت خائفة من إضاعته بطريقة ما دون قصد. أتساءل: كيف تمرّ عليه الأيام؟ أهو بخير أم أنّه حزين؟

ذات مرة كنت أدرس في مادة الرياضيات، فمرّ طيفه من أمامي وكأنه جالس بجانبي. للحظات، شعرت بالحزن، لكن سرعان ما اختلف شعوري وبقيت متوهمة أنه بجانبي، يمدّني بالطاقة الإيجابية على الإكمال. وبقيت يومًا كاملاً سعيدة، كدتّ أن أصاب بالجّنون.

كان المستوى النفسي لدي محطمًا تمامًا. جمعت شتات قلبي المتبعثر، وأكملت طريقي لأصل.

عندما انتهيت ووصلت لنهاية الطريق، لم أجده بجواري. قد وعدني أن نكمل. في حفلة تخرجي من الثانوية العامة، كنت أحلم من قبل بأن يكون بجانبي في هذا اليوم، لكني لم أجده.

بدأت حفلتي الساعة الرابعة عصرًا، وحتى لحظات انتهائها ودموعي على خدّيّ تنهمر، أتخيّله يجلس أمامي فرحًا. لكنّي من قبل، أعطيت وعودًا صادقة أن أنجح لأشخاص ليس لهم أيّ ذنب بتعثّراتي الشخصيّة. وكان عليّ الإكمال رغماً عني.

كنت أتكلم بيني وبين نفسي أن المصائب والكوارث التي تصيبني ليست طريقًا للاستسلام، رغم لحظات الفشل التي شعرت بها وأردت الوقوف. اختيارات الله دائمًا صائبة، لكن ماذا عن عبدك الذي نام باكيًا من شدة حزنه؟

لا أعلم السبب، لكنّي أعلم أنني أكملت دوري في حياة الآخرين بأتمّ وجه. وبقسوة الأيام وعتمة الليالي، لم أقف.

تمرّ جميع أيامي بنفس الطريقة: توهم، وخيال، وتفكير، وانشغال بدراستي وعملي المنزلي.

كنت متعبة في يوم ما وخرجت في تمام الساعة العاشرة مساءً إلى حديقة منزلنا. أتأمل نجوم السماء. أين أنت يا يامن؟ أين ذهبت؟ ألا تود اللقاء؟ ألم تشتاق لطفولتي معك؟

كنت كلما رأيته تصرّفت وكأنني ابنته الصغيرة. أحبّ أن يعاملني بطريقة الطفولة والبراءة. كنت أحتل المرتبة الأولى في قلبه.

ألا تريد احتضاني؟ حتى صوت أنفاسه كدت أن أسمعها، ونبضات قلبه المتسارعة أشعر بها.

وأراقب السماء بصمتٍ تام، وقلبي من الداخل يحترق. أتساءل في هذه اللحظة: معقولٌ أنّه يتكلم مع عشيقته؟ أو أنه حزين؟ هل تهتم به كما كنت أفعل؟ أم أنّها تحزنه وتجرح قلبه الأبيض؟ هل بات من الحقيقة أنّها احتلت مكاني؟

على من أرمي لومي هذا، عليك يا يامن أم عليها؟ ماذا فعلت؟ لما كنت بائعة تعبي وجهدي ومحبتي لكِ لها دون ثمن؟

بعد دقائق قليلة، أشرد بعيدًا. سمعت صوته من بعيد يصرخ ويتلاشى بسرعة. تعجّبت! ركضت مسرعةً إلى نافذة بيتنا لأراه يسقط أرضًا والجميع من حوله يصرخ. لم تتحمل عيني ما رأت.

حملت هاتفي وتكلمت مع ينال، أخاه الكبير، وكانت علاقتي به أيضًا جميلة ورائعة. اعتبرته أخي الكبير وكان صادقًا حقيقيًا. كلمته:

ماذا حدث له؟ هل هو بخير؟

ينال: "لا، سنسعفه حالًا للمشفى."

هل سيكون بخير؟

ينال: "لا أعلم. اصمتي، سأموت لحاله. أخي الوحيد يذهب أمام عيناي!"

لا تتكلم هكذا، أرجوك. لن يحدث له شيء أبدًا، سيتعافى. ودموعي تسيل على عيناي. لا أعلم ماذا أفعل.

ينال: "سأخبرك عندما أعلم ما به."

حسناً، لا تتأخر.

وبعد وقت طويل، لمدة ساعة أو أكثر، لم يتكلم. اتصلت بصديقه محمد وعلمت مكان المشفى وذهبت أنظر من بعيد.

نائم على سرير المشفى، شعره المتدلي على جبينه قليلاً، عيناه المغلقتان، ملامحه الساحرة. ليتني أستطيع أن أحتضنك قليلاً لتخبرني: "لا أحد احتل مكاني."

دخلت متسللة إليه، حدقت إليه كثيرًا، ووضعت رأسي على كتفه باكية. أحدثه وكأنّه يسمعني:

استيقظ، أرجوك. ستكون بخير. ألا تريد الاستيقاظ؟ ابتسمت في وجهه: يا مغرور، يا كثير العصبية. استيقظ حالًا، عد أريد أن أراك وأنت تلعب كرة القدم مع الأصدقاء في حارة السكن. أليس أنت من قلت أنّك ستقتلني إن رأيتني؟ (من باب الدعابة والمزاح).

عندما أتى أخاه ينال، ذهبت بسرعة كي لا تجمعني الصدفة به.

تكلمت مع ينال في اليوم التالي وعلمت أنّه بخير، وكان ما مرّ به جهدًا وإرهاقًا.

كان قد أحب فتاة أخرى، هي رشا، الذي جعلها تأخذ كل حبنا بتلك السهولة. لا أستطيع إجباره على محبتي. لم نعد نتكلم منذ ذلك الحين، ولا أستطيع الاطمئنان عليه الآن. كنت أسأل عن أخباره من ينال، ودامت علاقتي به كأخ وصديق مقرّب، ليس إلا. مرت علاقتنا الأخوية بسلام.

لكن بعد الكثير والكثير من الوقت، دخلت لصفحتي في الفيسبوك الخاصة بي، وأرى أنه قد حذف رقم حسابي. كانت الصدمات تأتيني واحدة تلو الأخرى. هذه ابتلاء أم ماذا؟ لماذا كلّ هذه المعاناة؟

التعلق ليس فقط بعلاقات الحب. أن تمنح شخصًا الثقة ويخذلها، هذا أمر مؤذي جدًا. حتى لاعتباره كمجرد أخ في النهاية يسمى بأخي. والثقة التي حطمها بذلك الموقف لن تعود.

ومع ذلك، بادرت بالكثير من المحاولات لإرضائه. ليس لأنني لا أجد أخًا مثيلًا له، بل لأنّ علاقاتي دائمًا مع جميع الأشخاص صادقة وحقيقية.

اتصلت به فلم يجيب عدة مرات. وبقيت في تجربة المحاولة، لأنني لا أستطيع كسر قلب أحد، ولو كان من أشد الأعداء. فرقة قلبي لم تساعدني يومًا على أن أحزن أحدًا.

ذات مرة، أجابني بطبعةٍ مختلفة:

نعم، قولي لي، هل تريدين شيئًا؟ هل تحتاجين إلى مساعدة؟ حتى ترددين الاتصال بي.

فصمتّ قليلاً. كاد قلبي يخرج لولا صلابة أضلعي. وأجبته: لا أريدك أن تحزن. فأنا أعتبرك مثل أخي الكبير، وإن كان هناك أي مشكلة، فسوف تُحل بالتأكيد. فالخلاف دون النقاش سيزيد المشكلة تعقيدًا.

ينال: لا أريد إخبارك بالشيء الذي أحزنني.

ومن تلك اللحظات، لم يعد يكلمني أبدًا.

أن تمنحهم الكثير وتتلقى القليل، محزن. وأن يخذلوك في منتصف الطريق، أمر صعب. ولكن الله يسمع ويرى.

ومن كل موقفٍ مثل هذا، يامن وينال، أصبحوا لي شيئًا تعيسًا. الحبيب خائن، والأخ ليس أخًا. ولا تمنح الثقة لأحد مرتين. وعدوا بالبقاء وكانوا أول الراحلين.

جميعهم أشخاص مزيفون. كلما رأوا أحبّتهم كمخيالاتهم، ابتعدوا عن الأفضل وذهبوا لمن يتمنون.

انتهت علاقاتي بالكثير منهم، رغم كل شيء آذوني به، وجميع العقبات التي واجهتها وحدي، بصغر سني من أفعالهم. لكنني على ثقة تامة أنني خرجت من حياتهم دون أن أخذل أحدهم أو أكسر قلبهم.

وجعلت مكاني في حياتهم فارغًا نظيفًا، لا سيئًا. والآلام في قلبي، الله سيتولاها حتماً. لم أعاشرهم يوماً، ولا اثنين. كانت أعوامًا. ومن لحظة زعل صغيرة، باعوها بالقليل، وامتنعوا عن الوجود.

لن أكذب على نفسي ولن أقول أن ملامح الوجه ليست مهمة. الجميع يردد أن المهم هو الروح، لكن الأمر عكس ذلك. نعم، الروح أمر جميل، لكن الجمال الخارجي له تأثير آخر أيضًا.

حرصت على أن أتم هذه العلاقة جيدًا. شتات الأوقات التي عبرت جعل للظروف رأيًا آخر.

ماذا أفعل؟ أغضب والديّ والله بعلاقتي، أو أترك الشخص الذي أحببته تائهة بين جدران غرفتي؟ أتأمل نجوم هذا المساء، والمطر يتساقط. أتفكر بالنتيجة.

أعلم أن كل هذا نتيجته سيئة، لكن يا رب أعني بشيءٍ لا أملكه. فقد طابت الثواني، والروح أرهقت، والعين انغلقت، وكل شيء بات أمامي تعيسًا.

أحاول مساعدة الجميع وأن أكون فخرًا لعائلتي وأن أتم علاقتي بشخصي المفضل، ونحولها من محرمة إلى مشروعة. كتب الله لنا نصيبًا آخر، بعد كل الجهد وبعد كل الأذى الذي لو عاد بي وقتي لذاتٍ قد مضت، لخنقت من كنّا لأجلك دون ندم.

فقد كنت عمياء حين اخترت هواك، واليوم أبصر من دهاه الألم.

وبين عتمة لا يُعرف طريقها وطريق لا تُعرف عتمته، قد كنت أمر بأيامٍ مليئة بالدموع، انهارت على حافة الطريق بشكل مؤلم. حقًا، ألا يوجد من يرى ألمي وحزني التراكمي؟

هنا، فتاة شابة لا تجيد معنى الحزن، دخلت عالمًا مليئًا بالسواد من أشخاص كنت أرفع لهم كل الاحترام والتقدير.

هناك شخص قد تعطيه كامل الأهمية، التي لا يبدي لها أي معنى أو قيمة، اهتمامًا إلا بعد فوات الأوان. قد تعطيه كل ما تملك، وبكل ما تملك، ليخذلك حين لا تكاد تصدق أنّه هو السبب لما حصل! سأحدثكم عن الحقيقة...

أصبح البعد أجمل من القرب، وكان الحب غير كافٍ. والناس من بعيد أجمل، وكان الاهتمام يأتي من الأشخاص الخاطئين، ومن نشعر تجاههم بالمودة والحب مزيفين، والتقدير ليس لهم. والأيام التي ضحّيت بها من أجلهم كانت بالنسبة لهم لا شيء. ومن نحبهم، لا يحبوننا. وقد كانت العيون كاذبة، والأرواح دُفنت.

الخذلان والخيانة من البعيد لا القريب، والثقة تخذل أصحابها، والظروف كاذبة. من يحبك حقًا لا يهملك، بل يمهلك، والجميع مزيفون وكاذبون. ومن يملك طبعًا سيئًا لن يغيّره.

إنها الساعة التاسعة مساءً. يجب علينا بدء العملية بهدوء. من هنا انقلب كل شيء رأسًا على عقب. كنت أرتكب أخطاء لا أعلم متى تنتهي، وأعلم بداخلها أنها خاطئة، لكن كما يُقال، القلب أقوى من العقل أحيانًا.

وكما قال النبي ﷺ: "يا رب، أعنّي بشيءٍ لا أملكه، حتى إني أريد الابتعاد عن المعصية ولم أستطع. ليس بإرادتي ما أفعل، لكن ثبتني على ما تحب، واجعلني أرى الأشياء كما تحب أن أراها، ليس كما قلبي يراها."

ويومًا بعد يوم، زاد تعلقي بهذا الأمر. سمعت العديد من النصائح التي أثرت بي، لكن ماذا أفعل سوى الدعاء. ومن كثرة المشاكل، أصبحت كل يوم أواجه مشكلة جديدة وآلام كثيرة، وأشعر بضيق صدر لا أعلم من أين كل هذا. مع مرور الوقت، زادت حالتي سوءًا وتعبًا، ومن أضحي من أجلهم، القليل فقط من يبالي بحالتي المزرية.

بعد كل عتابات كبيرة وصغيرة، وبعد كل تضحية، كانت قد تفقدني حياتها، وإلى الآن ما زال قلبها ينبض بكل من أحببتهم بصدق. ما أوصلني لهذه الحالة هو ما ارتكبته من أخطاء في البداية، لم أكن أعلم أنّه نداء إلهي لأعود لوعي وأبتعد عن كل هذا، لكن جاء ما جعلني أبتعد أكثر فأكثر، وتعود المياه إلى مجاريها، ليصلح كل خطأ قد ارتكب.

الوقوع بالأخطاء ليس الغلط الكبير، بل المصيبة أن تبقى على ما أنت فيه ولا تعترف بالخطأ. عشت أيامًا صعبة إلى أن شعرت بأن الابتعاد، ولو مرّ بي الوجع، أفضل من بقائي في المعصية.

بدأت شيئًا فشيئًا بالابتعاد، حتى أقترفت عن غلطي تمامًا وتبت إلى الله. حيث كتبت ورقة على خزانتي قائلة: "إن عدتم عدنا."

ما قصد به الله تعالى: إن عدتم للمعاصي، عدنا للعقاب.

وبدأت بتنظيم وقتي والابتعاد عن كل المعاصي. وكلما هممت بفعل ذنب، تذكرت ما قاله الله تعالى في الآية السابقة، وابتعدت عن ما يغضبه، والتزمت بشرعه ودينه. وليس على المخطئ سوى تصحيح الخطأ.تعرضت له، وبعد كل الألم ودموعي التي سالت، بيوم أجلس في غرفتي أتفكر به.

ليلة معتمة، وحدي في الظلام، هل ذهب خائنًا؟! وسقطت في أرض غرفتي، أشعر بالدّوار. شعرت وكأن الكوكب كاملاً يميل من حولي، وكأن كل شيء من حولي تبعثر. غبت عن الوعي لفترة قصيرة، ما بين عشر دقائق إلى عشرين دقيقة على الأكثر.

بقيت في حالة سيئة لعدة شهور، وفي كل يومٍ أراه، أتذكر حبّه لغيري. أشعر وكأن أحدًا انتزع قلبي من مكانه الصحيح، وكأن روحي وعيناي سُلبتا مني.

لماذا فعلت هكذا؟ أستحق منك أن تخذلني بتلك الطريقة؟

لم أكن سيئة أبدًا، كنت دعماً وسندًا لا يميل، رغم حاجتي لأحد بجانبي. كنت أحاول إسعاده رغم حزني، أحاول الوقوف بجانبه دائمًا. اكتفيت بحبّه للأبد.

في يومٍ ما قد تشعر مثلي، قد تشعر معنى كل كلمة وجهتها لي، ستشعر كيف أن الكلام الجارح له تأثير، وكيف أن الخيانة ألم موجع جدًا. قد يأتي يوم تتذكر فيه وجودي بجانبك، لكنك ستلتفت من حولك، لا تراني، وتعلم معنى جرحك لي ومعنى خسارتي فعلاً.

حتى أيامي التي أضعتها في إرضائهم، والليالي التي لم تنم عيوني بها، أود التحرر من تفكيري الدائم. كنت لهم سندًا حقيقيًا، وبعد كل آلامنا المشتركة وأرواحنا المشتاقة، قد يكتب القدر الفراق؟

كان شخصًا مفضلًا لديّ، كان داعمًا رغم عدة مساوئ، لكن لا يوجد شخص كامل. أرهقني البعد، وأرهقني الشوق. ماذا عن كل حلم سعت لتحقيقه لأجلك، لكنه ذهب سُدى؟ ماذا عن لمعة عينيّ التي أحببتها؟

في عينيّ الشهل عالمٌ كبيرٌ لا يرى كالبنّ لذّة، فيهما جمال لا يوصف.

عالمٌ كبيرٌ مليءٌ بالرقة والحنان. شتات ما بين عيوني والنجوم، براءة في أوقات، ونظرات حادة نوعًا ما.

ألا يحنّ لمعة عيناي؟ ورقتهما والدّفء الجميل بهما؟

أنظر للشمس وكأن الوهج من عيناي يخرج، أو أن النور منهما يسطع. وكأن لعيوني روحٌ تشعر، وبلغة العيون تُفهم. ولكل من نظر لعيناي سمّى، وبكل من رآها أُعجب.

هي عيونٌ أم أنها جاذبٌ لا ينسى؟

منذ أول لقاء، فقد تعجب بهما، وعند ابتسامتي، وكأن حتى عيوني تضحك. كما كانوا يقولون لي:

"وللقسم في عيونها لهذا الجمال حماها الله من كل شر وأذى. لن ننسى تلك الرقة والحنان فيهما يومًا."

حتى أتى ذلك اليوم الذي بعد كل قسوة الأيام وكل ما مرّ بي، وصلت لما أريد. حققت أول حلم لي. كنت على حافة الوصول لنكمل هذه القصة، لأسمع ذاك الخبر في يومٍ كنت أريد إخباره بعكس ما أخبرني.

كنت أودّ قول أنني قد وفيت بوعودي وتجاوزت ما مرّ بي، وإننا سنكمل كل هذا ونبدأ من جديد.

الحياة منحتني فرصة أخرى للتقدم بها، الأيام الصعبة عبرت، وكل ما فات بي قد نُسي حقًا.

في يوم استيقظت باكرًا بكامل طاقتي وحيويتي، في هذا اليوم الذي شعرت فيه أنني تحررت من جميع تلك القيود التي كانت تخنقني في اللحظات التي شعرت فيها بالسعادة والطمأنينة، بعد عدة أعوام لم أكن أشعر بهذا من قبل.

كنت أود قول كم إنني أحببتك، وكم أنك من شخص كامل الأوصاف بالنسبة لي. والأحاديث التي كنت أكتمها لأحدثك بها في وقتها الصحيح. وأخبرك بالصعوبات التي واجهتني خلال الأيام الماضية.

أودّ البوح بكل شيء خبّأته في قلبي، وأريد تفريغ كل طاقتي ونشاطي وصحتي التي لم أشعر بهما منذ أعوام.

الآن أشعر وكأن كل العالم من حولي يقف. قدر السماء في تلك اللحظات وقف في طريق سعادتي.

حملت هاتفي لأتكلم بكل هذا وأكثر، ليحدثني عن الخيانة، وانقلب كل شيء رأسًا على عقب.

إنه بعد تعب الكثير لأصل برفقته لأحلامنا، قد نسي عتمة ما مرّ بي وذهب لمحبة الأخرى، لا للشمس المغيب دون سبب، إلا أنها قد وجدت الإشراق بمكان آخر.

هذا ما فعله بكل استسلام. ألا يجب عليك انتظار الظروف السيئة لتنتهي؟ أو أن الخيانة لأمر سهل؟

أصبح كل يوم يعبر بالنسبة لي درسًا جديدًا أتعلم منه. درسًا جديدًا كل صباح.

هو ذهب ولم يعد، وأحب فتاة لا تصلح للحب حتى، وقد باع ما بيننا من مواقف وأيام، ولم يكن صبورًا لنهاية عتمتي.

لم أقترف ذنبًا سوى محبتك.

ألم ترني بعث الضلالة بالهدى؟

وأصبحت في جيش ابن عفّان غازيًا!

وأصبحت في أرض الأعداء بعدما

أرانِي عن أرض الأعداء قاصِ

ألم ترَ كل عذابٍ أوجع قلبي البريء؟ ولم تشعر بضيقة أيامي التي أتممتها بالرغم عني لتكون سعيدًا؟

تعلمت بفضل تحطيمك لقلبي العديد من الدروس. والثقة لا تمنح مرتين حتمًا، لكنك خذلتني.

أحطتها برمش عينيك اللامعة، ودفعتني نحو السواد لأجلها، وجعلت مني شيئًا محطّمًا حتى كل شيء بات سيئًا.

أهذا ما كنت تريده؟ أو أنها الأفضل لتأخذ سهر ليالي وقلبي وعتمة طريقي وجهدي الذي جعلته مرقدًا لها، وسواد ما فاتني؟

من يومٍ لا يصلح لمحبة شخص آخر، قد اخترت لقلبك شخصًا لا يلائم.

أوجعت الروح التي تسكنني، وجعلتني أخسر كل ما أملك لأجلك. وذهبت دون وداع، واخترت البعد.

وهان على قلبك كل ألم دخل قلبي، ولم تقدر ثمرة تعبي التي آذتني من أجلك.

وضعت كل محبتي في قلبها، وجعلت منها الفتاة الأفضل من غير حق، وسئم بك الحال لتعمل جاهداً على تحطيم قلبي.

ولم تكتفي بما حطمته بي، بل أكملت عملية إيذائك حتى بعدما ابتعدت لتحطيم قلبي كاملاً.

ويا قلبي، لا تحنّ ولا تلن. فلحب الأسمر كان قلبي ميالاً، ولعيناه غريقة.

فلن أقترب، وإن رأيتك تحترق، سأطفئ نارك بشعلة وقود كما فعلت بي.

وهذه حياتي التي جعلتني أفهم تمامًا معنى حب الوالدين، اللذين حزنت لهما عندما أحببته. كنت بعمر صغير، تائهة بين طرقاتي، ولم أفهم كلامهما العميق، ولم أستوعب معنى الكلام وتأثيره على قلبي، ولم أشعر حينها أنّ ما فعلته لم يكن صائبًا.

قد عدت تائبة، علمت أنّه لا من أحد محب سوى الأهل. عدت لهم، أفهم معنى كل حرف علمتني إياه، ولم أشعر حينها أنّ الأوان قد فات. بعد خيانته لقلبي وحبي لعائلتي وتقدير قيمة ذاتي، علمت تمامًا أنّ العقرب الذي لدغني يومها وتركني بمنتصف الطريق بائسة من أجل فتاة غريبة، لن يتحول لحمامة سلام آمنة مع مرور الوقت.

كنت أظن أن بعض البشر متجر للثقة، لكنهم كانوا متجرًا للأحذية.

أنا لست آية ولا كتابًا، لكنني سطر واحد، وستتعلم بعدي معنى خسارتي.

أنا لست الأفضل، ولكني أملك بصمتي الخاصة التي لا يمكن تقليدها!

من اعتاد العزف على آلة الخداع، لن يتقن أبدًا لحن الحقيقة!

ومن يحبك حبًا صادقًا يتحمّل كل ظروفك القاسية مهما كانت، فحب الأعذار كاذب.

انتهت المعركة، هزمت جميع أعدائي، ثم نظرت للرجل، وجدت عدواً أيضًا. لا أساوم بكرامتي من أجل مشاعر أحد، فمن لا يعتبرني ربحًا، لن يعتبرني خسارة أيضًا.

بعد التوبة والرجوع إلى الله، عندما انكسر قلبي وبكيت بكاءً دون صوت، احترق داخلي، وعلمت أنّ بعد حب العائلة لا يوجد حب حقيقي. وتذكرت كلام الله في سورة الكهف، آية عظيمة تقول:

{وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}

وهذه من أقرب الآيات إلى قلبي. يبقى صعبًا على الإنسان، بنظرته الدنيوية المحدودة، أن يفهم كلّ ما سيحصل من حوله، أو يفهم الحكمة المختبئة وراء الابتلاء.

فيا رب، ألهمنا الصبر على ما لم نُحِط به، وارضنا بقضائك حتى تظهر حكمتك في كل شيء.

أحب كوني. ألفّ ذراعي حول الجميع برفق، أمتص السلبيات جميعها، أساعد كل أهل الأرض، ثم أجلس بمفردي أساند نفسي. بيقين الخير بعد كل هذا الخراب، بيقين الطمأنينة بعد كل هذا الخوف، آتيك بقلبي الذي تلاشى لكثرة ما حُطم وكُسر، بقحط الأرض كلها الذي لا يرويه سوى رحمتك أنت.

يُعزّيني أنّك الشاهد على كل ما عشت، وأنك الرحيم الذي لا يمل حديثي كل يوم، الرحيم الذي يُهون عليَّ قلقي الدائم بشكل مستمر. لا أحد يعلم ما في هذا القلب من وجع، يا رب، لكنك أنت تعلم وترى.

أدعوك أن تُعيد لقلبي خضرته، أن تلقي على روحي لطفك، وعلى عيوني بصيرتك، وعلى قلقي أمانك. آتيك بثقل العالم كله يا رب، ولا أريد أي شيء سوى رحمتك وعفوك ورضاك!

هناك شيء يخنقني من الداخل، ودموع عيني تقف على أطرافها حتى تؤلمني جدًا.

يارب، آتيك بحقي، فسندني، وأعطني القوة لقلبي لا لجسدي، لأتخطّى ما مرّ بي. أعوذ بك من نسيان الأيام التي كانت بيني وبينه، ومن أن أنسى الأصل الذي به لا أستطيع رد أذاه لي بأذى. لم أستطع كسر قلب أحد، حتى وإن كان عدواً لي، ليس لأنني لا أستطيع، بل لأنني أدركت قيمة أنّ الإنسان يتألم، ولا أريد لأحد أن يتألم كما تألمت أنا، لأنني عشت التجربة والشعور، وكان مؤلمًا جدًا أن تنتظر الجميع ليناموا، ثم تبكي من دون صوت خشية أن يسمع أحدهم. تلتفت من حولك فلا ترى أحدًا سوى عائلتك بجانبك، حتى من كنت أساندهم دومًا، قد باتوا بالنسبة لك شعورًا ميتًا لا أكثر.

لا أجيد مكانًا لهم في قلبي من جديد، وإن أصبح من تحبه خصمك، فلا تحارب. وسلامًا على من هانت عليه عشرة السنين وباعوها لغيرنا دون ثمن. جميعهم مؤقتون وراحلون، إما بأعذار سخيفة، أو طرف ثالث، أو تغيّر مفاجئ. لم يكن العم سندًا، ولا الخال كالأب، ولا الصديق حنونًا، ولا الحبيب صادقًا، ولا الأقربون أولى بالمعروف. الجميع كانوا كاذبين.

لن أعود كما كنت، ولن أعود الفتاة التي تعطي فرصة أكثر من مرة. لن أكون الشخصية التي ستتغير من أجل إرضاء أحد. سيكون قلبي صلبًا، قاسيًا، ومتماسكًا، ليس طيبًا كما كان، إلا لمن يستحق محبتي وثقتي وحنان قلبي بجدارة فعلًا.

عائلتي هم من أحب، ولا ثقة تمنح لغيرهم. كلامهم الصادق من يستحق الثقة. لا أكتل بأحد، ولا أضيع دون أحد، أسعد بمن يبقى، وأنسى من كان ناسياً.

لا تكمن في قلبي الغيرة من أحد، والفتاة التي أخذت مكاني يومًا، سيزيلها الله عن قلبي بعد تعلق شديد لتشعر بمأساة ما جعلتني أشعر بها. ولن يكمن في نفسي حقد تجاه فتاة تخرج بمناظر غير لائقة لأجل كم رجل، تجعلهم يشتهون جسدها. لا تكمن في نفسي الغيرة لأجل هؤلاء الناس، فإرادتي قوية، وأعلم طريق الاستقامة، والطريق الصحيح أين مساره.

لا أنحرف عن استقامتي لأجل كلام باهت وغير صائب. تربينا على القيم العالية والأخلاق الفاضلة. وكل شكر قد أفكر يومًا أن أقدمه لأحد، فهو لوالديّ اللذين سانداني لأكمل الطريق وأصحح أغلاطي جميعها.

أفهم كل شيء من حولي، ولكن الاستغباء راحة حقيقية. لا تأتي قيمة الفتاة إلا بأخلاقها، وجمالها الداخلي، وطهارة ونقاء قلبها، وتعاملها مع الآخرين. أنا لا أخبئ نفسي تحت قناع البراءة، فأنا فتاة ملاك وهلاك في آن واحد، وأعامل كل أحد كما يستحق، ولا أذي أحدًا.

قيل عني:

"بأنّني كنت من الحنية أهلًا،

ومن الود صاحبةً،

ومن العشرة لينةً،

وأتمنى أن أكون

خفيفةً، قريبةً إلى القلب،

تحب الناس رؤياي،

أترك أثرًا لطيفًا على قلوب من حولي."

وكل من يذكرني في حديثه يقول:

"خير الرفيقة والحبيبة والأخت، وترك لهم أثرًا طيبًا لا يُنسى."

أنا فخورة بنفسي رغم كل أخطائي، ورغم كل أوجاعي، لأنني وصلت متأخرة، لكني أدركت الحقيقة كاملةً وقدّرت قيمة ذاتي وشخصيتي التي عاملت بها الجميع. وسأكمل طريقي مهما حدث، وسأعيش بأجمل أيامي وأهناها.

الكاتبة: فردوس الخليل

"ذكراه لا تنام"

ثماني سنواتٍ من الحبّ كانت كعمرٍ كاملٍ مضى من عمري، قضيتُها مع سلام، أرمّم بها أحلامي، وأعانق بها الأمل كلّما تصدّع قلبي.

كان وجهه بالنسبة إليّ بداية الفجر، وصوته الأمان الذي يُسكِت ضجيج العالم من حولي.

لكنّه، شيئًا فشيئًا، بدأ يُطفئ فيّ كلّ ما أشعلَه يومًا.

صار يُحبّني على طريقته القاسية، ويفعل أشياء تُميتني ببطءٍ، ولا يراها خطأً، كأنّ مشاعري شيءٌ يمكن كسره دون حساب.

كنتُ أبرّر، وأسامح، وأقنع نفسي أنّه سيتغيّر، وأنّه فقط تائه...

لكنّ التائه لم يعد يبحث عن الطريق، بل راح يتلذّذ بجرحي، ويدّعي البراءة.

كنتُ أحبّه كما لم أُحبّ أحدًا، وكان يستغلّ ضعفي كما لم يفعل أحد.

وحين اكتفيتُ من الألم، تركتُه.

لم يكن قرارًا سهلاً، بل نزفًا طويلًا اخترتُ فيه نفسي، بعدما أنكرتها لأجله مرارًا.

ستّة أشهرٍ مضت منذ الرحيل، وأنا ما زلت أهرب من طيفه في الواقع، ليطاردني في المنام.

أراه في أحلامي كما كان يضحك، ويتقرّب، ويُربكني، وكأنّ قلبي لا يعرف أنّه انتهى.

أكذّب على نفسي حين أقول إنّني تجاوزته.

أضحك أمام الناس، وأدّعي القوّة، لكنّ داخلي هشٌّ كزجاجٍ على وشك الانكسار.

كلّ الطرق التي سلكتها لأهرب منه كانت تعيدني إليه.

حتّى الأغاني، والأماكن، والألوان، كلّها تذكّرني بسلام الذي لم يكن سلامًا يومًا.

أحيانًا أُقسم أنّي نسيت، وأحيانًا أُدرك أنّي أكذب.

ليس لأنّي أريده، بل لأنّ وجعي منه لم يشفَ بعد.

علّمني ألّا أمنح نفسي كاملةً لأحد، وأنّ الثقة إذا انكسرت مرّةً لا تُصلحها ألف دمعة.

ورغم كلّ شيء، أشعر في داخلي أنّه لن يجد نفسه إلّا عندي،

لأنّه حين ضاع، كنتُ أنا البوصلة.

وحين جاع قلبه، كنتُ المأوى، وحين احتاج صدقًا، كنتُ الحقيقة الوحيدة التي لم يعرف كيف يحافظ عليها.

ربّما ستمرّ سنواتٌ أخرى، وربّما سأتعافى ببطءٍ يشبه انطفاء شمعةٍ في مهبّ ريح، لكنّي على يقينٍ أنّ الله سيعوّضني، وسيعيد لي يومًا ما أضاعه منّي هذا الرجل الذي ظنّ أنّ الحبّ لعبة، وأنّ النساء لا ينكسرن إلّا ليعدن.

سلام...

كنتَ البداية والنهاية معًا، وكنتَ الدرس الأقسى الذي جعلني أعرف نفسي أكثر، وأدرك أنّ البقاء لا يكون لمن نُحبّ، بل لمن يُحبّ بصدق.

الكاتبة: خديجة كادورة

"جناح الليل"

في قلب أرضٍ لا يعرفها أحد، حيث تتداخل الأزمنة مع بعضها، كان هناك عالم يُسمّى "جناح الليل". كان هذا المكان مليئًا بالعجائب؛ حيث ترفرف فيه الطيور بأجنحةٍ من ضوء، وتزهر الأشجار بألوانٍ لا يمكن للعين البشرية تمييزها. في هذا المكان كانت تسكن إيلينا، فتاةٌ ذات عيونٍ فضيّة وشعرٍ أسود كالظلال، تمتلك قدرةً غريبة على التواصل مع الليل.

منذ صغرها، كانت إيلينا تشعر بشيءٍ غير طبيعي يتدفّق في داخلها. كان الليل يحيط بها كصديقٍ قديم، يتسلّل إلى أفكارها ويحكي لها أسرار الكون. كان بإمكانها أن تسمع همسات الرياح، وتقرأ أفكار النجوم، بل وترى صورًا غير مرئية تتجسّد أمامها في الظلام.

لكنّ هذا لم يكن يأتي بلا ثمن. كانت إيلينا تشعر بوحدةٍ عميقة؛ فمع مرور السنوات، بدأ أهل قريتها ينظرون إليها نظرة خوفٍ ويبتعدون عنها، خاصّة عندما اكتشفوا قدرتها على التواصل مع الأشباح والأرواح التي تسكن في "جناح الليل".

في إحدى الليالي المظلمة، بينما كانت إيلينا تتمشّى في الغابة القريبة من قريتها، شعرت بشيءٍ غريب يحدث. كانت الأشجار تتمايل بشكلٍ غير طبيعي، وأوراقها تتساقط على هيئة دوائر غريبة، كأنّها تكتب رسالةً غير مرئية. تقدّمت خطوةً بعد أخرى، حتى وصلت إلى شجرةٍ قديمة كانت تُعتبر مقدّسة في قريتها. وعندما اقتربت منها، فُتح بابٌ غريب في جذعها، وظهرت أمامها روحُ الليل، كائنٌ مظلم يمتلك عيونًا تتوهّج كالنجوم.

قال الروح بصوتٍ عميق:

"إيلينا، أنتِ الوحيدة التي يمكنها المرور بين العوالم. لقد حان وقتك لتعلمي الحقيقة."

أجابته بحذر:

"وما هي الحقيقة؟"

قال:

"أنتِ لستِ بشرًا عاديًا. أنتِ حارسة الليل، وحين تأتي الساعة المظلمة، يجب أن تعيدي التوازن بين عوالم الظلام والنور. هناك شيءٌ مفقود يقوّض هذا التوازن، وأنتِ الوحيدة القادرة على استعادته."

ارتجفت إيلينا؛ لم تكن تعلم أنّ في داخلها تختبئ هذه القوّة العظيمة.

"ماذا يجب أن أفعل؟" سألت بصوتٍ خافت.

أجاب الروح، وهو يختفي في الظلال:

"ابحثي عن الكتاب المفقود، ولا تتركيه في يد من لا يستحقّه. إنّه مخبّأ في مكانٍ بعيد، بين الجبال العائمة. هناك ستحصلين على إجابةٍ لما حدث في الماضي، وكيفية إنقاذ هذا العالم."

رغم خوفها، شعرت إيلينا أنّ هذه اللحظة هي لحظة مصيرها. لقد حان الوقت لمواجهة قدرها. عادت إلى قريتها، وفي قلبها عزمٌ لم تعرفه من قبل. كانت تدرك أنّ الطريق أمامها محفوفٌ بالمخاطر، لكنّها كانت مستعدّة للمضيّ قدمًا.

رحلت في اليوم التالي، وعيون الليل تراقبها من بعيد، تتابع خطواتها نحو الجبال العائمة، التي قيل إنّها مكانٌ مفقود لا يعود منه أحد. ومع كلّ خطوة كانت تقترب من الحقيقة أكثر، وتشعر بالقوّة العظمى تتجسّد في قلبها. أدركت أنّ ما تمرّ به ليس مجرّد رحلة، بل اختبارٌ لإرادتها. لم تكن الروح مجرّد مرشد، بل كانت تتّحد معها في لحظات وعيٍ غامض، حيث تصبح جزءًا من هذا الليل العظيم.

بعد أيامٍ من السير، وصلت إلى الجبال العائمة. كانت هناك بوابةٌ ضخمة محاطة بأضواءٍ متراقصة، كأنّها تتأرجح بين الوجود واللاوجود. وعندما دخلت، وجدت نفسها في قاعةٍ مظلمة مليئة بالكتب القديمة التي تحتوي على أسرار الزمان والمكان.

وسط تلك الكتب، كان هناك كتابٌ ضخم تغطّيه ألواحٌ معدنيّة، وعليه نقشٌ غريب. اقتربت منه بخوف، وحين لمست غلافه، شعرت بقوّةٍ هائلة تتدفّق في داخلها، كأنّ العالم بأسره يحيط بها. فتحت الكتاب، وإذا بأسرارٍ عميقة تنكشف أمام عينيها: أصلها، ومعنى أن تكون حارسة الليل، وكيفية إعادة التوازن بين الظلام والنور.

لكنّ المفاجأة أنّ الكتاب لم يمنحها الحلّ بسهولة، بل احتوى على لغزٍ يقول:

"لإعادة التوازن، يجب أن تختاري بين الظلام والنور. فأيّهما ستختارين لتعيشي معه؟"

بقيت إيلينا صامتة. هل تختار الظلام، القوّة الساكنة؟ أم النور، القوّة المضيئة التي قد تضرّ بعالمها؟

كان الاختيار صعبًا، لكن في تلك اللحظة شعرت بشيءٍ عميق في قلبها. فكلّ شيء في هذا العالم يحتاج إلى توازن. لا يمكن للظلام أن يعيش بلا النور، ولا للنور بلا الظلام. ابتسمت، وأغلقت الكتاب بهدوء، عازمةً على إيجاد طريقةٍ لدمج القوّتين، لا انتزاع إحداهما.

خرجت من الجبال، وعندما عادت إلى قريتها، كانت قد تغيّرت. لم تعد مجرّد فتاةٍ ذات عيونٍ فضيّة، بل أصبحت حارسة الليل التي أعادت التوازن بين العوالم، وصارت القوّة الموازنة بين الظلام والنور.

وها هي الآن تراقب السماء، تعلم أنّ التحدّي لم ينتهِ بعد، لكنّها مستعدّة لمواجهة أيّ شيءٍ قادم.

الكاتبة: مروة شهاب الدين

"الحديقة التي لا تُرى"

كان نزار شابًا عاديًا يعيش في إحدى القرى الصغيرة الواقعة بين التلال الخضراء. كان يحبّ قضاء وقته في استكشاف الغابات المحيطة بقريته، خاصّة تلك التي يُقال إنّها تُخبّئ أسرارًا غامضة. لم يكن يصدّق القصص القديمة التي تحكيها الجدّة عن الكائنات السحرية والحدائق التي لا تُرى، لكنه كان يشعر دائمًا بأنّ هناك شيئًا غريبًا في تلك الغابات، شيئًا لا يستطيع أن يراه أحدٌ سواه.

في أحد الأيام، وبينما كان يستكشف عمق الغابة، لاحظ أمرًا غريبًا: تلالًا من الأعشاب تتناثر في الهواء وكأنّها تتحرّك. لم يكن قد مرّ من هنا من قبل، لكنّ غريزته دفعته إلى المتابعة. عبر بين الأشجار الكثيفة، وسرعان ما اكتشف ممرًّا صغيرًا يُفضي إلى حديقةٍ مخفيّة في قلب الغابة. غير أنّ هذه الحديقة لم تكن كأيّ حديقة؛ فالأشجار كانت شاهقة، وأغصانها متشابكة بحيث لا تترك مجالًا للضوء.

في وسط الحديقة كانت هناك شجرةٌ ضخمة، جذورها تغطّي الأرض كشبكةٍ معقّدة. انتابه شعورٌ غريب وهو يقترب منها، كأنّها تهمس له. وعندما لمس جذعها، اختفى كلّ شيءٍ فجأة من حوله، وعبرت السماء حلقةُ ضوءٍ ساحرة.

عندما استفاق نزار، وجد نفسه في عالمٍ مختلفٍ تمامًا. كانت السماء بلونٍ أزرق عميق، والأرض مرصّعة بأزهارٍ لامعة تنبض بالحياة. ومن بعيد، رأى قريته، لكنها بدت على بُعدٍ غير معقول، كما لو أنّها أصبحت جزءًا من عالمٍ آخر.

وقبل أن يستوعب ما يحدث، ظهر أمامه شخصٌ غريب: رجلٌ مسنّ بعينين تشعّان حكمةً، ووجهٍ مليءٍ بالتجاعيد. قال الرجل:

"أنت في المكان الذي لا يدخله أحدٌ صدفةً. لقد اخترت أن تأتي إلى هنا، ولكن عليك أن تعرف أنّ من يدخل هذا العالم لا يعود كما كان. في هذا المكان نملك القدرة على منح الأماني، لكنّها قد تأتي بثمنٍ غير متوقّع."

سأل نزار، وهو لا يزال تحت وطأة الدهشة:

"أماني؟ ماذا تعني؟"

أجاب الرجل:

"كلّ من يأتي إلى هنا يحمل رغبةً خفيّة في قلبه. ورغبتك أنت أن تجد مكانًا تكون فيه حرًّا، حيث لا تخشى شيئًا. لكن لا تنسَ، لكلّ رغبةٍ ثمن."

لم يصدّق نزار تمامًا ما يسمعه، لكنّه شعر في أعماقه أنّ هذه فرصته.

قال: "أريد أن أكون في مكانٍ أستطيع فيه أن أكون نفسي دون خوفٍ أو قيود."

ابتسم الرجل، وأشار إلى الشجرة العتيقة قائلًا:

"تلك الشجرة هي مفتاحك. لكن تذكّر، ليست كلّ الأماني تمنحك ما تريد، بل قد تعطيك ما تحتاج."

أغمض نزار عينيه، وتمنّى بصوتٍ خافت أن يُمنح القوّة ليعيش حياةً بلا قيود. وعندما فتح عينيه، شعر بأنّ الأرض تحت قدميه أكثر ثباتًا، وبأنّه يرى كلّ شيءٍ بوضوحٍ أكبر، كأنّ الألوان ازدادت إشراقًا. لكن في اللحظة التي شعر فيها بالقوّة، أحسّ أيضًا بثقلٍ داخلي، كأنّ شيئًا عميقًا قد انتُزع منه.

قال الرجل:

"الآن لديك القوّة التي طلبتها. لكن تذكّر، القوّة الحقيقيّة تكمن في قدرتك على الاختيار. فإذا اخترت الحرّيّة، فعليك أن تتحمّل نتائجها."

وما إن انتهت كلماته حتّى بدأ نزار يشعر بأنّ جسده ينهار. لم يكن هناك ألم، بل إحساسٌ غامض بفقدان جزءٍ من جوهره. كانت القوّة التي تمناها قد أخذت منه شيئًا لا يُرى.

وفجأة، وجد نفسه من جديد في الغابة، بجوار الشجرة التي بدأت عندها رحلته. لكنّه لم يعد كما كان؛ أصبح يشعر بكلّ ما حوله بعمقٍ أكبر، كأنّه صار جزءًا من العالم نفسه.

عاد إلى قريته وهو يدرك أنّ الأماني لا تأتي دائمًا كما نرغب. قد نحقّق ما نريد، لكنّنا غالبًا ما ندفع ثمنًا خفيًّا. ومع ذلك، تعلّم نزار درسًا مهمًّا:

أنّ القوّة الحقيقيّة لا تكمن في تحقّق الأمنيات، بل في تحمّل المسؤوليّة، واختيار ما يغذّي الروح والعقل، لا مجرّد السعي وراء الرغبات العاجلة.

الكاتبة: مروة شهاب الدين

"دعوتُه فكـان مِنْ نصيـبي"

كنت في الصف العاشر حين بدأت ألاحظ صورة ابن عمي التي كان ينشرها على موقع فيسبوك. لم يكن لي معه تواصل مباشر، لكنني كنت أتعلق به بشكل غير طبيعي من خلال تلك الصور. كان ابن عمي يعيش في لبنان، بينما كنت أنا في حلب بسوريا، وبالتالي لم أكن أعرفه سوى من خلال الصور التي كان يشاركها على الإنترنت. كنت صغيرة وقتها، ولكن مع مرور الوقت، بدأ حبه ينمو في قلبي أكثر وأكثر.

كلما شاهدت صوره، كان قلبي يفرح بشكل لا يمكن وصفه، وأتمنى أن يكون هو من نصيبي. كنا نتواصل بين الحين والآخر، إلا أن الحديث كان دائمًا عاديًا جدًا، وفي بعض الأحيان كنت أشعر أنه يهتم بي، وأحيانًا أخرى لا أشعر بذلك.

في يوم من الأيام، جاء عيد ميلاده، فقررت أن أهنئه وأعبر له عن مشاعري. قلت له إنني أريد أن أهديه هدية، وبالفعل بعد فترة، عندما نزلت أخته إلى حلب، قدمت لها الهدية كي تعطيها له. وعندما عادوا إلى لبنان واستلم الهدية، أرسل لي رسالة طويلة يعبّر فيها عن فرحه الكبير بالهدية التي قدّمته له، وكان هذا الأمر بمثابة خطوة مهمة بالنسبة لي.

من هنا، بدأ حبي له ينمو أكثر فأكثر، وشعرت أن هناك شيئًا ما بيننا، رغم المسافات.

وفي أحد أيام الشتاء الباردة، عندما كانت السماء تمطر والمطر يضرب الأرض برقة، وقفت تحت المطر بكل تأمل. كانت الأجواء شديدة الجمال، ومع كل قطرة مطر كانت تمس وجهي، دعوت من كل قلبي أن يكون محمد هو نصيبي. وفي ليلة القدر، كررت الدعاء نفسه، داعية الله أن يجمعني به في يوم من الأيام.

كانت أخت محمد، اسمها عشق، قد نزلت مؤخرًا إلى حلب واستقرت هنا، بينما كان محمد ما يزال في لبنان مع أهله. وفي يوم من الأيام، حدث ما لم أتوقعه. أخت محمد الثانية، وتين، اكتشفت أنني أحب محمد، وبعثت لي رسالة عبر تطبيق "واتساب". قالت لي: "الله يحقق لكِ كل ما في بالك". تفاجأت جدًا بهذا الحديث، فاستفسرت منها قائلة: "ماذا تقصدين؟". أجابت وتين: "لا شيء؟". فأجبتها: "هل أحد أخبركِ بشيء ما؟". فأجابتني: "لا، لكن عيونكِ قد فضحتكِ من لهفتكِ عليه!" ثم أضافت: "أنتِ فقط تبحثين عن محمد في كل شيء". في تلك اللحظة، شعرت بأنني قد قُدت إلى الحافة، وتجنبت الرد أكثر.

بعد أيام قليلة، تحدثت مع محمد مجددًا، وكلما كنا نتواصل، كان يحاول أن "يدوخني" بكلماته المعسولة. كان يقول لي كلامًا يجذبني، لكنني كنت في حيرة من أمري: هل هو فعلاً يحبني، أم أنه مجرد كلام؟ لذلك، قررت أن أنتظر حتى ينزل هو إلى حلب برفقة عمي وزوجة عمي لكي أرى تصرفاته بنفسي. كنت بحاجة أن أرى عيونه وأراقب تصرفاته عن كثب لأعرف حقيقة مشاعره تجاهي.

وفجأة، قرر عمي أن يزور حلب. عندما أخبرني بذلك، طلب مني أن أجهز القهوة لأنهم سيصلون في غضون أيام. كانت مشاعري مليئة بالفرح والحب، وكنت واقفة بجانب والدي أترقب لحظة وصول عمي. كنت أترقب بشوق أن يدق الباب وتفتح له الأبواب لنستقبله بكل حب.

وصل عمي وأهله، واستقبلناه استقبالًا حارًا. ثم دخلت مرت عمي، وأخيرًا جاء محمد. كنت أنظر إليه بعينين مليئتين بالحماس، وأنتظر أن يدخل ويسلم علينا. في تلك اللحظات، كنت أصور كل لحظة بكاميرتي، لأنني أردت أن أحتفظ بكل تفاصيل هذه اللحظات.

عندما سلم عليّ محمد، شعرت بشيء غريب في قلبي. كنا نتبادل الكلمات، لكنني كنت متوترة للغاية. كان قلبي يخفق بسرعة، وعرفت في تلك اللحظة أنه لاحظ توتري، وأصبح يعرف أنني أحبّه. يومًا بعد يوم، كنا نلتقي، وكلما رأيته، كان يبتسم لي وأشعر وكأننا نضحك مع بعضنا البعض بطريقة لا توصف. كنت متأكدة الآن أن محمد يحبني.

في يوم من الأيام، كنت جالسة في البيت، أرتدي ملابس الصلاة بعد أن صليت، حين فجأة جاء محمد إلى البيت. كان يبتسم لي بحذر، وعينيه تلمع. جلسنا معًا، وبعد حديث عادي، قال لي: "أريد إخبارك بشيء"، وكان صوته يرتجف قليلاً. نظرت في عينيه، وكان قلبي ينبض بشدة، فسألته: "ماذا؟" فقال لي: "أنا بحبك".

في تلك اللحظة، لم أتمالك نفسي. خجلت كثيرًا، وأصابني التوتر. هل حقًا الله استجاب لدعائي؟ هل أصبح محمد نصيبي؟ بعد لحظات من الصمت، قلت له بحذر: "وأنا كمان بحبك". كان شعورًا لا يوصف، حيث أدركنا أن مشاعرنا كانت متبادلة.

بعد فترة قصيرة، طلبني محمد رسميًا، ووافق والدي. كانت مشاعري لا تصدق، فقد أصبح الشخص الذي أحببته جزءًا من حياتي، وأصبح نصيبي. كنت أشعر أن الدعاء لم يكن في يوم من الأيام عبثًا، بل كان الله يستجيب لنا.

وتوالت الأيام، وصارت الخطبة، وعشنا أجمل لحظات معًا. كان كل منا يحلم بأحلام مشتركة، وها نحن الآن ننتظر يوم العرس بكل حب وفرح، نعلم أن الله كان دائمًا معنا، وأن الدعاء الذي طالما رددناه، قد تحقق أخيرًا.

الكاتبة: هبة الله

"هو أول أحبابي ومسك الختام"

ورد: مشاغبة تحملت ما يفوق عمرها

في زمنٍ ليس ببعيد، كانت تعيش ورد الصغيرة في المدينة، طفلةً مشاغبةً وعنيدة. كانت مصدر تعبٍ لأهلها بضحكتها التي لا تنقطع وروحها المرِحة، لكن الجميع أحبّها.

لكن القدر كان له رأيٌ آخر... فقد سُلبت طفولتها بحدثٍ مؤلم، عاشت بعده في خوفٍ عميق. غير أنها لم تستسلم، بل صنعت رداءً من القوة وارتدته، متحمّلةً مواقف تفوق سنوات عمرها بكثير.

ومرّت الأيام، وكبرت الطفلة، وكبرت معها أحلامها.

ها هي ورد على أعتاب المراهقة؛ ازداد طولها وبدأت ملامحها تتغير. كانت تخوض صراعًا مع أهلها حول ارتداء النقاب، فقد رأت نفسها ما تزال صغيرة في الثالثة عشرة، في مجتمعٍ ما تزال فتياته يرتدين الفساتين عند الخروج. عاندت ورد وتلقّت التوبيخ من والدها، لكن عنادها لم يرضخ لأمرهم.

فجأةً، قرر والدها العودة إلى قريته للعيش مع والديه. عارضت ورد بشدة خوفًا على أحلامها، لكنها في النهاية رضخت للأمر الواقع.

حزمت العائلة أمتعتها، وركبوا السيارة ليغادروا المدينة التي عاشوا فيها اثني عشر عامًا. جاءت إليها وعمرها عامٌ واحد، وها هي تودّعها وهي ابنة الثالثة عشرة. غادروا، وسقطت دمعةٌ من عينيها؛ كانت تعرف أن عليها أن تتخلى عن أحلامها هنا.

وصلت ورد وعائلتها إلى قرية والدها الهادئة.

هذه هي بطلتنا: ورد.

محمد: طموحٌ لا ينكسر بقلبٍ شجاع

وبعيدًا عن أجواء القرية وسكونها... في ضوضاء المدينة وإزعاجها، كان هناك فتى يُدعى محمد. انتقل للتو للعيش في المدينة مع أسرته بسبب عمل والده، الذي كان طبيبًا.

على عكس ورد، لم يعارض محمد؛ فقد رأى في هذه النقلة فرصةً لتحقيق أحلامه الكبيرة.

كان فتىً طموحًا، مشاغبًا ومرحًا. في طفولته، كان يتلقّى الضرب من والده بسبب شقاوته المستمرة. لكنه، كورد، تعرّض لمواقف تجاوزت سنوات عمره، إلا أنه كان يملك قلبًا قويًا وهامةً لا تنكسر أبدًا.

كان محمد رجلًا في جسد طفل. لم تكن قوته في عناده، بل في وعيه المبكر وشجاعته الكبيرة. كان يمتلك عقلًا واعيًا يزن الأمور، ونفسًا تواقةً للتحدي. كان كتفًا يمكن الاعتماد عليه، حتى قبل أن يكتمل نموه.

ها هو محمد يكبر، وبدأت تظهر عليه معالم الرجولة وتناسق القامة. كان يبلغ من العمر ستة عشر عامًا. لطالما حلم بأن يصبح طبيبًا، سائرًا على درب والده، لا ليقلّده، بل ليملك القدرة على مساعدة الآخرين.

وصلوا إلى المدينة، وبدأت رحلة محمد الجديدة.

هذا هو بطلنا: محمد.

ورد ومحمد، قلبان يحملان آثار الطفولة الصعبة؛ جمعتهما قوة الإرادة وفرقتهما مسارات الحياة. أحدهما يعيش بداية التخلّي، والآخر بداية الانطلاق... فكيف سيتشابك خيطا قصتهما؟

ورد تبحث عن النور

نافذة الأمل المفقود

عند بطلتنا ورد، كانت الساعة تمضي ثقيلةً في قلبها. جلست أمام نافذة منزلها الخشبي القديم، تتأمل المشهد الخارجي الذي كان يعكس واقعها الجديد بكل قسوة. من خلال الزجاج العاكس، كانت ترى الوديان والسهول المترامية الأطراف المحيطة بالقرية.

مرّت أمام عينيها لوحاتٌ يومية اعتادت عليها: نساءٌ ذاهباتٌ لرعي الأبقار، وأخرياتٌ لجني المحصول، وثالثاتٌ لإحضار الحطب الثمين. ورأت الفتيات اللواتي في مثل عمرها يحملن الجرار النحاسية ويتجهن بخطوات ثابتة نحو البئر لجلب الماء.

هذا المشهد، الذي كان يجب أن يكون مصدر سلام، أصبح خنجرًا يطعن أحلامها.

سقطت دمعةٌ حارة على خدها، تبعتها أخرى وثالثة. كانت دموعًا تنهمر بغزارة؛ لم تكن تتمنى أن تعيش هذه الحياة التي بدت كأنها سجنٌ لأحلامها الكبيرة.

محاولات التكيّف والفشل

بدأت ورد محاولاتٍ جادةً للتأقلم مع الحياة الجديدة التي فُرضت عليها. حاولت أن تُقنع روحها بأن هذا هو قدرها، وأن عليها المضي قدمًا، لكنها في كل مرة تعود إلى دائرة البكاء المُرهِقة. كانت تعلم يقينًا أنها خسرت طريقها؛ خسرت حلمها الأغلى بأن تصبح طبيبة.

القرية كانت نائية؛ لم تصلها الخدمات الأساسية بعد. لا توجد سوى مدرسةٍ واحدة بالكاد تخدم أكثر من عشرين قرية مجاورة، ومركز صحي صغير جدًا لا يكفي لتلبية احتياجات تلك التجمعات السكانية. كيف يمكنها أن تدرس الطب هنا؟ سؤالٌ مؤلم كان يتردد صداه في أعماق روحها.

كانت الأيام تمضي ببطء، وفي كل صباح تحاول ورد أن تزرع نبتة أملٍ في قلبها المنهك، متشبثةً بفكرة أنها يومًا ما ستصبح طبيبة.

الرسالة والنور

ها هي ذاهبةٌ إلى المدرسة مع الفتيات. قضت يومها الدراسي كأي يومٍ سابق، تحاول استيعاب ما يمكنها استيعابه من المعرفة المتاحة. وكانت في طريقها للعودة إلى المنزل، حين استوقفتها فجأة عبارةٌ كُتبت بخط واضح ومتقن على إحدى حجارة الطريق الكبيرة البارزة.

تجمّدت في مكانها وهي تقرأ الكلمات المؤثرة:

"لا تنتظر الضوء... كُن أنتَ النور."

تلك العبارة، التي لم تكن تعرف مصدرها، اخترقت قلبها مباشرة. ومضةٌ من الأمل المشرق تسللت إلى أعماقها المظلمة، وشعورٌ غامر بالرضا والإلهام كسا ملامحها الشاحبة. ولكن، كعادة قلبها المرهف، تساقطت دموعها مجددًا. كانت دموع هذه المرة ليست حزنًا، بل مزيجًا من التأثر والأمل الجديد الذي وُلد للتو.

أخرجت ورد مسبحةً بسيطةً باللونين الأبيض والأسود، كانت دائمًا رفيقتها الصامتة. تأملتها متسائلةً في صمت: من سيكون النور في حياتها؟ كانت تُشبّه نفسها بالخرزات السوداء المليئة بالهموم، لكن من يا ترى سيكون الخرزات البيضاء التي ستضيء عتمتها؟

ما لم تكن تعلمه ورد الطاهرة أن النور الذي سيضيء حياتها هو ذاته الشاب الذي كتب العبارة الملهمة، والذي أبكاها أولًا ثم أدخل الأمل إلى قلبها من جديد... إنه محمد.

رفعت ورد عينيها نحو السماء الصافية، وعيناها يملؤهما الحزن القديم والإصرار الجديد. كان السواد يلتف حول همومها، بينما تتشبث بخيط النور الوليد.

قالت بصوت خافت ودعاءٍ صادق:

"يا رب، اجعل النور في قلبي."

محمد ووعد النور

ضجيج المدينة وأمل محمد

عند بطلنا محمد، كان يجلس خلف مكتبه الأنيق في غرفته بالمدينة. انتهى للتو من ترتيب كتبه وأوراقه استعدادًا ليوم جديد، ثم نهض ليقف أمام النافذة الزجاجية الكبيرة. تأمّل أجواء المدينة الصاخبة وضجيجها المستمر، الذي كان مختلفًا تمامًا عن هدوء قريته الوادعة.

رأى رجالًا يتجهون بخطوات سريعة إلى مكاتبهم، وبائعَ خضرواتٍ يرتّب بضاعته بعناية، وصاحبَ بقالةٍ يستعد لاستقبال زبائنه. وفي المقابل، رأى الفتية الذين في عمره ذاهبين ليتسكّعوا في الطرقات بحثًا عن مغامرةٍ عابرة.

ابتسم محمد ابتسامةً خفيفةً عذبة، فظهرت غمازته العميقة التي تزيد وجهه سحرًا ووسامة. لم يكن يتوقع أن تمضي الأيام بهذه السرعة، وأن تأتي به إلى المدينة ليعيش حياةً مغايرة تمامًا لتلك التي اعتادها في قريته.

الفتى المشاغب الطموح

مرّت الأيام، ومحمد ما يزال ينهل من دراسته وشغفه. ظلّ ذلك الفتى المشاغب المرح، صاحب الروح الشغوفة بالحياة والمليئة بالطموح، الذي جعل الجميع ينجذب إليه ويحبّه لطيبته وخفّة ظلّه.

ها هو محمد ذاهبٌ إلى المدرسة بالحماس نفسه الذي رافقه في يومه الأول، وطموحه يلامس عنان السماء. قضى يومه الدراسي كالأيام الماضية، يجمع بين الجدّ والمرح.

وفي طريق عودته إلى المنزل، استوقفه شيءٌ ما. كانت عبارةٌ مكتوبة على أحد أسوار المنازل القديمة، ويبدو أنها كُتبت بعجالة:

"أنا وحيدة."

وكانت مصحوبةً برسم وجهٍ حزين. اقترب محمد من السور، ونظر إلى العبارة التي لامست شيئًا عميقًا في قلبه. تمنى لو يستطيع أن يجد صاحبَ أو صاحبةَ هذه الكلمات، كي لا يتركها وحيدةً تعاني هذا الشعور القاتل.

لمس العبارة بأنامله، وقال في نفسه بهمسٍ صادق:

"لعلّي أجدك يومًا ما، وأكون أنا النور في حياتك."

لكن ما لا يعلمه محمد، أن الفتاة التي سيسكن حبّها قلبه وتشعل روحه، هي نفسها التي كتبت تلك العبارة المؤثرة على حجر الطريق في القرية لتستلهم نورًا لحياتها، وهي نفسها صاحبة عبارة الحزن هنا.

نظر محمد نحو السماء الزرقاء، وعيناه تملؤهما بريق الفرح الصافي، ونور الأمل يلتف حوله كهالةٍ بيضاء. قال بدعاءٍ مفعم بالطاقة الإيجابية:

"يا رب، اجعلني نورًا لكل من سيعرفني."

تقاطع المصائر: الحزن والنور

في مكانٍ آخر، بعيدٍ جدًا...

ورد:

نظرت نحو السماء، وعيناها يملؤهما الحزن، والسواد يلتف حولها، وقالت:

"يا رب، النور لقلبي."

محمد:

نظر نحو السماء، وعيناه يملؤهما بريق الفرح، ونور الأمل يلتف حوله، وقال:

"يا رب، اجعلني نورًا لكل من حولي."

هل يا ترى بريق الفرح سيزيل الحزن يومًا ما؟

هل نور الأمل سيمحو السواد يومًا ما؟

عيناها الحزينة، وعيناه التي تشعّ فرحًا... هل ستلتقيان يومًا ما ليُكملا اللوحة؟

تجري الأيام كالنهر، تمضي دون أن تلتفت لأحد، وتحمل معها كل شيء...

فهناك قلوبٌ امتلأت بالفرح، وأخرى أثقلها الحزن حتى صار يسكن أعماقها.

هناك من ركض نحو أحلامه حتى لامسها...

وهناك من بقي عالقًا في النقطة نفسها، فقد الشغف وتعبت روحه.

وحين تسألون عن أبطالي... هل كانوا من هؤلاء أم أولئك؟

سأخبركم الآن.

ورد

كانت ورد جالسةً بين بنات عمّها، تضحك وتمازحهنّ... فهي، رغم كل ما مرّ بها في حياتها، ما زالت تحتفظ بتلك الروح المرحة التي تُشبه طفلًا يحاول الضحك كي لا يبكي.

رفعت ورد رأسها وقالت:

"فتيات... ركّزن معي قليلًا."

التفتت جميع الأنظار إليها، فبادرت بسؤالٍ نزل عليهنّ كالقنبلة:

"قولوا لي... هل سكن أحدٌ قلوبكنّ؟"

انفجرن ضحكًا؛ فهي أصغرهنّ سنًا، لكنها أكثرهنّ جرأة.

قالت غيداء باستغراب وخوفٍ مصطنع:

"ما بالكِ يا فتاة؟! تريدين أن يسمعكِ أحد الفتيان فنُقتل جميعًا؟! اسكتي يا مشاغبة!"

عقدت ورد حاجبيها بتعبيرٍ يدل على عنادها المعروف؛ فهي عنيدة، عصبية، ومتهوّرة بطريقة تجعل من حولها يحبّونها رغم كل شيء.

ضحكت جميلة وقالت مازحة:

"وأنتِ يا ورد؟ هل هناك من خطف يسار صدرك؟"

قفزت ورد واقفةً، وضعت يدًا على خصرها والأخرى على خدّها، وغيّرت ملامحها وكأنها عاشقة في رواية، ثم قالت:

"أنا؟ لا أريد إلا طبيبًا... وأنا سأكون طبيبة. نعمل معًا في مستشفى واحد... وننجب فريق أطباء كاملًا!"

تعالت الضحكات حولها، وشاركتهم الضحك حتى دمعت عيناها.

ثم جلست بينهم مجددًا، تعيد سؤالها لهنّ، فبدأت الاعترافات واحدةً تلو الأخرى...

كل فتاةٍ منهنّ كانت تحمل إعجابًا تجاه أحد أبناء عمومتها.

صفّقت ورد بحماس، وبدأت بمشاغبتهنّ، تصنع بيديها قلوبًا هوائية...

كان يومًا مليئًا بالضحك والمرح، وروح ورد التي لا تهدأ...

لكن الأيام تخفي دائمًا ما هو أعقد من الضحك.

محمد

في الجهة الأخرى، كان محمد يستعد للخروج مع صديقه المقرّب زياد — ذلك الشاب الذي تعرّف إليه فور وصوله إلى المدينة، وأصبح منذ ذلك اليوم بمثابة أخٍ له.

ركبا الدراجة النارية، وانطلقا لأداء مهمة عمل بسيطة في أحد الأحياء.

كان زياد محبوبًا في المدينة؛ يعرفه الجميع ويمازحونه، فهو روح المكان.

وأثناء قيامهما بالعمل، جاء أحد الرجال الذين يعرفون زياد، سلّم عليهما، ثم ألقى نكتته المعتادة التي تشبه الشتائم.

ضحك زياد وكأن الأمر طبيعي...

أما محمد؟

تجمّدت ملامحه، واتسعت عيناه صدمةً.

لم يعتد في حياته أن يشتمه أحد... ولا أن يشتم أحدًا.

لكنه كتم غضبه احترامًا لصديقه، وأكمل العمل بصمت.

بعد انتهاء المهمة، عاد مع زياد على الدراجة، وفي صدره غليانٌ لم يعرف كيف يطفئه.

عند وصولهما إلى المنزل، رأى والده وأصدقاءه يتحدثون، فنزل من الدراجة بخطوات سريعة غاضبة. لاحظ زياد الأمر ولحق به.

سأله والده بقلق:

"ما بالك يا محمد؟ لماذا كل هذه العصبية؟"

انفجر محمد أخيرًا قائلًا:

"أي بيئةٍ هذه؟! يشتمون من يريدون؟!"

نظر الجميع إليه دون فهم... حتى ضحك زياد فجأة، إذ تذكّر الموقف، وروى لهم ما حدث.

فضحك الرجال جميعًا، وأخبروه أن هذا أسلوب مزاحٍ معروف بينهم، لا يُقصد به إهانة ولا تقليل من قيمة أحد.

هدأ محمد شيئًا فشيئًا، ثم شاركهم الضحك...

وظهرت تلك الغمازة التي لا تظهر إلا حين يضحك من قلبه.

جلس معهم يتبادلون الأحاديث حتى أذّن الظهر، فافترقوا جميعًا للوضوء والصلاة.

لكن هل سيبقى حال أبطالي هكذا؟

ضحك هنا... وغضب هناك... وأيام تمضي بسلام؟

أم أن للقدر رأيًا آخر، يُخفي بين طيّاته شيئًا سيغيّر كل شيء؟

الأيام تمرّ وتُخفي لأبطالي ما ليس في الحسبان...

بطلنا محمد فقد والده، لتقع كلّ المسؤولية على عاتقه؛ لأنه الابن الأكبر. فأصبح العائل الوحيد لأسرته: والدته وسبعة من الإخوة والأخوات الصغار.

أيُّ قسوةٍ هذه التي تحملها الدنيا لقلبٍ لم يبلغ الثامنة عشرة بعد؟

ظنّ أن الحياة انتهت، وأن طفولته طُويت إلى الأبد. أقام عزاء والده وهو شامخٌ صلب، كأنه رجلٌ في الثلاثين من عمره، لا فتىً في السابعة عشرة يقف ليستقبل المعزّين.

نعم، كان واقفًا... لكن داخله كان منهارًا.

قلبه يبكي، لكن هيهات أن يتكلم أو يشكو.

صامتٌ هادئ... يحمل في داخله براكين.

كان يفكر:

هل سأكون أهلًا للمسؤولية التي تركها والدي؟ أم أنني سأخسر؟

انتهت أيام العزاء، وبقي بطلنا واقفًا أمام نافذته، والأفكار تغزو عقله.

أمّه امرأة، وإخوته صغار، وهو ما يزال يدرس... فمن أين سينفق عليهم؟ ومن أين سيأتي لهم بما يحتاجون؟

لم يكن مستعدًا لترك المدرسة. نعم، هو قوي، وسيجد عملًا، وسيدرس أيضًا، ويمضي في الطريق نفسه الذي سار فيه والده... كما كان يتمنى له.

خرج من المنزل وبدأ يبحث عن عمل. بحث طويلًا حتى تعب، وجلس على أحد الأرصفة تحت أشعة الشمس الحارقة. لكنه لم يكن يشعر بحرارتها؛ فالنار التي بداخله أشدّ وأقسى.

حدّث نفسه:

"السند هو الله... وعليه سأتوكّل، وسأبدأ مرحلة السعي."

نهض ليغادر، فلفت نظره مخبزٌ قريب. توجه إليه وسأل المسؤول إن كان لديهم عمل.

أجابه الرجل أنهم كانوا بالفعل يبحثون عن عامل.

فرح محمد، واتفق معهم على البدء، ثم انصرف ليجهّز أموره ويبدأ رحلته القاسية في الحياة.

ها هي الأيام تمضي، وهو يعمل دون كللٍ أو ملل.

لم يحرم والدته أو إخوته شيئًا؛ كان يلبي لهم جميع احتياجاتهم، ويضع نفسه في المرتبة الأخيرة.

لم يكن يهتم بما يريد هو...

كان بمثابة الأب لهم.

يكافح ويعمل ليلًا ونهارًا من أجلهم، حتى نسي كيف يعيش، ونسِي أن له حقًا في الحياة.

وفي أحد الأيام، خرج من المخبز متجهًا إلى صلاة العصر، فصادف في طريقه ضابط شرطة. سلّم عليه، وسارا معًا إلى المسجد يتبادلان أطراف الحديث ويتعرّفان إلى بعضهما.

دخلا المسجد، ووقفا للصلاة خلف الإمام. وبعد انتهاء الصلاة، انصرف المصلّون، وبقي محمد يُكمل أذكاره ويسبّح بصمت.

جلس الضابط يتأمله، ثم اقترب منه وقال:

"السلام عليكم يا بني."

ردّ محمد السلام، فجلس الضابط وسأله:

"ما اسمك يا بني؟"

أجابه:

"اسمي محمد يا عمّي، وأنت ما اسمك؟"

ابتسم الرجل وقال:

"أنا رضوان، ضابط في الشرطة."

قال محمد باحترام:

"سررت بلقائك، ولي الشرف بالتعرّف عليك."

ابتسم رضوان وقال:

"وأنا أيضًا. لكن أخبرني، ما الذي يشغل بالك؟ رأيتك سارح الفكر."

أجاب محمد بهدوء:

"لا شيء يا عمّي... سوى أننا نكافح في هذه الدنيا."

تردّد قليلًا، ثم قال بشجاعة:

"يا ضابط رضوان، هل يمكن أن أجد وظيفة في المجال العسكري؟ راتب المخبز لم يعد يكفي، ومسؤولياتي تكبر يومًا بعد يوم."

ابتسم رضوان؛ فقد أحبّ هذا الشاب منذ اللحظة الأولى.

وقال:

"نعم، هناك فرصة. إن أردت، ابدأ التدريبات من الغد."

وقف محمد وصافحه بقوة:

"أنا مستعد. هل تسمح لي برقمك؟"

أعطاه الرقم، وتواعدا على اللقاء في اليوم التالي.

أتى الصباح يحمل معه كل معاني القوة والأمل في قلب بطلنا؛ فهو يستحيل أن يستسلم.

بدأ التدريبات...

ونظّم حياته بدقة مذهلة:

من الصباح حتى الظهيرة في المعسكر،

ومن بعد الظهيرة إلى المساء في الجامعة يدرس تخصّصه،

ثم يعود إلى المنزل ليطمئن على والدته وإخوته،

ويقضي معهم بعض الوقت،

ثم يذهب إلى المخبز ليعمل حتى بعد منتصف الليل.

يعود منهكًا، وكل جزء في جسده يصرخ تعبًا، فيرمي نفسه على فراشه لينام ساعات قليلة...

ثم يستيقظ ليبدأ الروتين ذاته:

عسكرية، جامعة، أهل، مخبز... ثم نوم.

تمرّ الأيام سريعًا، والأعوام تذهب كلمح البصر.

كبر محمد، وكبرت بداخله القوة.

اشتدّ بأسه، وعلا شأنه، وصار يُضرَب به المثل في الصلابة والشجاعة والحكمة.

واجه سواد الليالي بشراسة، ولم يسمح لها أن تهزمه؛ بل صنع منها نورًا، ومهّد منها طريقًا.

تخرّج من العسكرية ومن الجامعة، فأصبح طبيبًا وضابطًا في الوقت نفسه.

أصبح رجلًا تهابه الرجال، وأبًا لإخوته، أحنّ عليهم من أنفسهم.

قدّم لهم كل ما يقدّمه الآباء، ولم يُشعرهم يومًا باليتم.

نعم... نسي نفسه.

لكنه كان يرى في تضحياته معنى الحياة.

كان ينهار بعيدًا عنهم، خوفًا أن يؤلمهم.

يحارب معارك الفقد والتعب بصمت، ما دام من يحبّهم بخير.

قست عليه الدنيا من كل ناحية، لكنها لم تستطع كسره.

هيهات أن يُكسَر محمد... المحارب الذي صنع نورًا من جور الليالي.

تزوّج، وبدأ ببناء مستشفى خاص به.

وها هو اليوم يقف مديرًا له، بشموخٍ وعزّةٍ وصلابةٍ وهيبة.

وصل إلى ما أراد...

ليس لأجل نفسه،

بل لأجل من يحب.

أيُّ الأبطال أنت يا محمد؟

أيُّ الرجال أنت؟

يا معنى الصمود والقوة،

والصلابة والشجاعة...

لن يأتي التاريخ بمثلك.

شرارة في مدينة الغياب

هل أنتم متحمسون لتعرفوا ماذا حصل مع ورد؟

الوجع خلف الضحكة

في غرفتها، كانت بطلتنا ورد تقف أمام المرآة، تحدّق في انعكاسها الهش. لاحظت ضحكتها المصطنعة التي تخفي خلفها أنينًا ووجعًا عميقًا لا يعرفه أحد سواها. تمتمت بخفوتٍ يشبه الهمس الموجع:

"متى سيأتي ذلك الشخص الذي سيفهمني حقًا، ويدرك أن ما وراء ضحكتي ليس إلا وجعًا مريرًا؟"

لم تكن ورد تعلم أن الجواب يقترب منها شيئًا فشيئًا، على هيئة رجلٍ لم يخطر لها على بال.

عاشت طفولةً مسروقة، ومراهقةً دفنت فيها أحلامها تحت دموع الإحباط، وتعرضت لخيبات موجعة ممن أحبتهم بصدق. عاشت ظروفًا قاسية وحروبًا نفسية لا يعلمها إلا الله.

ذهبت إلى فراشها، غطّت نفسها باللحاف، وأغمضت عينيها محاولةً النوم، هربًا من التفكير وموجات البكاء التي أنهكت روحها.

الرحلة إلى المجهول

استيقظت لصلاة الفجر، ثم جلست تتلو آيات من القرآن، تستمد منها السكينة حتى أشرقت الشمس.

تناولت الإفطار مع أهلها — ثلاث أخوات وأخ — ثم همّت بتنظيف المائدة.

وقبل أن تدخل غرفتها، استوقفتها أختها الكبرى رحيق.

رحيق: "ورد، انتظري، أريدك في أمر."

ورد: "ماذا هناك؟"

رحيق: "أشعر بتعب منذ أيام، وأريد الذهاب إلى المستشفى في المدينة المجاورة. هل تذهبين معي؟ أخاف الذهاب وحدي."

ورد: "حسنًا، سأرافقك. متى؟"

رحيق: "الآن. اذهبي وتجهزي."

خرجتا متجهتين إلى المستشفى الصغير في أقرب مدينة.

ومن هنا أقول لكم... تجهزوا.

هنا تبدأ رحلة بين وجعٍ وحب، بين ضحكات ودموع، بين يأسٍ وأمل، بين نورٍ وديجور.

يا ورد يا صاحبة عبارة: "أنا وحيدة"،

ويا محمد يا صاحب عبارة: "لا تنتظر الضوء... كن أنت النور."

هل تعلمان أنكما اليوم ستلتقيان لتبدأ قصة ستُبكي الجميع؟

لقاء العيون الصادمة

وصلتا إلى المستشفى، وكان أمام المدخل جمعٌ من الرجال والسيارات.

جلستا في صالة الانتظار بعد التسجيل.

كانت ورد تعبث بساعتها حينًا، وتتأمل حقيبتها حينًا آخر، ثم راحت تنظر حولها.

وفجأة...

خطف بصرها شابٌّ طويل القامة، متناسق البنية، بملامح جذابة وعينين حادتين تخترقان الروح، يخرج من جهة المختبر.

توقّف الزمن للحظة.

لم ترمش.

لم تُزِح نظرها.

ودقّ قلبها دقةً لم تعرفها من قبل.

هنا... وُلدت شرارة الحب الأولى.

شعر محمد بأن هناك من ينظر إليه، فرفع بصره.

التقت عيناه بعينيها.

عينان هادئتان قويتان، بعينين حالِمتين غارقتين في التأمل.

أدركت ورد ما فعلت، فخفضت بصرها سريعًا، ووبّخت نفسها همسًا. لكن صورته بقيت عالقة في مخيلتها.

الطبيب

نادتها رحيق: "ورد! دورنا!"

دخلتا إلى العيادة، وفور أن رفعت ورد عينيها...

كان هو.

الطبيب هو الشاب ذاته.

والشاب هو محمد.

جلست ورد، لكنها لم تستطع رفع نظرها مجددًا.

بدأ محمد يسأل رحيق عن شكواها، وصوته الرجولي الهادئ يصل إلى قلب ورد فيربكه أكثر.

أنهى المعاينة، وكتب الفحوصات. خرجتا لإجرائها، لكن عقل ورد بقي في الداخل... عند الطبيب.

وعندما عادتا وأكملتا الإجراءات، خرجت ورد من المستشفى جسدًا فقط... أما عقلها فبقي هناك.

طريق الإعجاب والصدمة

تعلّقت عيناها بالمستشفى كلما سنحت لها الفرصة.

كانت تختلق الأسباب للذهاب، فقط لترى الطبيب الذي شغل تفكيرها.

حتى جاء اليوم الذي علمت فيه أنه متزوج.

شعرت وكأن شيئًا انكسر داخلها.

ذهبت بقلبٍ نابض... وعادت بقلبٍ مثقل.

مرت الأيام، ثم تزوجت ورد، لتبدأ مرحلة قاسية من حياتها؛ عانت فيها الإهمال والبرود والقسوة، حتى ضعفت نفسيًا كثيرًا. شعرت بالضياع، واحتاجت من يحتويها ويفهمها.

وفي زيارة لاحقة للمستشفى، سأل محمد والدتها إن كانت ورد متزوجة.

أجابت بالإيجاب.

تفاجأ... فقد ظنها عزباء.

تبادلت الأيام بينهما كلمات قليلة، ثم رسائل، ثم تعلقًا عاطفيًا متدرجًا.

كانت تبحث عن من يفهم وجعها، وكان هو يجد فيها روحًا مختلفة عن كل من عرف.

لكن الطريق كان خاطئًا.

كلاهما يعلم ذلك.

وكان قلباهما أضعف من أن يتجاهلا الشعور.

كانت تعرف أنها تسير في طريق لا يرضي الله، وكانت تمزقها الحيرة بين قلبها وضميرها.

وكان هو يدرك أن المشاعر لا تبرر الخطأ.

وهنا... تبدأ المعركة الحقيقية.

معركة بين الحب والحق.

بين الرغبة والضمير.

بين القلب والعقل.

القرار الصعب: تسليم الأمر لله

صوت الضمير

استمرت أيامهما تدور في نفس الفلك، وهما غارقان في طريق لا يرضي الله، يغذيان حبًا كان بمثابة المنقذ لورد والقدر لمحمد.

إلى أن جاء يوم، قرأت فيه ورد عبارة اهتز لها قلبها المنهك:

"لا تعصِ الله بمن أحببت. فقلب من أحببت بيد من عصيت. اتركه لله، لعل دعواتك ترده إليك."

انهارت ورد بالبكاء كما لم تبكِ من قبل.

كيف لها أن تعيش بدونه؟ كيف يمر يوم دون أن تحادثه؟

تهورت نفسيتها وبدأت لا تتقبل تصرفات محمد، وأحيانًا شعرت أنه يريد الابتعاد، ولم تعرف هل هو شعور حقيقي منه، أم أن العبارة التي قرأتها أدخلت الشك والقلق إلى قلبها المرهف.

رسالة الوداع الأولى

في يومٍ ما، أرسلت له رسالة مطولة، كتبت فيها بصدق مؤلم عن حياتها الجحيمية بدونه، وعن كيف أصبحت جنة بوجوده.

جاءها رد محمد، لم تتوقعه أبداً، أبكاها وقطع أنفاسها:

محمد: "يا صغيرتي، يا من نادت الحياة باسمك فكنتِ وجعي وراحتي معًا...

قرأت كلماتك فارتجف قلبي كما يرتجف العود حين يلمسه الحنين. كل حرف كتبته كان سكينًا في صدري، لكنه أيضًا كان نبضًا يذكرني أن في هذا العالم من يحب بصدق نادر لا يشبه أحدًا...

طفلتي... لم أكن أعلم أن حضوري في حياتك سيترك فيكِ كل هذا الأثر، ولم أكن أعلم أن ابتسامة عابرة في ممر مستشفى يمكن أن تزرع في قلب صغير هذا الكم من الحب والوجع.

أقسم لكِ أني لم أرد لقلبك وجعًا، ولا لحلمك انكسارًا، ولكن القدر يكتب أقدارنا كما يشاء، ونحن نمضي فيها رغم أنوفنا.

اعلمي يا صغيرتي أن حبك باقٍ في مكانٍ آمن في قلبي، لا تراه العيون، لكنه هناك... حب نقي، لا يريد امتلاكًا، بل يكفي أن يدعو لكِ في السر لتكوني بخير، وأن تبتسمي، وأن يضيء الله طريقك بالسكينة.

أريدك أن تعيشي، أن تبني حلمك من جديد، ألا تجعلي قلبي أو حبي قيدًا يكبّلك، بل جناحًا يحملّك.

إن أحببتني يومًا، فاجعلي حبك هذا دافعًا لتكملي الطريق بثقة.

ما بيننا كانت صدفة جميلة، لكنها كافية لتغيير معنى الحياة في قلبي أيضًا.

ابقَ بخير يا طفلتي، ودعيني أعيش مطمئنًا أنكِ صرتِ قوية كما كنتِ دائمًا، وسأبقى أنا الطبيب الذي يرفع رأسه إلى السماء كل مساء ويهمس: اللهم احفظها... واجعل أيامها بيضاء كما كانت ابتسامتها حين رأيتها أول مرة."

بكت ورد تلك الليلة ولم تنم، وقرأت الرسالة أكثر من ألف مرة.

الصراع بين الوجع والاحتياج

مرت الأيام والشهور والليالي، وورد لا تزال متزوجة وتعيش العذاب مع زوجها القاسي، ولم يقف أحد بجانبها لتتخلص من ذلك الجحيم.

الحياة تمضي، وحياتها لم يكن فيها نور يضيء عتمتها سوى محمد.

كان محمد طبيبًا ومسؤولًا، معظم وقته مشغول بعمله، لكن قلب ورد لم يفهم ذلك؛ كانت تريد ولو لحظات قصيرة للتحدث إليه.

وفي يوم، أرسلت له رسالة بصدقٍ عميق:

"سأقولها اليوم وقد لا أستطيع قولها مرة ثانية، أقسم بمن رفع السماء أنني أحبك أكثر من والدي ووالدتي وأهلي، وحتى أكثر من نفسي."

كما اعتادت، أبهرها برده العاقل والعميق، رد تجاوز العشق إلى الإرشاد:

محمد: "أنا فاهم شعورك، وكلماتك تظهر كم تحبيني. أنا أقدّر كل كلمة من قلبك، لكن يخيفني أن توصلي لمرحلة تؤذي فيها نفسك وتظني أن هذا طبيعي. هذا ليس حبًا حقيقيًا.

الحب الحقيقي فيه توازن وراحة، مو ألم ونزيف مشاعر. أحب أن يكون قلبك هادئًا ومشاعرك مستقرة، وأن تحبي بطريقة تحميك قبل أن تعلقها بأي أحد. وجودك يهمني، واهتمامك جميل، لكن بدون أن تضرّي نفسك أو تتعبّي قلبك زيادة عن حده.

اجعلي حبك لنفسك أولًا، وأنا موجود بدون ضغط... نعيش المشاعر بهدوء، مو بوجع."

طريق التوبة والأمل

كان هذا الرد نقطة تحول حقيقية.

رسالة جعلتها تستوعب وتستسلم لقدرها كما هو، وتحاول أن تعيش حياتها بسلام، كما أخبرها محمد.

وبعد تفكير طويل ووجع عظيم، اتخذا الاثنان القرار الصعب:

قرروا أن يسلما أمرهما لله، لعل الله يجمعهما في حلاله، جزاء توبتهما ورجوعهما إليه بعد عصيانهما.

(ليلة الفراق والدعاء)

محمد: الهروب إلى الصمت

في المدينة المجاورة، حيث لا يعرفه أحد، ترك بطلنا محمد مدينته بأكملها متذرعًا بوجود عمل طارئ. لم يعلم أحد أنه هرب لأنه لا يستطيع إظهار ضعفه أو مشاعره، ولا يستطيع البقاء قريبًا من ورد دون الحديث معها.

أمضى الليلة واقفًا على شرفة نافذته، غارقًا في الأفكار، يشعر بشيء ثمين ينقصه... نعم، إنها طفلته. لم يحادثها ولم يطمئن عليها، ولن يستطيع أن يفعل بعد اليوم.

أمضى محمد ثلاثة أيام بعيدًا عن الجميع، لا يرافقه سوى الأفكار التي تشمل طفلته. كان يتساءل بقلب موجوع: كيف حالها؟ رغم أنه يعلم تمامًا أنها منهارة. نعم، علمها القوة والصلابة، وعلمها كيف تضحك، لكنه لم يعلمها كيف تعيش بدونه.

كانت الأفكار تُتْعبه، بداخله نار تستعر ووجع يغزو أوصاله، وصراع مرير بين أن يتصل عليها ليطمئن، أو أن يكمل الطريق الذي اختاره لإرضاء ربه.

في نهاية الأمر، استسلم لنداء الروح الذي لا يكذب. ذهب للوضوء، ثم خرج ليفرش سجادته، صلى ركعتين، وبدأ يدعو، وكانت أول دعواته لطفلته ورد:

"اللهم طفلتي، اللهم قلبها..."

أطال الدعاء، وكل دعواته بدأت بـ"ورد" وانتهت بـ"ورد". جلس على سجادة الصلاة سارحًا بأفكاره، وما زال قلبه يدعو دون توقف.

ورد: جحيم الذكرى والانهيار

أما طفلة محمد، ورد، فاعتزلت الجميع في منزلها. جلست وسط غرفتها، تضم نفسها في زاوية موحشة. لم تبكِ بعد، كانت الأفكار تحتل عقلها، محاولة يائسة لاستيعاب أنها لا تستطيع بعد اليوم أن تحادث محمد.

نعم يا وردتي، لا محمد بعد اليوم في حياتك... ستُمضي أيامك دون سماع صوته الرجولي أو رؤيته، دون توبيخه إذا بكت أو جرحت نفسها، دون إغلاق الهاتف في وجهها تأديبًا لها، دون سؤاله عن صحتها وتنبيهها، دون تعديل مزاجها المعكّر، دون ضحكه لها وهي غاضبة، دون تغزله بضحكتها أو كتابة أبيات شعر فيها، ودون مواساتها وهي حزينة.

سقطت أول دمعة من عيون ورد، تلتها الثانية. خنقتها العبرة، لتخرج أول شهقة حارة، تلتها أخرى. اختلط بكاؤها مع شهقاتها، وبكت بحُرقة مؤلمة، وتمسكت بمكان قلبها وهي تردد بضعف:

"إنه يوجعني يا الله... يوجعني يا الله... يوجعني يا الله!"

انهارت بالبكاء مرة أخرى. أين أنت يا محمد لترى طفلتك وما أصابها؟ لتُخاصمها على دموعها التي تكرهها!

بكت ورد لساعات دون توقف، حتى كاد قلبها يقف من فرط البكاء. سحبت نفسها لتسند ظهرها على الحائط، ضمت رجليها، ويدها تمسك قلبها، ودموعها تنزل بصمت قاسٍ.

هاجمت الأفكار عقلها من جديد، تتساءل عن حال محمد. كانت هناك رغبة مُلحة في محادثته، لكنها في النهاية استسلمت للطريق الذي اختاراه معًا.

ذهبت للوضوء، خرجت لتفرش سجادتها، تصلي ركعتين، وبدأت تدعو، وكانت أول دعواتها لنورها محمد:

"اللهم نوري، اللهم قلبه..."

خانتها دموعها، ونزلت بغزارة، وتصاعدت شهقاتها. أطالت الدعاء وسط بكائها الذي لم يتوقف، وكل دعواتها بدأت بـ"محمد" وانتهت بـ"محمد". جلست على سجادة الصلاة سارحة بأفكارها، وقلبها يدعو دون توقف.

صراع القلوب الموحد

محمد جالس على سجادته، وقلبه يعتصر وجعًا على طفلته، لأنه يعلم كم كانت تحبه ومتعلقة به، ويعرف أنها الآن غارقة في البكاء. وكم يوجعه أنه لم يستطع أن يهدئ بكاءها ويبعد الوجع عنها.

ورد جالسة على سجادة الصلاة، وقلبها يبكي قبل عينيها على نورها، لأنها تعلم كم يحبها، وتعرف أنه قاسٍ على نفسه، سيجلس يحترق في صمت ولن ينطق بكلمة، وكم يؤلمها أنها لم تستطع أن تخفف عنه.

جالسان كل واحد في مدينة، بنفس الجلسة، يكسوهما الوجع ونار الفراق، وكل قلب يدعو للآخر.

عينا ورد تلمع بدموع الألم، وعينا محمد يلمع فيهما وجع العجز.

آه يا أبطالي... لمَ القدر أوجعكما هكذا؟ وهل سيجمعكما من جديد، أم أنها النهاية ليعيش كل واحد منكما في جحيم الذكريات ونار البعد وجمر الاشتياق؟

أبكيتم عيوننا معكم يا ورد ومحمد، لعل الله ينظر إليكما ويجمعكما جزاءً لأنكما اخترتما وجع الفراق والبعد في سبيل ألا تعصياه، وأن تتوجهوا إليه بالدعوات ليجمعكما.

لِيطغى نور محمد على ظلام ورد،

ويُبدل الوجع راحة،

والدمعة ابتسامة،

والحزن فرحًا،

والقلق طمأنينة.

وردة تبعث من جديد

عودة محمد.. الطبيب الجليدي

بدأت الأيام تمر ثقيلة، وكأنها نار تُلهب أبطالنا من جديد. بعد ثلاث ليالٍ من الوحدة المطلقة والدعاء المتبادل، حان وقت العودة؛ العودة إلى الحياة التي لا ترحم، وإلى الروتين الذي لا يعترف بأنين القلب. كان الفراق قاسياً كالسيف، لكن قرار التوبة الصادق منحهما قوة غريبة للمضي قدماً في طريق الله.

عاد محمد إلى مدينته ومستشفاه وعمله. عاد بجسد الضابط والطبيب، لكن بروح منهكة وجدار جليدي يحيط بقلبه. في العسكرية كان صلباً لا يهتز، واليوم تضاعفت تلك الصلابة لتصبح حاجزاً من الجليد حول مشاعره كي لا تخونه أمام أحد.

كان يرهق نفسه بالعمل ليلاً ونهاراً، محاولاً الابتعاد عن التفكير. يحاول جاهداً إشغال نفسه ليهرب من الذكريات، لكن هيهات! يأتي الليل ليختلي بنفسه، فتهاجمه صور طفلته دفعة واحدة. كان يتساءل إلى أي حال وصلت ورد؟ كلاهما يحاول كتم مشاعره والمضي قدماً، ولكن من قال إن الحبيب يُنسى؟ كل واحد منهما يخبئ الآخر في أعمق زوايا قلبه.

ورد: جسد دون روح

ورد تعيش بجسدٍ دون روح؛ فقدت الشغف للحياة. حاولت أن تكون قوية، لكنها لم تستطع. اعتزلت الناس، ولم تعد تخرج من المنزل إلا نادراً، وتمضي يومها في العمل المتواصل لتشغل نفسها.

كانت تعيش مع زوجها حياة الجحيم، فهو أناني قاسٍ، لا يوجد بقلبه ذرة من الرحمة. كل ليلة، عند منتصف الليل، تصلي ورد وتبكي حتى تجف دموعها، ترتب دعواتها في قلبها، لكن ما إن ترفع يديها حتى تنهار وتجهش بالبكاء.

لقاء الرعاية الصامتة

مرت الأيام، وفي يوم سقطت ورد مُتعبة بسبب الحمى والإهمال المتراكم. أسرع أهلها إلى المستشفى.

حين وصلوا، كان محمد قد أكمل عمله في إسعاف أحد المرضى وكان متوجهاً إلى مكتبه، لِيَلْمَح أخ ورد يحمل امرأة متوعكة. ارتجف قلب محمد عندما عرفها... إنها ورد!

أسرع محمد نحو أخ ورد، الذي أدخل ورد إلى غرفة فحص فارغة ليتم إسعافها بعيداً عن أعين الآخرين. دخل محمد بعدها، وأخذ يسأل عن حالها، وارتجف خوفاً على طفلته التي يهتم بها أكثر من أي شخص آخر.

أكمل عمله بحرفية، وأخذ العينة إلى المختبر، ثم وصف لها دواءً وهو يتقطع وجعاً على حالها. وضع الورقة بخفة في يد ورد دون انتباه أخيها. قبضت ورد على الورقة كي لا يراها أحد. بعد انتهاء المصل، غادروا إلى المنزل.

وعد القوة والبعث

عندما وصلت ورد إلى غرفتها وجلست وحدها، فتحت الورقة التي كتب فيها محمد كلمات قصيرة، لكنها مؤثرة للغاية:

"كوني قوية، فطفلة محمد لا يليق بها الضعف."

بعد أن قرأت ورد رسالة محمد، شعرت بشيء غريب يتدفق في عروقها. كانت دموعها تنزل على خديها، لكنها لم تكن دموع حزن، بل دموع فرح وقوة كامنة. فرحت لأنها شعرت أن محمد ما زال يهتم بها، وفرحت لأنها لم تعد وحدها في هذه الحياة.

قطعت له وعداً بقلبها أنها ستنهض، وستبقى ورد القوية التي يحاول محمد أن يصنعها.

لكن، هل سيكون المستقبل كما يرغبان؟ هل سيتمكّنان من التغلب على كل الصعاب؟ وهل سيكونان قادرين على أن يكونا مع بعضهما البعض في حِلّ بعد أن اختارا الفراق لأجل الله؟

ماذا ينتظرهما في الأيام القادمة؟ هل ستكون هذه النهاية أم البداية؟

(آثار الصمود وقوة التيوليب)

محمد: الطبيب الجليدي

لم يعد محمد كما كان؛ كان يعمل ليل نهار بشكل جنوني، كأنه يهرب من شبح يطارده بلا هوادة. غرق في تفاصيل العمليات الجراحية المعقدة، وفي اجتماعات إدارة المستشفى التي لا تنتهي، باحثاً عن أي منفذ يخفف عنه ثقل الفراق.

ازدادت وسامته حدة وجاذبية غامضة، فيما تحولت نظراته إلى هدوء مخيف لا يكشف عن أي مشاعر. اختفت ابتساماته العابرة، وحلت محلها تعابير جادة لا تُقرأ، وكأنه يرتدي قناعاً من اللامبالاة لا يُسمح لأحد باختراقه. لاحظ الجميع في المستشفى هذا التغير؛ حتى المرضى كانوا يترددون في محادثته، وأطلقوا عليه سرّاً لقب "الطبيب الجليدي"، الذي ينقذ الحياة ببراعة متناهية لكنه بارد كالثلج.

الصلة الوحيدة

في مكتبه الفخم، كان يجلس خلف مكتبه الأنيق وأمامه ملفات المرضى، لكن قلبه كان يحمل ملفاً واحداً فقط: ملف ورد. كان يفتح تطبيق الأخبار أو وسائل التواصل الاجتماعي بحثاً عن أي خبر عن عائلتها أو عن زوجها، فقط ليتأكد أنها بخير.

كانت هذه كل صلته بها الآن؛ الاطمئنان الخفي عن بعد، دون تجاوز الحدود التي وضعها لنفسه. كان العمل هو المنفى الذي اختاره قلبه، سجن قاسٍ لا يُسمح فيه بالذاكرة، لكن رائحة ورد كانت عالقة في كل ركن من أركان روحه، لا يزيلها الانشغال ولا يطردها التعب.

ورد: القوة تحت الرماد

أما ورد، فقد كانت عودتها إلى واقعها أصعب من الفراق نفسه. عادت إلى منزل زوجها، إلى جحيم لا يوجد فيه صوت محمد لتهدئتها. لكن رسالته الأخيرة كانت تتردد في أذنيها كأمر:

"كوني قوية... خلي حبك لنفسك أول."

بدأت ورد مرحلة جديدة من الصمود. لم تعد تبكي، بل حبست دموعها في مكان سري عميق داخلها، وحولتها إلى قوة صامتة، كطاقة كامنة تدفعها للأمام.

تعاملها مع زوجها

لم تعد ورد تستجدي اهتمام زوجها الأناني أو تلتمسه. أصبحت تتجاهله بذكاء، تركز فقط على أداء واجباتها الأساسية في المنزل، وتعتزل الباقي. كانت تذهب لغرفتها وتغلق الباب، تمضي وقتها في القراءة أو العمل، وخصصت وقتاً أطول للعبادة والدعاء، باحثة عن السلام الذي سلبته منها الحياة.

مظهرها

قررت ورد الاعتناء بنفسها مجدداً. عادت ترتدي ملابس أنيقة، وتصفف شعرها الطويل الذي كان يعجبه (محمد). لم تفعل ذلك من أجل زوجها، بل من أجل نفسها، تطبيقاً لنصيحة محمد بأن تحب ذاتها أولاً.

كانت تبدو هادئة، جميلة، وبعيدة المنال. هذا الهدوء كان أقوى رد على إهمال زوجها؛ فقد بدأ يشعر ببرودتها واكتفائها الذاتي الغريب.

الأثر الداخلي

كانت ورد قوية كالتيوليب التي تنمو في الصخور؛ تظهر جمالها وصمودها رغم قسوة البيئة. لكنها في كل ليلة تتذكر أدق التفاصيل في رسالة محمد: عبارته "يا طفلتي"، ضحكته، أو نبرة صوته عند الغضب.

كانت تعيش على ذكرى الحب النقي الذي دفنته بيدها، وتتسلح بقوة الإيمان والصبر. ترفع يديها إلى السماء وتهمس بيقين:

"اللهم إن كان خيراً لي فاجعله لي حلالاً، وإن كان شراً لي فأرضني به. اللهم رُدّه إليّ ردّاً جميلاً."

صراع المصير

عاش محمد وورد هكذا: بعيدان بالجسد، وقريبان بالدعاء. كل منهما يظن أن الآخر نسي أو مضى قدماً، لكن الحقيقة أن صلاة الفراق وحدتهما بطريقة أعمق وأكثر قدسية مما كان عليه الحال في علاقة السر.

عينا ورد تلمعان بالدعاء، وعينا محمد يلمع فيهما وجع العجز. كل قلب منهما يصلي للآخر، وكل نفس يرسل أمانيه الخفية.

فما هو القادم يا ترى؟ هل سيكافئهما الله على وجع الفراق من أجل رضاه، أم سيستمر صراع المصير على قلبي العاشقين؟

محمد: المنارة الصامتة وجبل الرجولة

محمد: صخرة الصبر والشهامة

مرّت الأيام والشهور والسنين، وعاد البطل ليواجه فقد والدته، ليزداد وقع رحيل والده ألمًا وعمقًا. أصبح فجأة العمود والسند، الأب والأم لإخوته. لم ييأس ولم يستسلم؛ مضى في الدرب حاملاً المسؤولية على كتفيه العريضين.

كان يضحي في صمت ويكتم جراحه، ناحتاً من إخوته رجالاً، يشهد الجميع على شهامتهم وطيب أصلهم وقوة بأسهم. كل نجاح وصل إليه إخوته، كان هو مهندسه وصانعه الأول.

كان المحارب المضحي الذي أهدى حياته كاملة من أجلهم. لم يقل "تعبت" أو "لم أعد أستطيع"، بل كان عنواناً راسخاً للصبر والتضحية. وقف خلفهم في كل شبر، صامتاً، لا يرجو مدحاً ولا ينتظر شكراً لتضحياته من أحد.

تمر الحياة، ومحمد ما زال الرجل الصلب، القوي، المحارب، والشهامة المجسدة. كسب حب الناس بفعله قبل قوله، وذكره العطر يتردد صدىً بالفخر في كل مجلس.

قصيدة في شموخ محمد

أنت شامخ، لا تهزك رواسي الجبال، ولا تكسرك عواصف الشدائد

أنت معنى الرجولة، بالقول والفِعال

هيهات أن يهزّك ضعيف النفس أو أشباه الرجال

لولاك ما كان للرجولة معنى ولا مثال

كل المواقف تشهد لك صدقاً قولاً وفعلاً

يا طيب الأصل، من هيبتك تهتز لك أعالي القوم ومجالس الرجال

بصوتك الحق تنكسّ لك رؤوس الأقوام

يفوح اسمك وذكرك الطيب في كل شبر، كل قبيلة، وكل دار

ومن سمع اسمك قال: "هذا هو خير الرجال، هذا هو القدوة والمنار"

عيون الزين والشين تلحقك مثل السهام، تتمنى لو تحظى بنظرة منك أو حتى سلام!

ورد: ميلاد محاربة من رحم الخذلان

عاشت "ورد" فصولاً ثقيلة، كأنها تمشي في حقل ألغام، تتلمس طريقها بقلب هش وروح لا تعرف الاستسلام. كانت حياتها قبل محمد معركة صامتة، تحملت ما لا يحمله جبل، وقدمت تضحيات لا تُحصى، لكنها لم تجد في المقابل سوى جدران الصمت وثقل الوحدة.

مرّت بتجربة زواج قاسية، انتهت بطلب الطلاق. لم تسمح لأحد أن يتدخل، لأنها وحدها من تحملت الألم. كان الطلاق ميلاداً مؤلماً لورد الجديدة، التي تعلمت كيف تُداوي جراحها بنفسها، وتستند على ذاتها بعد أن خذلتها الأعمدة. خرجت من تلك التجربة كالمحاربة، ألقت درعها المثقل بالخيبات، وقررت إعادة بناء مملكة روحها بحجر من الصبر وماء من الكرامة.

الوعد المُحقق: لقاء بعد شوق

توالت الخطابات إليها، لكنها كانت ترفضها قاطعاً؛ قلبها ظل موثقاً باسم واحد هو محمد. لم يكن القلب ليحتمل قصة جديدة بعد أن عاش ومات حباً وانتظاراً.

وفي يومٍ لا يُنسى، دخلت والدتها لتخبرها بقدوم خاطب جديد. عبست ورد وقالت: "لا أريد الزواج!" وجلست على كرسيها مُثقلة بالهم.

ابتسمت الأم بحنان، وقالت: "إنه الدكتور محمد يا ورد! أنت تعرفينه، والجميع يشهد على شهامته. استخيري في الأمر، وأخبريني قرارك النهائي." ثم خرجت الأم وأغلقت الباب خلفها.

صدمة اللقاء وبكاء الشكر

تُركت ورد وسط مزيج من الذهول والصدمة المباركة. انطلق قلبها بخفقان عنيف، احتل البرد أطرافها، وغمرتها رجفة لم تعهدها. لم تستوعب: هل سيكتب اسمها أخيراً بجانب اسم محمد؟

سقطت مغشياً عليها، وما إن استفاقت حتى تذكرت الموقف. ارتكأت على الحائط محاولة استيعاب اللحظة، وأجهشت بالبكاء، بكاء الشكر والتحرر من سنين الانتظار. كانت ليلة صلاة وشكر لله على العطاء والرحمة لقلبها المحب.

يوم العهد: أنا قبلت

أما محمد، فبعد أن سمع عن طلاقها، كان ينتظر اللحظة المناسبة ليطلب يدها، مدركاً أن قلبها لم يكن لغيره. وحين جاءت الفرصة، انطلق لطلبها، بانتظار موافقة الأهل لإقامة عرس يليق بهما.

تم تحديد الموعد، وفي يوم الزفاف، تم العقد:

والد ورد: "زوجتك ابنتي ورد"

محمد: "وأنا قبلت."

وقعت ورد وهي تحاول أن تظل متماسكة، رغم الرجفة والفرح العميق. تقدم والدها ليأخذها ويسلمها لعريسها، ومع محمد انتقلت نحو الحياة الجديدة.

لقاء الأبطال: انهيار على عتبة اليقين

دخل محمد المنزل وأغلق الباب، وتوقف عند عتبة غرفته. نظر إلى ورد بفستانها الأبيض، وجمال ملامحها الذي زاد عشقاً في قلبه. وقفت ورد حين رأته قادماً، وتبادلوا نظرات تحمّل شوق سنين وتساؤلاً خفياً: هل هذا حقاً حقيقة؟

انهارت قدما ورد من هول الفرح، لكن محمد كان أسرع، التقطها واحتضنها، هامساً:

"لا فراق بعد اليوم، أنا هنا لأجلك."

دفنت ورد وجهها بكتفه، وانطلقت دموعها كشلال، دموع فرح وحرية من سنين الانتظار.

بعد 7 سنوات: السعادة المستمرة

بعد سبع سنوات، يظهر مشهد السعادة: طفلتان توأم، وعد وعهد، تتسابقان نحو والدهم، يركض خلفهما أخوهم الصغير. ورد تتجه إليهما بالعباءة والنقاب ومعطفها الطبي، تحمل حقيبتها، وتغلق الباب خلفها لتدخل المستشفى بجانب أطفالها.

محمد يلتقط الأطفال بحضنه، ورد تعبّس وتغار، وهو يبتسم ويعرف ما في قلبها:

محمد: "ما بها طفلتي؟"

ورد: "أحبها."

محمد: "أحبك وأحبها."

يغلبها دائماً بردوده التي تخفف من الغيرة، ويظل الحب والوفاء قائماً.

رسالة إهداء: إلى محمد الشامخ وورد الصابرة

إلى من يستحق الفخر والعرفان... إلى من صنع من التضحية مجداً... إلى محمد وورد!

محمد: المنارة الصامتة ومكافأة السماء

يا محمد، يا أول الأحباب وآخر العهود، إن قصتك ليست مجرد حكاية تُروى، بل هي مدرسة في الشموخ، الرجولة الحقيقية، والاحتواء النادر.

أنت لم تكن مجرد أخٍ أكبر، بل كنت القيادة التي لا تنكسر. من رحم الألم ومرارة الفقد بعد رحيل الوالدين، ولدت من جديد؛ أصبحت عموداً وسنداً، أباً وأماً حقيقياً لإخوانك. لم تحنِ قامتك أمام الشدائد، ولم يخرج منك تنهيدة شكوى. كنت المحارب الصامت الذي ضحى بشبابه وحياته كاملة ليصنع من إخوته رجالاً يشهد لهم الجميع بطيب الأصل وقوة البأس.

كنت الطبيب ليس بالمهنة فحسب، بل بالروح: عالجت الأجساد بعلمك، وداويت الأرواح بصمتك وقوتك، وكنت الجبل الذي صمد حين انهارت الجبال. كل نجاح وصل إليه إخوانك، وكل شهامة تُذكر باسمهم، كانت بصمتك ودموع كتمانك. أنت الجبل الذي لا يميل، والمنارة التي لا تنطفئ. سلاماً على المحارب الصامت الذي اختار البذل عن الأخذ!

وعاش محمد للآخرين، حتى وجد من يعيش له (ورد). كان هذا الزواج مكافأة السماء لرجلٍ لم يعش يوماً من أجل نفسه. لم يُكتب اسم محمد على الورق فحسب، بل نُقش في أرواح إخوته كأبٍ ثانٍ، وفي قلب زوجته كأمان لا يزول. هو أول الأحباب، مسك الختام، الصبر، التضحية، الوفاء، والرجولة في أكمل صورها.

يظل ذكر محمد يتردد في المجالس، كنغمٍ أصيل لا يبهت، يردده كل من رأى فيه معنى الرجولة التي لا تُباع ولا تُشترى.

ورد: رفيقة الدرب والعهد الأبدي

وسلاماً على ورد... رفيقة الدرب، الأمان، وشريكة الكفاح الأعظم.

عرفت ثقل الحياة ومرارة الخيبة، وخرجت من معاركها الماضية قوية صامدة. لم ترضَ بكسر جناحها، بل تعلمت الطيران من جديد.

حين التقت روحك بروح محمد، لم يكن زواجاً عابراً، بل عهد وفاء بين محاربين. رأيت في محمد المرسى الآمن بعد العاصفة، والكتف الذي يستحق أن تركني إليه، ووجدت فيه السكينة والتقدير الذي يليق بعظمة تضحياتك.

لقد أكملتما معاً قصة أن الخسارة المؤقتة ليست سوى تمهيد للفوز العظيم في النهاية، وأن التضحية في سبيل الله يثمر عنها أعظم الجزاء.

الختام: الشموخ المُهداة

إليك يا محمد...

أنت شامخ، لا يهزك ضعف النفس أو أشباه الرجال.

أنت معنى الرجولة بالقول والفعال، تتربع على عرش الشهامة والإجلال.

ويظل ذكرك وذكر ورد يفوح في كل مجلس وكل دار، دلالة على أن نهاية التضحية هي حياة ملؤها العز والفخار.

بورك هذا العهد الأبدي، وبارك الله في رجلٍ هو محمد، وفي امرأة هي ورد.

لتُسدل الستار على هذه القصة العظيمة بتقدير يليق بحجم التضحية وجمال الصمود.

- محمـــــــــــــــد

ستبقى دائمًا شيئًا مختلفًا عن الجميع، ستبقى علامة فارقة في حياتي وبصمة لا يقدر الزمن على محوها. ستبقى ذاك الحلم الذي أعيشه وأنا مستيقظة، والجرح الذي أحببته رغم ألمه، والفرح الذي لجأت إليه رغم قلته.

أنت لست كالبقية، فأنت الذي غير ملامح أيامي. علمتني أن الشوق قد يكون حياة كاملة، وأن الغياب قد يسكن الروح كقدر لا يُرد. معك اكتشفت أن بعض الأشخاص يدخلون القلب مرة واحدة، ثم يستوطنونه إلى الأبد، فلا يخرجون ولا يتركون مجالاً لأحد سواهم.

ستبقى مختلفًا لأنك الوحيد الذي تلمع صورته في ذاكرتي مهما غمرها الغبار، الوحيد الذي يضيء اسمه عتمتي مهما انطفأت كل الأضواء، الوحيد الذي يوجعني حضوره وغيابه بنفس القدر، وكأن قلبي اختارك ليظل أسيرك إلى ما لا نهاية.

فلتعلم أنني مهما كبرت الجراح، ومهما تغير العالم، ستبقى دائمًا بالنسبة لي الاستثناء الجميل... والحقيقة التي لا تشبه أحدًا.

أحبـــــــــــك

الكاتبة: مجهولة

"أميرة النور والحب"

العلامة الغامضة

في حي قديم من أحياء حماة، حيث البيوت ذات الشرفات الحديدية والطرقات الضيقة التي تفوح برائحة الياسمين، كانت تعيش سيدرا مع جدتها نور.

كانت سيدرا فتاة في الثامنة عشرة، تدرس في المدرسة الثانوية، وتحب الرسم وقراءة قصص الخيال. لكنها كانت تشعر دائماً بأنها مختلفة عن زميلاتها. ليس لأنها كانت هادئة أو حالمة، بل لأنها كانت ترى أحلاماً غريبة كل ليلة.

أحلام عن مملكة من الكريستال، وسماء فيها نجمان توأم، وامرأة جميلة تبكي خلف قضبان من نار.

في صباح أحد الأيام، استيقظت سيدرا مفزوعة. كان جبينها متعرقاً وقلبها يدق بقوة. ذهبت إلى المرآة كي تغسل وجهها، وهناك تجمدت.

على كتفها الأيمن، كانت هناك علامة لم تكن موجودة بالأمس. دائرة فضية بداخلها هلال ونجمة، تلمع بنور خافت.

سيدرا: (تلمس العلامة بخوف) "جدتي! جدتي!"

جاءت الجدة نور مسرعة، تحمل عصاها الخشبية القديمة. نظرت إلى العلامة، وفجأة اصفر وجهها وارتجفت يداها.

الجدة نور: "حان الوقت.. لقد حان الوقت يا سيدرا".

سيدرا: "أي وقت؟ ماذا تعني؟ ما هذه العلامة؟"

جلست الجدة نور على السرير، وأخذت نفساً عميقاً. ثم نظرت إلى حفيدتها بعينين تفيضان بالحزن والحب.

الجدة نور: "أنتِ لستِ من هذا العالم يا سيدرا. أنتِ أميرة مملكة أزوريا، الابنة الوحيدة للملكة الحقيقية. قبل ثمانية عشر عاماً، حدث انقلاب في المملكة. أخت أمكِ، الملكة ظليلة، استولت على العرش وسجنت أمكِ في برج منسي. أنقذتكِ أنا وأتيت بكِ إلى هنا لأحميكِ".

سيدرا: (ترتجف) "هذا.. هذا غير معقول! أنا أعيش هنا منذ 18 عاماً! هذه مدينتي، هذه مدرستي، هذه جدتي!"

الجدة نور: "أنا جدتكِ حقاً يا صغيرتي. أنا أم والدكِ الراحل. كنتُ الملكة الأم في القصر في أزوريا قبل أن آتي لأحميكِ. والآن، العلامة ظهرت.. هذا يعني أن أمكِ في خطر كبير، وتحتاج إليكِ".

سيدرا: "لكن.. لكن ليس لديّ أي قوة! أنا فتاة عادية!"

الجدة نور: (تبتسم) "لا يا عزيزتي. القوة بداخلكِ، تنام منذ 18 عاماً. حان وقت استيقاظها".

الرحلة إلى أزوريا

في اليوم التالي، ذهبت سيدرا مع صديقها رعد إلى المكتبة العامة في وسط المدينة. كان رعد فتىً طيب القلب، يحب سيدرا بصمت ويصدق كل كلامها رغم غرابته.

رعد: "إذاً، نحن نبحث عن بوابة لعالم سحري؟ داخل مكتبة؟"

سيدرا: (تضحك) "أتعرف؟ لو قال لي أحد هذا الكلام قبل يومين، لظننته مجنوناً. لكن جدتي قالت إن البوابة في أقدم كتاب هنا".

بحثا طويلاً بين الرفوف المتربة، حتى وصلا إلى ركن منسي في آخر المكتبة. هناك، كان كتاب ضخم موضوع بمفرده على رف عالٍ.

عنوان الكتاب: "أزوريا.. مملكة النور المفقودة".

ما إن لمست سيدرا الكتاب، حتى انفتح من تلقاء نفسه. خرج منه نور أزرق ساطع، وبدأت الصفحات تتطاير في الهواء مكونة دوامة من الضوء.

صوت من داخل الدوامة: "سيدرا.. أخيراً جئتِ.. نحن في انتظاركِ".

نظرت سيدرا إلى رعد، ثم أمسكت بيده وقفزت معه إلى داخل الدوامة.

وجدت سيدرا نفسها في مكان مختلف تماماً. كانت واقفة في غابة من الأشجار الفضية والذهبية، أوراقها تلمع كالنجوم، وأنهار من الضوء تجري بين جذوعها. في السماء، كانت هناك شمسان توأمان: واحدة ذهبية وواحدة فضية.

رعد: (بذهول) "يا إلهي.. إنه مكان جميل فعلاً!".

فجأة، سمعا صوت حفيف أجنحة. نزل أمامهما غراب أزرق بعينين ذكيتين.

الغراب الأزرق: "أهلاً بكِ يا سيدرا. أنا مرشدكِ في أزوريا. اسمي زرقون، وكنتُ مستشار والدتكِ قبل أن تسجن".

سيدرا: "زرقون! جدتي أخبرتني عنك. أين أمي؟ كيف أصل إليها؟"

زرقون: "أمكِ مسجونة في برج النسيان، في أقصى المملكة. لكن الوصول إليها صعب. الملكة ظليلة تحيط البرج بأقوى السحرة. ولن تستطيعي تحريرها إلا إذا استعدتِ قواكِ كاملة".

سيدرا: "وكيف أستعيد قواي؟"

زرقون: "عليكِ القيام بثلاث مهام:

١. عبور غابة الأوهام دون أن يخدعكِ سرابها

٢. استرجاع جوهرة النور من كهف الظلال

٣. مواجهة الملكة ظليلة نفسها

المهمة الأولى: غابة الأوهام

دخلت سيدرا ورعد إلى غابة كثيفة. كانت الأشجار تتحرك وتهمس، وفجأة... بدأت الأوهام تظهر.

ظهرت أمام سيدرا صورة أمها تناديها:

"تعالي يا ابنتي... أنا هنا!"

كادت سيدرا تركض نحوها، لكن رعد أمسك بيدها.

رعد: "لا! تذكري ما قاله زرقون! إنه وهم!"

تذكرت سيدرا كلمات جدتها: "القوة الحقيقية في القلب الواعي". أغمضت عينيها وتنفست بعمق. وعندما فتحتهما، اختفى الوهم وانكشف الطريق الصحيح.

المهمة الثانية: كهف الظلال

وصلت سيدرا إلى كهف مظلم. في داخله، كانت جوهرة النور محاطة بمخلوقات من الظل. كلما اقتربت منها، همست لها أصوات من داخلها:

الصوت:

"أنتِ لستِ أميرة... أنتِ فتاة عادية... لا تستطيعين إنقاذ أحد... ارجعي إلى بيتكِ."

بدأت سيدرا تشك في نفسها. كادت تبكي وتتراجع، ثم تذكرت.

سيدرا: (بصوت قوي)

"أنا ابنة الملكة الحقيقية! أنا سيدرا! وهذا يكفي!"

لمعت العلامة على كتفها، وانفجر منها نور أبيض طرد الظلام. أمسكت بالجوهرة، وشعرت بدفء غريب يسري في جسدها. كانت قد استعادت نصف قوتها.

المواجهة

بعد عبور الغابة واسترجاع الجوهرة، وصلت سيدرا إلى برج النسيان. كان البرج شامخاً كالجبل، جدرانه من الكريستال الأسود تعكس آلام ثمانية عشر عاماً.

وفجأة... ظهرت الملكة ظليلة. كانت امرأة جميلة، لكن عينيها تحملان برود قاتلاً. إلى جوارها، كانت أم سيدرا مكبلة بسلاسل من نار.

الأم: (تبكي)

"سيدرا! اهربي! إنها تريد قتلكِ!"

ظليلة: (تقهقه)

"أقتلها؟ بالعكس يا أختي... أريدها أن تحكم معي! سأقتلكِ أنتِ فقط، ونبقى نحن الاثنتين ملكتين!"

نظرت سيدرا إلى خالتها. رأت في عينيها ليس شراً فقط... بل وجعاً قديماً. وجع أخت شعرت بأن أختها الكبرى سرقت منها الحب والعرش.

سيدرا:

"لماذا يا خالة؟ لماذا كل هذا الكره؟"

ظليلة: (تنفعل)

"لأنها هي من بدأت! هي من سجنتني أولاً! هي من سرقت حب أبي وأمي! هي من جعلتني أختاً من الدرجة الثانية!"

انفجرت ظليلة بالبكاء. للحظة، تبددت هالة الشر حولها، وظهرت كامرأة منهكة، تعبة من سنين طويلة من الحقد.

سيدرا: (تتقدم ببطء)

"خالتي... أنا أفهمكِ. أختي الكبرى... أنا أفهم شعوركِ."

ظليلة: (تبكي)

"لا تفهمين... لا أحد يفهم... أنا كنتُ طفلة أيضاً... أردتُ حب أمي مثلكِ..."

سيدرا:

"وأنا أعطيكِ هذا الحب الآن."

فتحت سيدرا ذراعيها. ترددت ظليلة... ثم تقدمت خطوة... ثم انهارت في أحضان ابنة أختها.

ظليلة: (تبكي بحرقة)

"آسفة... آسفة... أنا آسفة يا سيدرا... يا ابنة أختي..."

الأم: (تدمع عيناها)

"وأنا آسفة أيضاً يا صغيرتي... سامحيني."

الخيانة

في اللحظة التي التقت فيها الأيادي الثلاثة معاً...

حدث شيء غريب.

اهتزت الأرض. تشققت السماء. صرخ الناس في المملكة.

زرقون: (يحلق فوقهن)

"لقد حذرتكِ يا سيدرا... ليس كل من يسامح يُسامَح!"

نظرت سيدرا إلى يديها. كانت العلامة على كتفها تتحول إلى السواد. ثم نظرت إلى خالتها، فرأت ابتسامة ماكرة ترتسم على شفتيها.

ظليلة:

"شكراً لكِ يا عزيزتي... لقد أعطيتني ما أريد."

سيدرا:

"ماذا؟!"

ظليلة:

"لم أكن أريد العرش... كنت أريد قوتكِ! وطالما أنكِ تمنحينني حباً صادقاً... فقوتكِ تنتقل إليّ! الآن... أنا أقوى ساحرة في أزوريا!"

سقطت سيدرا على ركبتيها. شعرت بأن روحها تُسحب منها ببطء. نظرت إلى أمها التي كانت تبكي بصمت.

الأم:

"لاااا! أختي الشريرة... كيف تفعلين هذا؟!"

ظليلة: (تقهقه)

"علمتني أن الخيانة من الدم نفسه يا أختي."

قوة الحب

في لحظة الضعف القصوى، عندما كانت قوتها تذوب، تذكرت سيدرا كلمات جدتها نور...

||السحر الحقيقي ليس في العصا يا سيدرا.. السحر الحقيقي في القلب الذي يرفض أن يكره||

رفعت سيدرا رأسها، كانت تبتسم رغم الألم.

سيدرا: "خالتي.. خذي كل قوتي. خذي سحري. خذي عرشي. خذي حتى حياتي إن أردتِ.. ولكن هناك شيء واحد لن تستطيعي أخذه أبداً".

ظليلة: (تتوقف عن الضحك) "ماذا؟".

سيدرا: "حبي لكِ. لأني لو كرهتكِ لصرتُ مثلكِ. ولن أكون مثلكِ أبداً".

نظرت ظليلة إلى سيدرا. للحظة، تراجعت الابتسامة الماكرة. ظهر في عينيها ارتباك، ثم ألم، ثم ندَم.

ظليلة: "لكن.. أنا سرقت قوتكِ.. أنا خنتكِ.. أنا..".

سيدرا: "وما زلت أحبكِ. لأنكِ خالتي. لأن جزءاً منكِ طيب. لأني رأيتُ الطفلة الصغيرة التي تبكي داخل عينيكِ الآن".

ساد صمت طويل في مملكة أزوريا. الكل ينتظر.

ثم حدث شيء لم يتوقعه أحد.

الملكة ظليلة.. رمت العصا السحرية أرضاً.

ظليلة: (تبكي) "أنا لا أستحق هذا الحب.. أنا لا أستحق..".

انكسرت السلاسل من نفسها. عادت العلامة على كتف سيدرا تلمع من جديد، بل أقوى من قبل. تجمع النور في قلب ظليلة وانفجر.

لم تعد ظليلة شريرة. تحول رداؤها الأسود إلى أبيض ناصع. نظرت إلى أختها الكبرى بعيون طاهرة نقية.

ظليلة: "أختاه.. سامحيني.. أنا لم أكن أعرف أن الحب بهذه القوة".

الأم: (تبتسم بدموع) "حبنا لكِ كان دائماً موجوداً.. أنتِ من اخترتِ ألا تريه".

وقفت الأختان الثلاث (الأم، وظليلة، وسيدرا) يتعانقان. انهمر مطر فضي لامع من السماء لأول مرة منذ ثمانية عشر عاماً. كبرت الأزهار، تفتحت الأشجار، رقص الناس في الشوارع.

زرقون: (يهبط على كتف سيدرا) "هل تعلمين لماذا نجوتِ اليوم؟".

سيدرا: "لماذا؟"

زرقون: "لأنكِ اخترتِ الحب في اللحظة التي كان الجميع سينتظرون منكِ الكراهية. وهذا هو أقوى سحر في الوجود."

(حفل التتويج)

في احتفال كبير، وقفت سيدرا تتوج ملكة أزوريا الشرعية. كان التاج من الكريستال اللامع، وثوبها من نور القمر.

إلى يمينها وقفت أمها، تستعيد عافيتها بعد ثمانية عشر عامًا في السجن.

إلى يسارها وقفت الملكة ظليلة بثوبها الأبيض، وقد عُيّنت وزيرة للحكمة والمشورة.

وفي الصف الأول، وقف رعد يصفق بحماس، والجدة نور تمسح دموع الفرح.

سيدرا: (تتحدث إلى الشعب) "يا أهل أزوريا... تعلمت في رحلتي أن السحر الحقيقي ليس في العصا، ولا في العروش، ولا في القوة. السحر الحقيقي في قلب يحب بلا خوف، ويسامح بلا شروط."

نظرت إلى السماء، فرأت الشمسين التوأم تشرقان معًا: الشمس الذهبية تمثل أمها، والفضية تمثل خالتها. ثم همست:

"الحب هو السحر الوحيد الذي إذا أعطيته للآخرين، يبقى معك أنت أيضًا."

بعد عام، عادت سيدرا لزيارة حماة. وقفت أمام النهر مع رعد، ينظران إلى النواعير.

رعد: "ألا تفتقدين أزوريا؟"

سيدرا: "أزوريا في قلبي. لكن هذا المكان أيضًا بيتي. أتعلم؟ أجمل ما في القصص الخيالية أنها تعلمنا كيف نعيش في العالم الحقيقي بشكل أفضل."

رعد: "كيف؟"

سيدرا: (تبتسم) "تعلمنا أن الحب أقوى من أي سحر. وأن التسامح أصعب من أي معركة. وأن العائلة... حتى عندما تخطئ... تبقى عائلة."

نظرت إلى السماء، فرأت غرابًا أزرق يحلق بعيدًا. عرفت أن زرقون يراقبها من بعيد، مطمئنًا عليها.

ثم همست سيدرا لنفسها:

"كل واحد منا لديه مملكة بداخله... المملكة التي اسمها القلب. احرصوا عليها جيدًا."

الحكمة من القصة

السحر الحقيقي ليس في القوى الخارقة، بل في الحب والتضحية والمسامحة. مهما كانت الخيانة قاسية، يبقى الحجر قادرًا على هزيمة الظلام.

الكاتبة: سدرة المنتهى قشاش

"قوةُ التغييرِ"

في ذات الأيام، خُلِقْتُ أنا وروحي وجسدي في بيتٍ جيد نوعًا ما في البنية، وممتاز في الصحبة. كنتُ من السابعةِ إلى الخامسة عشرةِ من عمري في لهوٍ كبير، كنتُ لا أدركُ الوقت ولا أيًا من هذا. كلُّ همي كان أن أقضي وقتي مع أصدقائي، وكرة السلة، وغير مهتمة في شؤون الدراسة. لحدٍ ما، كنتُ لا أدرسُ إلا بعد إصرار والدي في كل صباحٍ ومساءٍ. ويا ليتني قد سمعتُ منهُ كل حرفٍ قد قالهُ لي، لأني تجاوزتُ العشرين من عمري وأنا نادمةٌ على ما فعلت، على هدر الوقت، وعلى فرعٍ دراسيٍ ما كنتُ أتخيل نفسي أن أدخله، بعكس حلمي تمامًا أن أصبحَ طبيبة قلب، وأن أكون كما حلمتُ. ورغمَ دراستي العلمية، دخلتُ الأدب العربي، وهذا تحولٌ كبيرٌ وفرق شاسع. كنتَ أنتَ تدرس مادة الرياضيات ومنشغفٌ بها، وتحاولُ تحقيقَ الأحلام، بينما تظهر نتيجتك وتندم على كل ثانيةٍ هدرتها من وقتك وتقول "لو ولو ولو"، وهذا ما حلَّ

بيّ، رغم ذلك ساعدني والدي في هذا المجال، وفي تحقيق أكبر قدر من التطور والنجاح، لأنه يبسط كل شيء بروح رياضية. لا تصدق كتابًا ذو خمسمئة صفحة أنه انتهى بعد شرحه البسيط والمميز، وأنك حفظت الكتاب وأدركته بأدق التفاصيل في مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أيام، هل يُعقل؟ نعم، يُعقل لأنّه شخص يمتلك أكبر عدد من الثقافات العريقة بنظري، ولا تستطيع كسره؛ لأنك لو حاولت فعل ذلك تجده اقترب منك وقال: "علمني ما لديك بكل تواضع". وأنا هذا ما كنت أطمح له لكي أصبح مثله، ولكن لم أصغي إليه في الوقت المناسب.

وأنا الآن أدرس الأدب العربي في السنة الثانية، أحاول أن أحقق حلمي قدر المستطاع في هذا المجال، وأن أصبح دكتورة في الأدب العربي وأنال ما حلمت به. وها هي مسيرتي، رغم أنها مليئة ببعض الحزن، تستمر. وأرجو لكل طموح أن يقبل النصيحة من أي شخص ذي حكمة، والقدرة على تجاوز الصعاب، والأهم من ذلك عدم اليأس والمتابعة رغم الظروف القاسية، لكي نقف على بر الأمان، ونجد ثمار جهدنا في المستقبل ولا نندم على ما فاتنا.

كل الحب لوالدي ومرجعي الأول، أطال الله عمره.

كيف الحال؟ هل خطر في ذهن أحدكم كيف استطعت التعايش مع هذا الندم؟ سوف أخبركم: لقد قابلت شخصًا لا يمكنني وصفه إلا بأنه نعمة أحمد الله عليها كل يوم. هو شخص ذو ثقة عالية، وقلب لطيف، وحنون، وطويل، وأسمر، ذو شعر مجعد، ليس كثيرًا بل هو جميل جدًا ولا مثيل له بنظري. قابلته منذ أربع سنوات، وكانت بداية موفقة وسعيدة. لقد عوّضني عن خسارة حلمي وأصبح هو حلمي. دائمًا يقول لي: "أنتِ جميلة"، يدعمني في الوقت الذي لا يوجد فيه أحد، يكون سندًا لي.

وفي يوم من الأيام، رأني حزينة وقال: "ما بكِ؟ عدت مرات". فقلت له: "أنا فاشلة، لم أصغي لوالدي ولم أحقق حلمي". فنظر لي وقال: "ما به اختصاصك؟ أنت تدرسين لغتنا الأم وهذا شيء جميل جدًا، وهو فرع ممتاز وصعب، وقليل الذي يحصل عليه ويتميز به. تابعي ولا تيأسي، فأنا هنا موجود بجانبك." ويكرر لي: "أنا معكِ"، كي يشعرني بالأمان وعدم الاستسلام لأي شيء. أنا هائمة به وأشتاق إليه طوال الوقت، وحتى في نومي. أقابله في حلمي لأنه هو من زرع نفسه وروحه الجميلة بداخلي. ينقذني دائمًا في كل المواقف، ويخاف عليّ من أصغر الأمور، ويتعامل معي على أنني طفلة في عمر الشهر. يداعبني برموشه، يُضحكني في وقت انزعاجي. أجل، إنه عزيز روحي، وشغف قلبي، وأماني ومأمني وملجأي.

وقلت فيه: "يامن رزقني الله بحُبهِ، ليتك تدرك ما أعاني

أعاني شوقًا قد حطم قلبي والروح في تسامي

سميتك روحي لأني لا أعرفها حق معرفةٍ ولكنها أمامي

للهِ درك يا جميلَ قلبي أنت تحبني وأنا أعاني

لكنها معانةٌ توقظ جسدي وتشفي ألم أبداني

جعلتك توأم روحي ومهجة قلبي فهل لك من تعالي

سوف تبقى مرسومًا في نهجي وعمقي حتى يوم القيامة."

لقد كتبته لتوّي. نعم، هو أكثر من ذلك. أدعو الله دائمًا أن يحفظه، ويرزقه، ويجعله في أحسن حال، وأن يكون نصيبي وحبيبي ونظر عيني.

وهذا ما يسمى بالبدايات الجميلة، ولكن بعد مرور ثلاث سنوات من الحب، صارحتُ والدي وقلت له كل شيء عن هذا الحب. وبالفعل صدقتُ معه بكل حرف. هو حب عذري وصادق لدرجة أن لا تُلامس يدي يده بتاتًا، وأنه لا يقبل هذا إلا في الحلال. وبعدها عم الهدوء لمدة نصف ساعة تقريبًا، وأنا صامتة وأنظر إلى أبي ودموع تكاد تملأ عيني. فنظر لي وبكل حزن وقال: "لا يا ابنتي، أنهي هذه العلاقة وارجعي لصوابك. إنها عاداتنا وهذا عرفنا. لا أريد أن أحطم قلبك الصغير، لكن هذا هو الواقع. ابتعدي وحسب."

وبعد ذهابه، شعرتُ بألم في منتصف قلبي وغصة كأن روحي عالقة في حلقي. دخلتُ في صدمة كاملة حتى أجفاني عاجزة عن الحركة. بعد ذلك، انهرت من البكاء والصراخ الداخلي، وعدم فهم أي من هذه العادات الجارحة المحطمة للنفس. وغفت عيني إلى الليل، وعندما استيقظت شعرت وكأنني كنت في قبر، أضلاعي تؤلمني، وعينايّ، وقلبي، وكياني كله. عندها نظرت في المرأة على حالتي الجسدية والنفسية، فوجدت نفسي في حالة لم أراها من قبل: حالة غضب شديد أكاد أفقد أعصابي من التوتر والخوف.

وبعد أيام، ذهبت إلى الجامعة وأنا منهارة تمامًا. عند وصولي، التقيت به وكأنه كان ينتظر وصولي على أحر من الجمر، لأنني في الأيام الماضية لم أتحدث معه أبدًا. كنت خائفة من الابتعاد وترك كل شيء جميل بعد هذا الحب كله. ثم ألقيت السلام عليه وتابعت السير إلى قاعتي، وهو يُلاحقني في حالة دهشة من أمري، ولماذا فعلت هذا به؟ لماذا لم أكلمه خلال الفترة الماضية؟ كل هذه الأسئلة تظهر على ملامح وجهه عندما جلس بجانبي. بدأ المحاضرة وهو في كل لحظة ينظر إلي. بعد انتهاء المحاضرة، قال لي: "صباح الخير"، بنبرة حنونة ونظرة ساحرة، وعيونه تلمع مثل النجوم في ليل حالك. فقلت له: "صباح النور الذي في وجهك يا عزيزي." طبعًا كانت حالة مبكية، والتعب خطف جميع ملامحي.

بدأ يسألني: "ما بكِ؟ أأنتِ متعبة أم حزينة أم ماذا؟" وأنا في صمت تام لا أقول شيئًا غير النظر في عينيه الجميلتين فقط. بقينا على هذا الحال لمدة أسبوع، وبعدها قلت له ما دار بيني وبين والدي. لم يُبدِ أي رد فعل، بل حافظ على هدوئه وكأنه لم يسمع شيئًا. هنا قلقت بشأن هذا الهدوء العميق وصمت غير مبرر، ولم أجبره على التحدث أبدًا أو إعطاء رأيه بما حصل.

تعامل مع الوضع بشكل طبيعي لمدة سنة، وبعدها بدأت ألاحظ عليه التغيير في الكلام وفي اللقاءات والمعاملة، حتى عينيه توقفت عن اللمعان بذلك الشكل. وهنا بدأت المشاكل والعتاب والحزن وفقدان الشغف ورغبة بالعزلة، لأنك حينما تعتاد القلق الدائم وعدم الثقة، وشجار غير متوقف، لا يكون بحوذتك إلا الغضب وعدم الاستقرار.

أنا أغرق في حب شخص يسعدك في البداية ويتركك في النهاية. تجد نفسك عالقًا بين أشياء كبيرةٍ وأخرى تافهة. لا توجد خيارات لتتجاوز هذا الأمر، ولا سبيل سوى البقاء على حافة الهاوية، تنتظر إما حدوث معجزة تنقذك، أو زلزال قوي يهدم الحافة والحبل ويسقطك للهلاك. ولكن هذه الحياة لا تُقاوم، ولا تستسلم، ولا تنهزم، وكل من قاتلها نال الخسارة. فجلست بيني وبين نفسي، أقول: هل لي من محاربة ضدها؟ سأخسر، هل أحاول؟ لا، سأخذل. هل لي بهدنة معها؟ وجلست أتأمل مدى صعوبة الحديث

وفي اليوم التالي، عندما استيقظت، أكملت وضوئي لصلاة الفجر، وأديت ركعتين نافلة بنية هدوء الموج داخلي، وأن أرقد بسلام وراحة، وأكون في ثقة تامة في كل الأسئلة التي تواجهني. ثم جلبت كتاب فن اللامبالاة، وفي قراءتي له تكاد البسمة ترسم على شفاهي لا إراديًا لأنه اسم على مسمى بالفعل.

بعد ساعات، جلست مع والدي فقال لي: "هل الغضب هو الحل الجيد؟ هل الحياة تسير هكذا؟" فنظرت إليه ودموع في عيني، وقلت: "هل من الممكن أن يكون عمر العشرين بهذا السوء؟! بهذه القسوة؟! والانهيار النفسي من المحيط الأسود وبشاعة العالم؟!!"

فضحك وقال: "مالكِ، ماذا واجهتي من مرار الحياة؟ هل أُجبرتي على عمل قاسٍ؟ هل سهرت ليالي بسبب مرض موجع حتى الموت؟ هل عائلتك متوفاة؟ هل أنتِ مقعدة؟" بدأ يأتيني بأكبر وأعظم الأمور، وأنا أستغرب من فظاعة الكلام.

ثم قال لي: "هل تغضبين على مصروفك يا عزيزتي؟ وعلى حب المراهقين؟ وعلى فقدك للوح الشوكولاتة؟" وأنا أنظر إليه، كيف استطاع أن يمحي بعض الألم في كلمتين مقنعتين.

ثم استشهد لي بآية من القرآن الكريم: (لكي لا تيأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم) وقال لي: "هذه الآية غنية بالتفاؤل، ولا يجب علينا الحزن على كل الأمور. يجب علينا التعامل ببساطة وترّوي، وأخذ الحياة بروح رياضية."

ورّسخ قوله في هذا البيت الشعري: لا يمحلُ الحقد من تعلو به الرتبُ

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

في اليوم التالي، جلست براحة نفسية ونشاط جيد، وقلب نظيف خالٍ من الهموم نوعًا ما، وكأني ذات روح ملاك. هل الكلمة الطيبة المقنعة تريح بهذا القدر؟! نعم يا صديقي، تفعل الكثير أيضًا.كانت هذه البدايات، أما في النهاية فقد انحاز قليلاً عني بسبب فكرة العادات والتقاليد، ولن أكون له. وبعد سنتين، ها أنا أعيش في حالة تأرجح، في متاهة، في ضوضاء عقلية، في تشتت فكري. لا أستطيع حتى مساعدة نفسي في أي من الأمرين.

هل أترك حب عمري وحياتي الذي أعطاني كل ما أريد من الحب؟ الذي أكفاني في جميع حوائجي؟ لقد ملأ جميع أيامي بالسعادة، وبالحب والأمان. وكان حبًا حقيقيًا لا يعرف الخيانة والعذاب، ولكن بسبب العادات والتقاليد، كان أمر زواجنا شيئًا مستحيلًا.

دام الحب أربع سنوات، وفي لحظة تهورٍ قلت له: "جاء شخصٌ وتقدم لي. هل يعقل أن أكون لغيرك؟ هل أعيش بدونك؟ هل يمكن أن يكون هذا؟ لماذا لا تأتي أنت وتتقدم إليّ؟" قال: "نحن متفقين منذ البداية على كل هذا. حينما أنتهي من دراستي، سوف آتي وأتقدم لكِ. وإن رفضوا، سوف آتي مرة أخرى، وعلى هذه الحال حتى تكوني لي."

قلت له: "أنا لا أضمن سياق الحياة. أنا خائفة من فكرة الابتعاد وترك كل شيء جميل معك. لا يمكنني حتى التخيل أنني مع غيرك، وأخاف أن تخذلني في مطاف الأمر وأصبح لرجلٍ غيرك. لا يمكنني. حتى وإن تزوجت غيرك، لن أستطيع العيش مع هذا الشخص، لأنني حتماً سأقارنه بك. كيف كنت تعاملني، وكيف فهمتني بطريقةٍ صحيحةٍ، بأسلوبك الذي أغرقني في الحنان."

والكثير من هذا سوف تبقى المقارنة قائمة مدى الحياة. لا أستطيع تغييرك لتصبح مثلك، أفهمني، أنا فكرة غير متعلقة بك، لا أُولي إليها أي اهتمام. أنت محوري، لأنني كنت أفتقد الكثير من داخلي، وأنت أتممتَ هذا الفراغ وكأنك الجزء الناقص مني.

بعد أيام، قابلته وقال لي: "لا تقلقي، لا تحزني، أنتِ لي إن شاء الله، أنا لا أريد إلا سواكِ. لا تفكري بهذه الطريقة، مهما حدث، سوف تبقين ملكي." وقال لي: "طفلتي المدللة، رويدك على هذا الأمر، لا تستبقي

الأمور." نعم، هو صاحب مزاج عالٍ، يكون معي مثل السكر، يصبح عنيدًا وغير متحمل لأي تساؤل. بعد الصلح يتحسن في كلامه، ثم يعود إلى الزعل، وأنا بعد الآن لا أستطيع تحمل هذا الشيء.

هل يتركني وحدي في زعلي لعدة أيام ثم يعود معتذرًا عما فعل؟ أسأل روحي: هل تقبلين هذا التقلب؟ وقلبي: هل مرتاح في هذا؟ وعقلي: هل يستوعب ذلك؟ يوافقون الرأي ويقولون: أجل، ثم تأتيني صرخة من أعماقي: "أنا لا أوافق، أنا هلكت، أكاد أن أعدم منه. أبعديه عني، لا أتحمله. هو لا يحبني، لا يهتم لي، لا يفهمني، همه نفسه. إنه أناني."

أندم على ما فعلتِ بي. لقد دمرتني وكسرتني، لقد يتمني بهذا الحب. ألا لي من رحمة؟ ألا لي من راحة؟ أنا نفسك، ألا لي من جرعة تغيير كي تحييني؟ بعدها تأتيني صدمة، أتذكر كل شيء مر بي، كل قبيح وكل إهانة. وكأنني أصبحت تمثالًا ساكنًا لا يتحرك، ولحظات أشعر بالموت المؤقت، ثم أغرق بالدموع وأتحسر على كل ما فاتني. وفي كل مرة أغمض فيها عينيَّ، أتذكر ما قال لي أبي لكي أنجو من التحطيم الداخلي.

وفي آخر المطاف، افترقنا حين التقينا، لإتباعنا التقليد الأعمى لأجدادنا، وحرصًا على صون العُرف. وهكذا تسير الحياة، وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن. وقولي الأخير أن تفعلوا ما تُؤمَرون به من الوالدين حصريًا دون أي تردد، لأنهم ذوي خبرة في هذه الحياة المتعبة. ولو قرروا قرارًا قاسيًا يكسر القلب، فاعلموا أنهم يعلمون جيدًا أن هذا الكسر سوف يُجبر، وسوف تصبحون أكثر قوة وصبرًا وصدقًا وإيمانًا.

وبالمناسبة، أنا الآن أعمل مدرسة، وأحفظ القرآن الكريم، وأُجيد كتابة الشعر، ولدي الكثير من الشهادات في مختلف الأعمال. والعديد من هذا جاء فقط لأنني أصغي إلى والديَّ الصالحين. وهذا مؤكد أنه توفيقٌ من ربِّ العالمين عز وجل.

وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو أن تأخذوا العبرة من هذا الكلام. شكراً.

الكاتبة: فاطمة حمدان

"وادي الحب"

يقبع في بحر الظّلمات ويغوص متثاقلاً مناجياً للألم، من جهة يطعنه تأنيب الضّمير ليوقظه من غفوة الذّنب، ومن الآخر يُحتقن بمهدئ ليتستّر على فعلته الشّنيعة التي باتت مكشوفة لا محالة.

في زاوية من البيت المنزوي عن البشر، حيث ابتعد كلّ البعد عنهم مرافقاً البحر؛ ليختلي بنفسه ويفسح المجال لإبداعه، بسط جناحي الرّاحة لنفسه وغاص في أعماق الإبداع.

استفاق من نومه متثاقلاً والصّداع يأكل من رأسه ما يستطيع، وضع رأسه بين كفّيه وبدأ بالصّراخ علّه يُخرج تلك الجريمة القبيحة من رأسه، ولكنّها... أبت أن تفارقه وتتركه في حال سبيله. تناول كوباً من الماء الموضوع جانباً، محاولاً تخفيف جفاف حلقه من الصّراخ، ولكن... وكأن الكوب كان يُناجيه ويعاتبه، وفجأة رماه جانباً لأبعد ما يكون وبدأ كالعادة بتحطيم كلّ ما حوله ويتمتم قائلاً: "اخرجي من رأسي أيّتها اللّعينة، أنتِ لعنة حلّت على حياتي".

ولا يزال يبكي ويصرخ، بعدها هدأ فجأة وجلس على الأرض واضعاً ركبتيه عند صدره، محاوطاً قدميه بيديه والدّموع تتلألأ في عينيه وتنساب على وجنتيه.

هو كان شخصاً طيّباً لا يستحقّ ما أصابه، أراد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من هذا العالم الموحش، صوت طرق خفيف على الباب تليه كلمات رقيقة من صوت دافئ يملأه الحب؛ لتدخل فتاة في العشرين من عمرها، تملأها ملامح الطّفولة والبراءة.

ما هذا؟ ما كل هذا الصّراخ؟! صمتت فجأة وحوّلت ناظريها إلى الغرفة حولها ثمّ أردفت: "ما كلّ هذه الأشياء المكسورة؟ من كسرها؟"

... أنا آسف، كنت غاضباً قليلاً وأثرت هذه الفوضى دون قصد.

ولكن يا مارك عليك ضبط أعصابك! أنت منذ شهر على هذه الحالة، تكسر كلّ ما رأته عينك.

مارك متمتماً: لتخرج تلك الأمور من رأسي أولاً وبعدها سأهدأ.

أي أمور؟

مارك: لا شيء، سهوتُ قليلاً فقلتُ هذا، حسناً سأنظّف ما أثرته من فوضى.

نظرت إليه بيأس ثمّ أردفت: "اسمع، أنا لا أخبرك كي تنظّف فقط، أريد أن أعرف ما الذي يصيبك فجأة لهذه الدرجة؟ والمعروف أنك شخص هادئ بارد الطّباع خفيف الظل".

نظر إليها بعينين دامعتين وأومأ رأسه بيأس. اقتربت وربّتت على كتفه وجلست إلى جانبه.

مارك ممازحاً: ما الأمر يا آيلا؟ أرى أن حنانك قد فاض! وابتسم مرغماً ممثّلاً.

آيلا: أنا المحقّة لأنني جئت أخفف ألمك، ولكنك لا تستحق. ليزفر بألم: "أنا آسف حقّاً، ولكنني متعب حقّاً ولا أعي ما أقول".

نهض من الأرض وبدأ بمساعدتها في ترتيب ما فعل.

في المساء، وعلى مكتبه الخاص، تناول قلمه بخفّة ليبدأ بالرّسم ولم يُخيّل إليه إلا وقد رسمها. في ذلك الوقت، أُعيد المشهد أمام عينيه. كادت اللّوحة أن تنطق، ليتمتم قائلاً: "هذا أمر مؤلم عليّ أن أجد حلّاً في أقصر وقت".

قبل شهر...

في وادٍ عميق تملأه أصوات الحيوانات الشّرسة، فتحت عينيها ببطء لتبعد الدّم عن عينيها الزّرقاوين، وحاولت النهوض، ولكنها هبطت إلى الأرض وأغمي عليها من جديد.

بعد ساعة، وفي عيادة صغيرة، طُرق الباب.

مارك: هل يمكنني الدّخول؟

ألبرت: تفضّل!

مارك: صباح الخير ألبرت.

ألبرت: أهلاً وسهلاً يا مارك، أنرت.

مارك: شكراً لك.

ألبرت: تفضّل بالدّخول.

أومأ له ببطء شديد.

ألبرت: ما بك وقد كسا الحزن معالم وجهك؟

مارك: إنني متعب يا صديقي، صداع رأسي لا يتوقّف، وألم قلبي لا يهدأ.

ألبرت: عليك السّلامة، ولكن لما؟

وبدأت عيون مارك تذرف الدّموع ويبكي كالأطفال ثمّ أردف: "صدقني لست المذنب، أرجوك ساعدني لأتخلّص من ورطتي".

ألبرت: حسناً، إهدأ وقل لي ما الذي جرى.

مارك: لا أعرف، في غابات الخيزران تحت أشجار الزّيتون، على الأرض الزّرقاء التي احتوت السّماء الزّرقاء.

ألبرت: ما هذا؟ أهذه أحجية أو ماذا؟ ما الذي تهذي به؟ سماء خضراء وأرض زرقاء؟

مارك: هذه حالي أشكوها إليك، كلّ ما بداخلي مُبعثر، لا إجابة عن لا سؤال من بين ألف سؤال.

ألبرت: هدأ من روعك قليلاً وأخبرني ما الذي جرى.

مارك: حسناً، بدأ كلّ شيء في يوم زفافها.

سابقاً وقبل شهر:

سيلا: مارك، أرجوك تعال إلى حفل زفافي، أنت تعلم كم سأكون مسرورة إذا جئت.

مارك: ليتني أستطيع ولكنّك تعلمين كم أكره التّجمّعات.

سيلا: لطفاً تعال، صدّقني لن أكلّمك بعد الآن إذا لم تأتِ. ماذا قلت؟

مارك: حسناً استسلمت، سآتي.

سيلا: رائع إذاً سأكون بانتظارك.

بعدها أُرغمت على الذّهاب مجبرًا، لا خيار أمامي سوى هذا. وبمجرّد وصولي إلى القاعة حيث أُقيم العرس، ذرفتْ الدّموع من عيني عندما رأيتها إلى جانبه مسرورة. لقد سرقها منّي وجعلني شخصاً منعزلاً عن العالم ومخذولاً. بعد أن خطبها، احتقرته بشدّة؛ ولذا قررتُ الانتقام منه لأنّه سرق روحي.

ألبرت: مهلاً، لا تقل أنّك قتلته! فقد نشرت الصحف حول اختفاء العروسين فور خروجهما من القاعة في منتصف الفرح.

مارك: صدّقني لم أقتله.

ألبرت: وصوت الرّصاص الذي سُمع؟!

مارك: أقسم لك لم أقتله.

ألبرت في قرارة نفسه: "شكله يوحي بالصّدق فليس من طباعه الكذب".

ثمّ أردف: لماذا لم تقل لها الحقيقة؟ لماذا لم تعترف بحبك لها؟ هي كانت تعشقك حدّ الجنون وأنت تعرف هذا.

مارك: صدّقني، حبّها لي ما هو إلا شفقة. وابتسم مرغماً: كيف لابنة الحاكم أن تتزوج بفتى فقير مثلي؟

ألبرت: ولكنك ما عدتَ كذلك، لا تنسَ وضعك الآن.

مارك: ولكن بعد فوات الأوان.

ألبرت: حسناً، أكمل، ما الذي حدث بعدها؟

مارك: سيطر على روحي شعور الغضب وأغمض الكره عينيّ في وسط الهتافات، وفرك الجميع. قررتُ الانتقام منه وطعنه.

ألبرت: لا تقل أنّك فعلت، ثم أين الجثة؟

مارك: ألبرت، اهدأ! قلتُ لك لم أقتله، إن كنت مصراً على عدم تصديقي فسأرحل.

ألبرت: آسف... صدّقني لا أعي ما أقول، أنت تعلم كم كانت له مكانة في قلبي وغيابه المفاجئ سبب فجوة في قلبي.

مارك: حسناً، بعد ذلك تردّدت. إذا ما فعلتُ له شيئاً أمام الجميع، ولا سيما أمام عيني سيلا، فستكرهني للأبد، وبذلك أكون قد كسرتُ آخر أمل لي؛ لذا قررتُ أن أسلك طريقاً غير هذا. دمعت عينيه التي لم تتوقفا عن البكاء، وأردف: اتصلتُ به وأخبرته أنّ أخته محتجزة عندي، وعليه أن يأتي إلى واد الغزلان إذا ما أراد تحريرها. بعدها... أتى إلى هناك حاملاً معه حقيبة من النقود ظنّاً منه أنّني احتجزتها لطلب المال. وما إن وصل حتى وجدني وحدي، أو بالأحرى وجدني مع مسدسي الذي وجهته نحوه مباشرة. عندها بدأت قدميه ترتعشان والخوف يتملّك أضلعه. رميتُ الحقيبة إلى الوادي وبدأتُ أقترب منه، وفجأة... وعاود البكاء من جديد.

ألبرت: ماذا؟ أرميته من الوادي؟ ما الذي حدث؟

ليُغمى علي مارك فجأة، وهو يتمتم: "كلّا، لم أرمه، أنا وهو وهي ونحن"، ويروي أبياتاً من الشّعر غير المفهومة.

قام ألبرت بالإسعافات الأولية له وانتظره حتى يستفيق.

في عالمٍ غير عالمنا هذا، وتحديداً في عالم الأحلام، التقت الأرواح وبدأت بالاحتضان، والعيون تروي قصصاً من الغشق، والأيادي تأبى أن تترك بعضها. كان يقفُ بعيداً عن الجميع ويبحث عن أنيسه في كلّ مكان، ولكن لا أثر لأحد، وعندها أجزم بأن مكروهاً قد أصابها.

ليستفيق من غيبوبة الوعي ويرى صديقه بالقرب منه ملهوفاً عليه.

ألبرت: مارك، أأنت بخير؟

مارك: أجل، أشعر بالصّداع قليلاً.

ألبرت: أكمل، ما الذي حدث؟

مارك: اقتربتُ منه والخوف يتملّكني، والحقد والكره يملأ فؤادي. وقفتُ مقابلاً له، لا تفصل بيننا إلا مسافة قليلة. وضعتُ يدي على الزّناد وأطلقت الرّصاصة بفرح تلاشى بعد أن رأيت دمها يتناثر في الأرجاء.

ألبرت: كيف؟ دمَ من؟!

مارك: دم سيلا، لاحظت غيابه، فقامت باللحاق به، وقفت أمامه لتدافع عنه. أصابت الرّصاصة زندها فتلوّن فستان زفافها الأبيض باللّون الأحمر، وبدأ الدم ينزف. هُرعتُ تندماً عندما رأيتُ دمها يتناثر في الأرجاء، وركضت لمساعدتها، ولكن... عندما رآني أمسك بيدها، جنّ جنونه وقام بدفعي إلى الوادي.

ألبرت: أكمل، ما الذي حدث بعدها؟!

مارك: عندما كنتُ على الهاوية، بدأت أفقد توازني. عندها تمسّكت به ووقف كلانا على الحافة. وكان بإمكانها مساعدة أحدنا فقط، وطلبنا منها القرار. وهنا بدأ يغرّد لها عن عشقه لها وهيامه بها، وأنّ ثروتها وملك أبيها لا يعنيه، وأنّه سيجعل منها أسعد امرأة في العالم، بينما اكتفيت أنا بالنّظر إلى عينيها. بادلتني النّظر بعينين دامعتين وطلبت منّي توضيح كلّ شيء. وهنا استسلمت وأخبرتها عن مدى عشقي لها، ولكنّني تردّدت خشية الإحباط. وعندها بكت واعترفت لي أنّها كانت تحبّني، وكانت تنتظر منّي أن أبادرها بالاعتراف. ولكن عندما يأست منّي، قررت الارتباط به فقط لتجرحني كما فعلت بها. ولكن فاجأتها عندما أخبرتها أنّه منذ ارتباطها به اعتزلت العالم بحجّة الرّسم، وقطنتُ في ذلك الجبل المخيف. واكتفينا بالابتسام لبعضنا. وهنا قطع كلّ شيء علينا وبدأ يؤلّف كذباً عنّي لكي تساعده. بعدها كادت يدي أن تهوي وكدت أن أسقط، وحاله لا يختلف عنّي. نظرت إليه بيأس وأردفت: "اسمع، أنا أعرف أنّك لم تحبّني يوماً. كلّ همّك هو أن تتزوّج من فتاة ذات حسب ونسب، لا تخجل من ذكر اسمها أمام أصدقائك، أليس كذلك؟"

عندها تدخّلت وقلت لها: إذا لم تكوني معجبة به ولم تحبيه قط، إذاً لماذا وافقتِ على الزّواج؟

سيلا: لأنني كنتُ مجبرة. ظنّ والدي أنّني وأخيراً اقتنعت بفكرة الزّواج، وهذا ما جعل الفرح لا يغادر قلبه. وأخبره جميع من في المملكة حول اقتراب زفافي، ولذا لم أرد أن أحرجه وأضعه في موقف محرج، ولذا وافقت.

عندها تجاهلته ومدّت يدها السّليمة نحوي لتساعدني. وبصعوبة بالغة استطاعت، وخرجت بسلام. ولكن بسبب قوّة عضله تمكّن من الصّمود لفترة أطول، لذا قرّرت مساعدته ومددت يدي نحوه لأساعده. وما إن خرج من هناك حتى بدأت المعركة بيننا. هو يبادر الضّرب والصّراخ، وأنا لم أسكت له متّهماً إيّاه بسرقة حبيبتي. وهنا تدخّلت وحاولت تهدئة الوضع بيننا، وعندها... ضربها أحدنا دون قصد، فهوت إلى الوادي وسقطت.

ألبرت: ماذا؟ من الذي دفعها؟ وكيف؟ وما الذي حدث بعدها؟

مارك: لا أدري، إمّا ذعرت بالدّار إثر فقدها لكثير من دمائها، أو دفعتها أنا دون قصد، أو هو، أو... ثمّ صمت برهة وأردف: "أو حاولت التّميثل لتوقفنا، ولكنّها لم تتوازن في آخر لحظة."

ألبرت: إنّ هذا لأمر محزن. ما الذي حدث بعدها؟

مارك: هرب بعيداً بعد ذلك هلعاً ممّا رأى، وأنا حاولت الهبوط إلى الوادي. بقيت أربع ساعات وأنا أقفز من صخرة إلى أخرى، وأتمسّك بأغصان شجرة الزّيتون التي لا يعرف أحد كيف نمت. وما إن وصلت إلى القاع تملّكتني فرحة عارمة، فلحسن الحظ لم يكن بذلك العمق. هبطتُ إلى الأرض وبدأت أبحث عنها. لم تكن هناك منعطفات كثيرة، بدأت أنعطف وأبحث عنها في كلّ مكان لعلّها تحركت من مكانها لتبحث عن منقذ، ولكن... لم أجد إلا بقعة من الدماء متناثرة في أرجاء الوادي. صرختُ كثيراً باسمها وناديتها، ولكن لا أثر لها.

ألبرت: يا إلهي! أين عساها تكون؟! ألم تفكر؟!

مارك: صدّقني منذ تلك الحادثة وأنا أفكر، إنّ الصّداع يأبى تركي وشأني.

ألبرت: اسمع، أنا أعرف صيّاداً يتردّد إلى هناك كثيراً، اذهب عنده واسأله علّه رآها أو رأى من أخذها؛ لأن اختفاءها غير منطقي.

مارك: هذا رأيك!؟

ألبرت: أجل، سأعطيك عنوان منزله، اذهب إلى هناك. أتعرف، لقد تشوشت كثيراً، فبعد العرس واختفاء العروسين بدأت الصحافة تفعل ما لا تفعله عادة في التحقيق والبحث، والبعض رجّح أنّ العريس اختطف العروس لأجل ملك أبيها، والبعض الآخر ظنّ أنّهما ذهبا في رحلة طويلة وما زال التحقيق مستمراً.

مارك: اسمع، القصة ليست بذلك التعقيد. قرّرت الانتقام منه، ولكنّها أصيبت بدلاً عنه ثمّ هوت إلى الوادي. المثير للشك هو فقط قضية اختفاءها.

في البيت الجبلي القريب من الوادي:

زين: كيف لم تجدها؟ ذلك غير معقول! في الصباح كانت هنا.

آسر: صدّقني لا أعلم، طلبت مني إحضار كأس من الماء لها، وعندما عدت لم أجدها.

زين: اغرب عن وجهي، ألا أستطيع الاعتماد عليك في شيء؟

آسر: ولمَ مهتمّ بها لهذه الدرجة؟

زين بتوتر: فقط لأنّها كانت مصابة.

آسر: صدقني القول، ألا تخطّط لإيقاعها في شباكك؟

زين: أنا ذاهب، وفكّر كما تريد.

وبعد لحظات، رنّ جرس الباب ليفتح آسر ويتفاجأ بـ ألبرت، فهو لم يره منذ خمس سنين مضت.

آسر: أنرت يا صاحبنا! ما الذي جعلك تفكر فينا بعد كلّ ذلك الوقت؟

ألبرت: أهكذا تستقبل ضيوفك؟

آسر: تفضّل، آسف، لقد أثارني الفضول فقط.

ألبرت: حسناً، لن أطيل في الحديث. لا أعلم كيف أبدأ، ولكنّ مارك صديقنا في مشكلة عسيرة.

آسر: حسناً، وما هي؟

ألبرت: بالمختصر، صديقنا أغرم بفتاة جميلة، ولكن كانت من إحدى العائلات المالكة، ولذا فقد يئس من الاعتراف لها. وبعد مدّة، خطبها ابن صديق والدها، وفي حفلة زفافها لم يتمالك مارك نفسه وحاول إيذاء العريس. وهنا تدخلت لتدافع عن خطيبها، بل لتفهم من مارك ما المشكلة، ولكنّها لم تلحق. وبعد عراك بين الثلاثة، وقعت في الوادي القريب من هنا. ثمّ...

آسر: أكمل، ثمّ ماذا؟

آلبرت: تخيّل، أنّها اختفت.

آسر: كيف اختفت؟ وأين؟

آلبرت: لا أعلم، فبعد أن هبط مارك إلى الوادي لم يجد لها أثراً.

آسر: في أيّ يوم اختفت؟

آلبرت: لماذا؟ هل تعلم شيئاً حول ذلك؟ اسمع، أنا قصدتك تحديداً لأنك تتردّد إلى ذلك الوادي كثيراً. بصراحة، أنا أخبرت مارك ليزورك ويسألك، ولكنك تعلم الشجار الذي بينه وبين زين، لذا توقّعت أنّه لن يأتي.

آسر: سأسألك سؤالاً، لمَ أنت مهتمّ بها؟ لو لم تكن كذلك لما جئت إلى هنا بنفسك، بل وانتظرت مارك حتى يغلبه كبرياؤه ويأتي.

آلبرت: لن أكذب عليك، أنا معجب كبير بسيلا، وعندما ذهبتُ لأعترف لها، وقبل ذلك حدّثتني عن مدى عشقها لمارك وطلبت مني أن ألمّح له بذلك علّه يعترف لها. ولذا، كما يُقال، وضعتُ الملح على الجرح وصمت. ومنذ ذلك اليوم وأنا أكبت حزني داخل قلبي المفعم بالأسى، ولكن جنّ جنوني عندما علمتُ أنّها ستتزوج من أقرب صديق لي بالرّغم من معرفته بحبّي لها وبحبّها لمارك.

آسر: تعقّدت الأمور كثيراً.

آلبرت: توقّف عن المراوغة وأخبرني ما الذي حدث حتى سألتني عن الوقت؟

آسر: حسناً، قبل شهر بالتّحديد، أخذتُ بندقيتي وذهبتُ للصّيد في الوادي، ورافقني زين. ولكن عندما هبطنا، رأينا فتاة آية في الجمال محاطة بالدماء. هرعنا إلى إنقاذها ولكن... تفاجأنا أنّ الدماء لم تكن إثر سقوطها بل بسبب رصاصة كانت قد أصيبت بها سابقاً. وبعدها جئنا بها إلى المنزل للعلاج.

آلبرت: حقّاً؟ أين هي؟ ما الذي حدث بعدها؟ ما مدى إصابتها؟

آسر: رويدك يا صديقي، سأخبرك بكلّ شيء. أمّا إصاباتها فهي كسر في اليد وكسر في قدمها، وأيضاً عندما ارتطم رأسها بالأرض أصيبت بما يشبه النزيف، وبقيت في غيبوبة لمدّة أسبوعين. لكنّنا لم نسعفها إلى المستشفى لأنّنا لا نعلم عنها شيئاً ولا ما الذي أصابها أو الذي دفعها. ولكن... بصراحة، أنا أشك في أن زين قد أغرم بها، لأنّه يعاملها بطريقة ودودة كمن يحنو على ابنته الصغيرة. وذات ليلة رأيته يبكي إلى جانبها، وما أثار فضولي هو احتوائه على صورة قديمة لها.

آلبرت: هذا ما كان ينقصنا، زاد الأمر تعقّداً. حسناً، هل لك أن تريني إياها قبل أن يأتي زين؟ أنت تعلم، لا أريد الشّجار معه.

آسر بعدم مبالاة: ليست هنا، لقد غادرت لسبب لا نعرفه.

آلبرت: يا إلهي! إلى أين عساها تكون قد ذهبت؟ ولمَ؟

آسر: اسمع، لم نتأكد بعد إن كانت هي أو لا. أنت لم تقل أنّها مصابة.

آلبرت: تلك أحداث طويلة، وأنت قلت لي أنّك تريد المختصر. على كل حال، هل لي بطلب صغير واعتبره طلب صلح؟ ابتسم

آسر: اسمع، أنا لا أريد الصّلح لأنّني... لم أخاصمك من الأساس. المشكلة هي بينك وبين مارك وزين. أمّا أنا، فوقفت إلى جانب زين لأنّه الأقرب إلي، ولأن شراكتي معه تقتضي ذلك. إذاً، ما هو طلبك؟!

آلبرت: شكراً لك، أريد أن تخبرني في حال عادت أو عثرتم عليها أو أيّ شيء يخصّها.

آسر: لك هذا عزيزي.

وداعاً.

وبعد ساعة...

زين: لقد عدت.

آسر: ما الذي حدث؟ ألم تعثر عليها؟

زين: لا أثر لها، ولكنني أجزم أنّها ما زالت قريبة، فألم قدمها لم يتوقف بالكامل، ولذا ستكون بطيئة في المشي.

آسر ممازحاً: في حال عادت، هل ستتزوجها فوراً أو ستقيم فترة خطوبة؟

زين بغضب: اسمع، لا أريد أن أسمع هذا الحديث ثانية! أتفهم!؟

آسر: حسناً، كنتُ أمزح فحسب. ولكن هناك سؤال يراودني، أنا أعلم أنّك لا تتحدّث مع مارك أو آلبرت بسبب شجار حدث بينكم، ولكن لا أعلم تحديداً سبب الشجار، فما هو؟

زين: قصة قديمة، أي قبل خمس سنوات، ولكن... لمَ تسأل؟ ما الذي خطر في بالك؟ أو أنّ أحدهم زارنا اليوم؟

آسر: لا، فقط خطر في بالي. ثمّ توقّف عن معاملتي كالتّابع، ولا تصرخ في وجهي كالطفل وعلى مزاجك. حتى لو كانت شراكتي أقل منك، لا تنسَ أنّني شريكك رغم هذا ولست تابعك.

زين: أنا آسف حقاً، أنت تعلم أنني لا أعاملك هكذا في العادة ولكنني متعب.

آسر: هذه آثار العشق. فمنذ أن أتت تلك الفتاة، وأنت تعاني من تغير مزاجك المفاجئ.

وهنا تباينت آثار الغضب على وجه زين، والتزم آسر الصّمت، وأردف زين: "توقف عن قول عشق، لو تعلم من تكون تلك الفتاة لندمت على قولك. ثم ألم تلحظ أنني أعرفها من قبل؟ أو كيف عرفت اسمها رغم عدم قولها لذلك؟"

في هذه الأثناء، كان ألبرت قد أخذ وجهته إلى منزل مارك ليبلغه الأخبار السّارة التي تلقاها حديثاً. وبمجرّد اقترابه، لمح فتاة جميلة تقف أعلى التل، وشعرها الأشقر ينساب على ظهرها كأشعة الشمس اللّاهبة التي تعبث فيها الرياح فتأخذها يُمنة ويُسرة. وفي عينيها بريق لا يخلو من الأمل. وعلى غفلة، لمحته وهو ينظر إليها فابتسمت في وجهه ولوّحت له بيدها. وهذا ما شجّعه ليقترب منها. وهنا التقت العيون، وتشبّثت رائحة عطرها الأنيق بذلك المسكين الذي وقع في هيامها دون قصد.

ألبرت: مرحباً، أنا ألبرت زميل مارك.

ميرا: أهلاً وسهلاً، وأنا ميرا أخت مارك.

ألبرت: تشرّفت، كيف لم أركِ من قبل؟

ميرا: أنت محق، فأنا كأخي أحبّ العزلة والانطواء قليلاً.

ألبرت ببلاهة: أنت جميلة للغاية، هل أخبرك أحد قبلي بذلك؟

وهنا ابتسمت له ميرا وشكرته بود.

آلبرت: هل مارك هنا؟

ميرا: أجل، ولكنّه في وضع يُرثى له.

آلبرت: أعلم، ولكن هل أخبرك بالقصّة؟

ميرا: أجل، ولكن ليته لم يخبرني. أشعر بالأسى تجاه سيلا بالرغم من معرفتي السّطحية لها، إلا أنّها لا تستحق ما أصابها. إذاً، بلا طول السّيرة، تفضّل.

آلبرت: شكراً.

في الداخل:

آلبرت: وهذا كلّ ما حدث.

مارك: حقّاً؟ وأين هي الآن؟ يجب أن أذهب لأراها.

آلبرت: قلت لك أنّها ذهبت. يجب أن تذهب وتبحث عنها دون علمهم. فقد طلبتُ من آسر أن لا يخبر زين.

مارك: لا علاقة لأحد، هي حبيبتي ويجب أن أنقذها.

أمّا في البيت الجبلي، فبدأ الشّجار بين زين وآسر ومارك حين علم زين بقدوم آلبرت إلى المنزل دون علمه، وبسبب قدوم مارك. وهنا فُتحت قصة الماضي الأليم حيث كانوا يشكّلون الرباعي المرح: زين، آسر، مارك، وآلبرت.

ولكن بسبب فتاة أحبّت آسر، ولكن منعه زملاؤه من مرافقتها لأنّها فتاة سيئة، وهنا قرّرت الانتقام. فقامت بعمل سحر يزرع الحقد والكره بينهم، وجعل السّواد شعار صداقتهم، حتى ذلك اليوم الذي تشاجروا فيه لسبب تافه، وهنا افترقوا للأبد.

زين: ألم أقل لك يا مارك أن لا تأتي إلى منزلي؟

مارك: اسمع، لم آتِ من أجلك ولا من أجل رؤيتك، بل جئتك من أجل سيلا.

زين: ما علاقتك بسيلا؟ ثمّ من أين علمت بقصّتها؟

مارك: لا علاقة لك، أنا من دفعتها دون قصد، وأنا من سينقذها.

زين: أيّها السّادج، كيف لا علاقة لي بأختي؟

وهنا ساد الصّمت وتذكّر آسر الكلام الذي تمتم به زين.

آسر: مهلاً مهلاً! كيف سيلا هي أختك؟ ألا تعلم بأنّ سيلا هي ابنة الحاكم؟ هل جننت؟!

زين وبعيون دامعة: أجل، أختي، أختي من لحمي ودمي ومن أمّي وأبي، ولكنّ الظروف حكمت دون استلامي الحكم وإبعادي عن أهلي.

آسر: ولكن كيف؟ أنا أعرفك منذ زمن طويل ولم أدرِ أيّ شيء.

ملأ الصمت المكان وساد الهدوء، وآلبرت يراقب بصمت.

آسر: استحلفك بالله أن تخبرنا.

زين: حسناً، أنا ابن الحاكم الوحيد وأكبر من سيلا بسنتين، ولي ابن عم يكبرني بثلاث سنوات، ولكنّه كان يكرهني وبشدّة. ولذا فذهب إلى والدي وأخبره بأنّني قتلت ابن الخادمة بالرّغم من صغر سنّي، ولكنّه أراد أن يتخلّص مني قبل أن أكبر وأتعلم الدّفاع عن نفسي. وهنا تفاقمت المشكلة وصدّق كلّ من في المملكة أنّي قاتل، وعزم أبي على قتلي. وهنا قرّرت الهرب، ولكي أؤمن مستقبلي أخذت من مصاغ أمّي وهربت. ولذا، عندما رأيت سيلا، عرفتها ولكنّها لم تعرفني لأنّها كانت صغيرة.

مارك: أنا آسف حقّاً، لم أكن أعلم.

زين موجّهاً كلامه لمارك: سأجعلك تدفع ثمن فعلتك هذه غالياً.

مارك: ولكن لست أنا من قصدتُ، لم يكن الأمر بيدي.

آسر: اهدأ يا زين، سأخبرك بكلّ شيء، لقد أخبرني آلبرت بالقصة.

زين: لا علاقة لك، وأيضاً ستندم لأنك أدخلته بيتي دون علمي.

آسر: لا تعاملني كالتّابع، كم مرّة عليّ قول هذا؟

زين: توقّف عن الكذب، فأنت تابعي لا تنسى. كذبتَ الكذبة وصدّقتها. لا تنسى أنّك مجرّد موظف في شركتي لا شريك.

آلبرت: مهلاً، ما القصة؟ الجميع يعلم أنّكما شريكان في الشركة.

زين: هذا غير صحيح. أخبرهم يا آسر بالحقيقة المرّة. ولو لا صداقتي لك لما أبقيت الحقيقة مخفية.

آسر: لا تنسى أنّك لم تقل هذا فقط من أجلي، بل من أجل أن تتستّر على جريمتك الشنيعة.

آلبرت ومارك معاً: جريمة ماذا؟

آسر: جريمة السرقة. زميلكما هذا الذي يلقبونه "أصغر وأضخم مدير أعمال" هو لص. أمسكته قبل أن يفتح الشركة بشهر، وكان بحوزته الكثير من الأموال والذهب والفضة والألماس.

زين: بعد أن كشفتُ الحقيقة لكم، لا بدّ أنكم سمعتموني أقول إنّ هذا ذهب أمي لأبني مستقبلي به.

آسر: وهل تعلم والدتك أمر هروبك؟

زين: أجل، وهي من تُرسل لي صور سيلا، وإلّا كيف عرفتها بعد كلّ هذه السنين؟

آلبرت: اهدؤوا يا شباب، إلى الآن لم نصل إلى ما نريد، بل تاهنا أكثر. لا تنسوا أننا لم نصل إلى الهدف الذي يجمعنا، وهو سيلا.

آسر: أنا لا علاقة لي بهذا، والآن سأذهب وأخبر الملك بكلّ شيء. فحتّى لو اعترف ببراءتك، فلن ينسى أنّ ولده لص وزوجته خائنة.

زين: توقّف عن الجنون. الجميع يعلم بأنّني ميت بعدما أرسل ابن عمّي مرسالاً إلى المملكة يخبرهم بمقتلي.

مارك: اهدأ يا آسر، أرجوك. من المعروف أنّك واعٍ أكثر من هذا. لا تنسى صداقتكما.

آسر...

مارك: لذا تسكن في بيت بعيد عن الجميع ولا تظهر للصحافة.

في هذه الأثناء:

...

اركضي بسرعة أيّتها الغبية، لا بدّ أنهم يلحقون بنا.

سيلا: أرجوك يا آرثر توقّف، لا تنسى أنني مصابة وقدمي ما زالت تؤلمني.

وفجأة، صوت تلك الصّفعة يخيّم على المكان وآثار أصابعه لا تزال على الوجه البريء والحزين.

آرثر: والآن اصمتي وامشي بهدوء. سأجعلك تندمين لأنّك اخترتيه.

سيلا: ولكنّه يحبّني أكثر منك.

آرثر: لو كان كذلك، لاعترف لك بحبّه. ولكنّه يحبّ ثروتك فقط، أيّتها الغبية. لو تعلمين الحوار الذي دار بيننا، لعلمتِ بكلّ شيء. ابتسم بخبث ظنّاً منها أنها صدّقته.

سيلا: اسمع، سمعت بل ورأيت كلّ شيء. أنا لم أقف أمامك لأحميك، بل لأفهم منه سبب الصراع، ولكنّه كان أسرع من أن يراني. والآن، ماذا تريد مني؟

آرثر: واضح. أولاً، سأجعلك تندمين لأنّك اخترتيه، ومن ثمّ سأجعله يندم لأنّه سرقك منّي وخرب ليلة زفافي، وسأجعل والدك يندم. وأيضاً أخيك سيندم لأنّه لفت كلّ الأنظار إلى شركته.

ميرا: أخي!! ولكن ليس لي أخ، أخي مات منذ زمن طويل.

آرثر وبضحكة خبيثة ملأ صوتها أرجاء المكان: أيّتها المسكينة، هل صدّقتِ أنّ أخيك مات؟ هو ما يزال على قيد الحياة، إضافةً إلى أنّه أكبر مدير شركات وأصغر وأضخم رجل أعمال.

سيلا: لا تقل السّد زين ** والسّيد آسر**... ولكن كيف؟

آرثر: أجل، زين هو نفسه ليوناردو أخيك القاتل.

سيلا: مستحيل! من أين جئت بذلك الكلام؟

آرثر: أنسيت أنّني زميل آدم ابن عمك؟ وهو من أخبرني بهروبه، وبما أنّني أكره زين لأنّه سرق الشهرة إلى نفسه، قمت بالبحث العميق عن ماضيه وعرفت الحقيقة.

سيلا: لا تقل هذا! أيّها الحقير، جعلتني أهرب من أحضان أخي إلى مخالبك الشّرسة.

آرثر: وصلنا، ادخلي وبصمت، لا أريد سماع صوتك.

في مكان آخر:

مارك: ألم تجد لها أي أثر؟

آلبرت: لا، وأنت؟

مارك: لا، لنرى زين، ما الذي حدث معه؟

زين: يا آنسة، لديّ سؤال.

ـــــ تفضّلي.

زين: هل رأيتِ فتاة بشعر أسود وطويل، هيفاء الخصر، تتميّز ببشرة بيضاء؟

ـــــ أجل، وكانت برفقة رجل طويل القامة ونحيل.

زين: حقّاً! أتعرفين أين هما؟

ـــــ لست متأكّدة، ولكنّهم توجّهوا إلى أعلى الجبل. ولكن بصراحة، الفتى كان يعامل الفتاة بقسوة شديدة.

وما إن سمع زين كلامها حتّى انطلق بسرعة شديدة نحو الجبل وبالتّحديد إلى ذلك الكوخ المنزوي عن الأنظار، ليلحق به كلّ من آسر ومارك وآلبرت.

آسر: مهلاً يا زين...

وبعد مدّة من الركض، وصلوا إلى وجهتهم. وهنا كانت الصّدمة... حيث وجدوا سيلا والحاكم أسيرين هناك ومقيّدين بإحكام. وبدأت عينا زين تذرف الدّموع. وعندما نظر الحاكم إلى وجه زين، بدا له وكأنّ وجهه مألوف.

مارك: ما الذي حدث؟ لماذا أنتما هنا؟

وفجأة...

توقّفوا وإلّا أطلقت النّار عليهما.

زين: آرثر، أنزل المسدس، ما الذي تفعله؟

آرثر: ببساطة، أنتقم.

زين: اتركهما وشأنهما.

آرثر: اعترف يا زين، قل لوالدك أن يسامحك لأنّك تركته في محنته وهربت.

الحاكم: من... من تقصد؟

زين: اصمت وإلّا...

آرثر مقاطعاً لكلام زين: أتحدّث إلى ابنك زين الذي هرب من المملكة بعد أن ترك قتيلاً في رقبته، أليس كذلك يا ليوناردو؟!

الحاكم: ليوناردو؟ أهذا أنت حقّاً؟

آرثر: أجل، ولكنّه متنكّر باسم زين.

الحاكم: أين كنت يا ولدي طوال تلك السّنين؟ أتظنّ أنّني صدّقت ابن عمّك؟

زين: لو لم تصدّقه لما شرعتَ في ورثه للملك من بعدك.

الحاكم: لقد كنت مضطّراً، فقد ساق بي الشّيب وأحتاج من يرث حكمي.

آرثر: حديث مؤثّر، لقد دمعت عينياي حقّاً، ولكن هذا لا يعني أن أنسى حقّي.

...

زين: حقّ ماذا؟

صوت رصاصة أُطلقت ودم متناثر في المكان، وصرخات تعلو وأصوات ترتفع، وزفير يخرج، والرعب ملأ القلوب.

الحاكم: زين، افق يا بني، الآن عدتَ إليّ يا كبشي! فكيف لك أن تتركني؟

زين بأنفاس متثاقلة: آسف لأنني أخذت المصاغ، ولكن صدّقني بعلم أمّي، أي لم أسرقه.

الحاكم: أقسم لك، لم أصدّقه. بحثتُ عنك كثيراً، وبعدها جاء المرسال وقطعنا الشك باليقين.

وبدون سابق إنذار، أغشي على زين وتمّ إسعافه ووُضع في العناية المشدّدة.

في هذه الأثناء:

مارك: سيلا، أأنتِ بخير؟

سيلا: أجل، لقد عالجوا جرح يدي، ولكنّني متأسّفة بشأن ليوناردو.

مارك: قصدك زين؟

سيلا: أجل.

مارك: سأسألك سؤالاً. ما الذي جعلك تغادرين منزل زين؟

سيلا: بصراحة، سمعت صوت طرق حجر صغير على النّافذة، وعندما هرعت لأراه فوجئت بآرثر يمسكني من ذراعي وأغلق فمي بإحكام، وغادرنا. أنا خائفة كثيراً.

مارك: لا تخافي، لقد ألقي القبض عليه وعلى آدم أيضاً، وفُتح محضر بشأنهما.

سيلا: ولكنهم منعوا أخي من ورث الحكم، بل وحرموه من دخول المملكة.

مارك: ليس بعد الآن، بعد اعتراف آدم وآرثر بالحقيقة، ستعود له كافة حقوقه.

سيلا: أنا آسفة لما حدث، صدّقيني، أنتِ أغلى من روحي.

سيلا: وأنا آسفة. بسببِني حدث ما حدث.

مارك: ولكن كيف وقعتي؟

سيلا: لا تذكّرني، كنتُ أمثّل أمامكما أنّني أشعر بالدّوار لتنسيا الشجار، ولكنني فقدت توازني في آخر لحظة وهويت إلى هناك...

مارك: أحبّك وأعشقك بجنون.

سيلا: وأنا أحبّك.

في الجانب الآخر:

ميرا: لقد تأثّرت حقّاً.

آلبرت: قصّتهما عجيبة، وحبّهما عظيم.

ميرا ببراءة: أتمنّى أن أعيش قصة حب مثلهم.

آلبرت ببلاهة: سأجعلك كذلك.

واكتفيا بابتسامة كانت نهايتها عرساً لم تشهده مملكة الزّين، التي أطلق عليها ذلك الاسم بعد استلام زين الحكم. أما آسر فقد تصالح مع زين واستلم إدارة الشركات من بعده.

مارك: ماذا قلتَ، سيدي الحاكم؟ هل توافق على طلبي؟

الحاكم: لا.. أريدك أن تزوّج ابنتي لرجل مثلك؟ ليس لدينا بناة للجيزة!

وهنا تقطّع قلبه وتناثرت شظاياه في أرجاء مملكة الزّين ليُبنى من جديد مع ضحكة الحاكم: "كنت أمزح معك يا بني، من أين سأجد فتى مثلك يخاف على ابنتي أكثر من روحه!"

وبعد سنة...

... مبارك يا مارك، فقد أصبحتَ أباً لأجمل بنتين وثّقهما التاريخ.

مارك: أسمعتِ يا سيلا؟

سيلا: أجل، أحبك بجنون.

مارك: أنتِ روحي التي لا روح بعدها.

في ذلك الوادي، كُشفت أسرار لم يكن الزمن كفيلٌ بإفشائها.

الكاتبة: حياة صمود

أسماء المشاركين:

♡ إسراء فاخوري (البيت الملعون يصرخ لا مفر من الظلام/ حين يزهر القلب)

♡ يمانة محب الدين (صمت الأخ ضجة الفقد)

♡ سمية طالب (صدى الغياب)

♡ هيام فرواتي (الغابة التي تبتلع الأصوات)

♡ إسلام طه الشريف (في سجن الوجود)

♡ تيماء غرّة(توليب بين الركام/ صرخات مكتومة)

♡ شهد نور الدين كركي(عزيزي الأمير ديمتري)

♡ راوية حسون (حب القلب لا تنساه الأعين)

♡ مرام الحواري (أنا والطفلة التي تسكنني)

♡ فردوس الخليل(التعمق بي مُتعب جداً)

♡ ذكراه لا تنام (خديجة كادورة)

♡ مروة شهاب الدين (جناح الليل/ الحديقة التي لا تُرى)

♡ مجهول (هو أول أحبابي ومسك الختام)

♡ سدرة المنتهى قشاش (أمير النور والحب)

♡ هبة الله (دعوتهُ فكان من نصيبي)

♡ فاطمة حمدان (قوة التغيير)

♡ حياة صمود (وادي الحب)

بين ظلال الغياب ونبض الحنين، تطلُّ أطياف الذاكرة ل
تعيد إحياء لحظات رحل أصحابها ويبقي أثرها محفوراً
في زوايا الروحً. هي رحلةٌ في ممرات الزمن،
حيث يمتزج عبير الماضي بأطيافه التي لا تغيب.